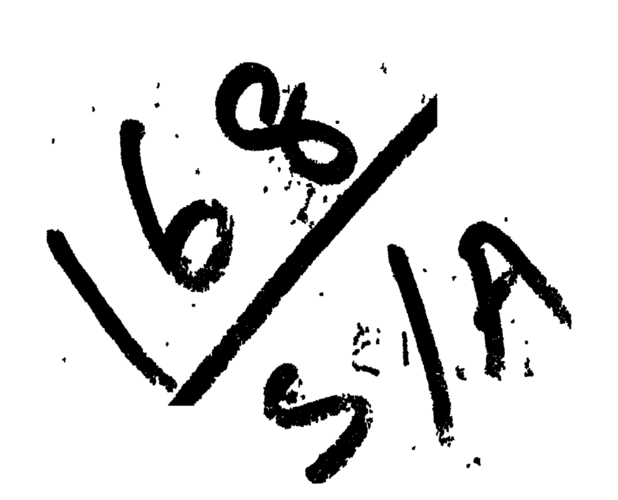


فهرست ما فى هذا الكتاب من المطالب والابواب

صحيفة

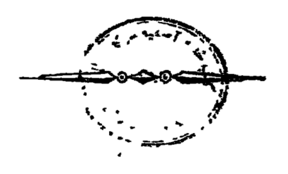
صحيفه



كتاب

الموازنة بين ابى تمام والبحترى للشيخ العلامة
ابى القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى

عن نسخة جليلة بخط الاديب النحرير الشيخ
عبد الكريم بن احمد بن ادريس الصفدي
بتاريخ شهر صفر من سنة ١١٣٩



طبع فى مطبعة الجوائب بالاستانة العلية
سنة ١٢٨٧

كتاب الموازنة بين ابى تمام والبحترى
للشيخ العلامة ابى القاسم الحسن
بن بشر بن يحيى الامدى

*

* *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

قال ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الامدى هذا ما حثت ادام الله لك العز والتايد والتوفيق والتسديد على تقديمه من الموازنة بين ابى تمام حبيب بن اوس الطائى وابى عبادة الوليد بن عبيد الله البحترى فى شعريهما وقد رسمت من ذلك ما ارجو ان يكون الله عز وجل قد وهب فيه السلامة واحسن فى اعتماد الحق وتجنب الهوى المعونة منه برحمته ووجدت اطال الله عمرك اكثر من شاهدته ورايته من رواة الاشعار المتاخرين يزعمون ان شعر ابى تمام حبيب بن اوس الطائى لايتعلق بجيده جيد امثاله ورديه مطروح مرذول فلهذا كان مختلفا لايتشابه وان شعر الوليد بن عبيد الله البحترى صحيح السبك حسن الديباج ليس فيه سفساف ولا ردى ولا مطروح ولهذا صار مستويا يشبه بعضه بعضا ووجدتهم فاضلوا بينهما لغزارة شعريهما وكثرة جيدهما وبدائعهما ولم يتفقوا على ايهما اشعر كما لم يتفقوا على احد مما وقع التفضيل بينهما من شعر الجاهلية والاسلام والمتاخرين وذلك كمن فضل البحترى ونسبه الى حلاوة النفس وحسن التخلص ووضع الكلام فى مواضعه وصحة العبارة وقرب المانى وانكشاف المعانى وهم الكتاب والاعراب والشعرا المطبوعون واهل البلاغة ومثل من فضل ابا تمام ونسبه الى غموض المعانى ودقتها وكثرة ما يورده مما يحتاج الى استنباط وشرح واستخراج وهولاء اهل المعانى والشعرا اصحاب الصنعة ومن يميل الى التدقيق وفلسفى الكلام وان كان كثير من الناس قد جعلهما طبقة وذهب قوم الى المساواة بينهما فانهما لمختلفان لان البحترى اعرابى الشعر مطبوع وعلى مذهب الاوائل وما فارق عمود الشعر المعروف وكان يتجنب التعقيد ومستكره الالفاظ ووحشى الكلام فهو بان يقاس باشجع السلمى ومنصور وابى يعقوب الكفوف وامثالهم من المطبوعين اولى ولان ابا تمام شديد التكلف صاحب صنعة ومستكره الالفاظ والمعانى وشعره لايشبه اشعار الاوائل

ولا على طريقتهم لما فيه من الاستعارات البعيدة والمعانى المولدة فهو بان يكون فى حيز مسلم بن الوليد ومن حذا حذوه احق واشبه وعلى انى لا اجد من اقرنه به لانه ينحط عن درجة مسلم لسلامة شعر مسلم وحسن سبكه وصحة معانيه ويرتفع عن سائر من ذهب هذا المذهب وسلك هذا الاسلوب لكثرة محاسنه وبدائعه واختراعاته ولست احب ان اطلق القول بايهما اشعر عندى لتباين الناس فى العلم واختلاف مذاهبهم فى الشعر ولا ارى لاحد ان يفعل ذلك فيستهدف لذم احد الفريقين لان الناس لم يتفقوا على اى الاربعة اشعر فى امرىء القيس والنابغة وزهير والاعشى ولا فى جرير والفرزدق والاخطل ولا فى بشار ومروان ولا فى ابى نواس وابى العتاهية ومسلم لاختلاف اراء الناس فى الشعر وتباين مذاهبهم فيه فان كنت ادام الله سلامتك ممن يفضل سهل الكلام وقريبه ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق فالبحترى اشعر عندك ضرورة وان كنت تميل الى الصنعة والمعانى الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة ولا تلوى على غير ذلك فابو تمام عندك اشعر لا محالة فاما انا فلست افصح بتفضيل احدهما على الآخر ولكنى اقارن بين قصيدتين من شعرهما اذا اتفقا فى الوزن والقافية واعراب القافية وبين معنى ومعنى فاقول ايهما اشعر فى تلك القصيدة وفى ذلك المعنى ثم احكم انت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما اذا احطت علما بالجيد والردى وانا ابتدى بما سمعته من احتجاج كل فرقة من اصحاب هذين الشاعرين على الفرقة الاخرى عند تخاصمهم فى تفضيل احدهما على الاخر وما ينعاه بعض على بعض لتتامل ذلك

(قوله وما ينعاه الخ قال فى القاموس نعى ذنوبه اى اظهرها) (كذا)

وتزداد بصيرة وقوة فى حكمك ان شئت ان تحكم واعتقادك فيما لعلك تعتقد احتجاج الخصمين به قال صاحب ابى تمام كيف يجوز لقائل ان يقول ان البحترى اشعر من ابى تمام وعن ابى تمام اخذ وعلى حذوه احتذى ومن معانيه استقى وباراه حتى قيل الطائى الاكبر والطائى الاصغر واعترف البحترى ان جيد ابى تمام خير من جيده على كثرة جيد ابى تمام فهو بهذه الخصال ان يكون اشعر من البحترى اولى من ان يكون البحترى اشعر منه قال صاحب البحترى اما الصحبة فصحيحة ولا تلمذ له ولا روى ذلك احد عنه ولا نقله ولا رأى قط انه محتاج اليه ودليل هذا الخبر المستفيض من اجتماعهما وتعارفهما عند ابى سعيد محمد بن

يوسف الثغري وقد دخل اليه البحتري بقصيدته التي اولهـا أفاق صب من هوى فافيقـا وابو تمـام حاضر فلما انشدهـا علق ابو تمام ابياتا كثيرة منها فلما فرغ من الانشـاد اقبل ابو تمـام على محمد بن يوسـف فقـال ايهـا الامير ماظننت ان احدا يقدم على ان يسرق شعري وينشده بحضرتي حتى اليوم ثم اندفع ينشد ما حفظه حتى اتى على ابيـات كثيرة من القصيدة فبهت البحتري وراى ابو تمـام الانكار في وجه ابي سعيد محمد بن يوسف فحينئذ قال له ابو تمـام ايها الامير والله ما الشعر الا له وانه احسن فيه الاحسـان كله واقبل يقرظه ويصف معـانيه ويذكر محاسنه ثم جعل يفخر باليمن وانهم ينبوع الشعر ولم يقنع من محمد بن يوسـف حتى اضعف له الجائزة فهذا الخبر الشنيع يبطل ما ادعيتم اذ كان من (لعله لا) يقول هذه القصيدة التي هي من عين شعره وفاخر كلامه وهو لايعرف ابا تمـام الا ان يكون بالخـبر يستغني عن ان يصحبه او يتلمذ له اولغيره في الشعر وقد اخـبرني انا رجـل من اهل الجزيرة ويكنى ابا الوضاح وكان عالما بشعر ابي تمام والبحتري واخبارهما ان القصيدة التي سمع ابو تمام من البحتري عند محمد بن يوسـف وكان اجتماعهمـا وتعـارفهما القصيدة التي اولها فهم ابتداركا الملام ولوعا وانه لما بلغ الى قوله فيها

في منزل ضنك تخـال به القنـا بين الضلوع اذا انحنين ضلوعا

نهض اليه ابو تمـام فقبل بين عينيه سرورا به وتحققـا بالطائية ثم قال ابى الله الا ان يكون الشعر يمنيـا قال صـاحب البحتري الا ان مع هذا لاننكر ان يكون قد استعـار بعض معـاني ابي تمام لقرب البلدين وكثرة ما كان يطرق سمع البحتري من شعر ابي تمام فيعلق شيا من معـانيه معتمدا للاخذ اوغير معتمد وليس ذلك بمانع من ان يكون البحتري اشعر منه فهذا كثير قد اخذ من جميل وتلمذ له واستقى من معـانيه فما راينـا ان احدا اطلق على كثير ان جميلا اشعر منه بل هو عند اهل العلم بالشعر والرواية اشعر من جميل وهذا ابن سلام الجمحي ذكره في كتاب الطبقات في الطبقة الثانية من شعرآ الاسلام جعله مع البعيث والقطـامي وذكر انه عند اهل الحجاز خاصة اشعر من جرير والفرزدق والاخطل وجعل جميلا في الطبقة السادسة مع عبد الله بن قيس الرقيات والاحوص ونصيب الا انه قال ان جميـلا يتقدمه في النسيب وهذا غير مقبول منه لانه انما يحكيه عن نفسه واهل الحجاز انما قدموا كثيرا من اجل نسيبه وحسن تصرفه فيه وحكى عن جـرير انه قال في بعض الروايات

كثيرا نسبنا ويدل على تقدمه فى النسيب قول ابى تمام فى قصيدة يمدح بها ابا سعيد الكاتب اولها من سجايا الطاول ان لاتجيبا

لو يفاجى ركن المديح كثيرا * بمعانيه خالهن نسيبا
طاب فيه المديح والتذحتى * فاق وصف الديار والتشبيبا

اراد ان كثيرا لو فاجاه هذا المديح على حسن نسيبه لخاله نسيبا وخص كثيرا لشهرته بالنسيب وبراعته واحتمل ضرورة الشعر ورد كثيرا الى التكبير فقال كثيرا ولم يقل جميلا ولا جريرا ولا غيرهما مما لاضرورة فى اسمه وعلى ان كثيرا ذكر اسمه مكبرا اما ضرورة واما اعتمادا لتفخيم اسمه وان لاياتى به محقرا فقال

وقال لى الواشون ويحك انها * بغيرك حقا ياكثير تهيم

وقد ذكر ابو تمام كثيرا فى مواضع اخر فجاء به مكبرا فى قصيدة يمدح بها الحسن بن وهب ويصفه بالبلاغة وهو قوله

فكان قسا فى عكاظ يخطب * وكثير عزة يوم بين ينسب

وذلك لعلم ابى تمام بتقدم كثير فى النسيب على غيره وشهرته بالتجويد فيه على ان جميلا لاشعر له مما يعتد به الا فى النسيب والغزل فقد علمتم الان ان هذه حالة لاتوجب لكم تفضيل ابى تمام على البحترى من اجل انه اخذ شيا من معانيه واما قول البحترى جيده خير من جيدى وردبى خير من رديه فهذا الخبر ان كان صحيحا فهو للبحترى لا عليه لان قوله هذا يدل على ان شعر ابى تمام شديد الاختلاف وشعره شديد الاستواء والمستوى الشعر اولى بالتقدمة من المختلف الشعر وقد اجتمعنا نحن وانتم على ان اباتمام يعلو علوا حسنا وينحط انحطاطا قبيحا وان البحترى يعلو بتوسط ولايسقط ومن لايسقط ولايسفسف افضل ممن يسقط ويسفسف والذى نرويه عن ابى على محمد بن العلاء السجستانى وكان صديق البحترى انه قال سئل البحترى عن نفسه وعن ابى تمام فقال كان اغوص على المعانى وانا اقوم بعمود الشعر وهذا الخبر هو الذى يعرفه الشاميون دون غيره وسمعت ابا على محمد بن العلا ايضا يقول كان البحترى عند نفسه اشعر من ابى تمام وسائر الشعراء المحدثين وقد ذكر ابو عبد الله محمد ابن داود بن الجراح فى كتابه الذى ذكر فيه اخبار الشعراء نحوا من ذلك قال ابو على محمد ابن العلا كان البحترى اذا شرب وانس انشد شعره وقال الا تسمعون الا تعجبون قال وكان مع هذا احسن الناس ادب نفس لايذكر شاعر محسن او غير محسن الا قرظه

ومدحه وذكر احسن ما فيه قال ابو على ولم لايفعل ذلك وقد اسقط فى ايامه اكثر من خمسمائة شاعر وذهب بخيرهم وانفرد باخذ جوائز الخلفاء والملوك دونهم فلو لم يفعل ذلك الا استكفافا وحذرا من بيت واحد يندر فيبقى على الزمان لكان من الحظ له ان يفعله

(اى من بيت واحد ممن يهجونه فيبقى على الزمان متداولا)

وكذلك كان ابو على دعبل بن على الخزاعى يهجو الملوك والخلفا ولا يعرض لشاعرهم الا ضرورة وقد حذر فى اول كتابه الذى الفه فى الشعرآء من التعرض لشاعر ولو كان من ادون الناس صنعة فى الشعر وقال رب بيت جرى على لسان مفحم قيل فيه رب رمية من غير رام فسارت به الركبان ولذلك يقول فى بعض شعره

لاتعرضن بمزح لامرء طبن * ما راضه فلـه اجراه فى الشقة
فرب قافية بالمزح جارية * مذمومة لم يرد انماؤها نمت

ثم رجع الى قول الخصمين قال صاحب ابى تمام فابو تمام انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه اولا واماما متبوعا وشهر به حتى قيل هذا مذهب ابى تمام وطريقة ابى تمام وسلك الناس نهجه واقتفوا اثره وهذه فضيلة عرى عن مثلها البحترى قال صاحب البحترى ليس الامر لاختراعه لهذا المذهب على ما وصفته ولا هو باول فيه ولا سابق اليه بل سلك فى ذلك سبيل مسلم واحتذى حذوه وافرط واسرف وزال عن النهج المعروف والسنن المالوف وعلى ان مسلما ايضا غير مبتدع لهذا المذهب ولا هو اول فيه ولكنه رأى هذه الانواع التى وقع عليها اسم البديع وهى الاستعارة والطباق والتجنيس منثورة متفرقة فى اشعار المتقدمين فقصدها واكثر فى شعره منها وهى فى كتاب الله عز وجل موجودة قال الله تعالى واشتعل الراس شيبا وقال تبارك وتعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار وقال واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فهذه من الاستعارة التى هى فى القران وقال امرؤ القيس

فقلت له لما تمطى بجوزه * واردف اعجازا وناء بكلكل

فجعل الليل يتمطى وجعل له اردافا وكلكلا وقال زهير

صحا القلب عن سلمى واقصر باطله * وعرى افراس الصبا ورواحله

فجعل للهوى افراسا ورواحل وقال لبيد الجعفى

وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ اصبحت بيد الشمال زمامها

فجعل للغداة يدا وللشمال زماما فهذه كلها استعارات وقال جل وعز فى التجنيس واسلمت مع سليمان لله رب العالمين واقم وجهك للدين القيم وقال النبي صلى الله عليه وسلم عصية عصت الله ورسوله وغفار غفر الله لها واسلم سالمها الله وقال القطامى

ولما ردها فى الشول شالت * بذيال يكون لها لفاعا (الملحفة او الكساء)

وقال ايضا

كتبة الحى من ذى الغيظ فاحتملوا * مستحقبين فوادا ما له فاد

وقال جرير

وما زال معقولا عقال عن الندى * وما زال محبوسا عن المجد حابس

وقال ذو الرمة

كأن البرى والعاج عيجت متونه * على عشر نهى به السيل ابطح

(البرى جمع برة وهى على ما فى الصحاح حلقة من صفر تجعل فى لحم انف البعير وربما كانت من شعر وقد اهمل القاموس هذا الجمع وعاج عطف والعشر بالضم النوق التى تنزل الدرة القليلة والنهى اسم ما نهب

وقال امرؤ القيس

لقد طمح الطماح من بعد ارضه * ليلبسنى من دآئه ما تلبسا

وقال الفرزدق

خفاف اخف الله عنه سحابه * واوسعه من كل ساف وحاصب

ذكر ذلك كله ابو العباس عبد الله بن المعتز فى كتاب البديع قال ومن الطباق قول الله تعالى ولكم فى القصاص حيوة وقال النبى صلى الله عليه وسلم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ما كذب الليث عن اقرانه صدقا

فطابق بين الصدق والكذب وقال طفيل الغنوى

بساهم الوجه لم تقطع اباجله * يصان وهو ليوم الروع مبذول

(عرق مفرده ابجل وهو من الفرس والبعير بمنزلة الاكحل من الانسان)

فطابق بين قوله يصان وبين قوله مبذول فتتبع مسلم بن الوليد هذه الانواع واعتدها ووشح شعره بها ووضعها فى موضعها ثم لم يسلم مع ذلك من الطعن حتى قيل انه

اول من افسد الشعر روى ذلك ابوعبد الله محمد بن داود بن الجراح قال وحدثنى
محمد بن القاسم بن مهرويه قال سمعت ابى يقول اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد
ثم اتبعه ابو تمام واستحسن مذهبه واحب ان يجعل كل بيت من شعره غير خال
من بعض هذه الاصناف فسلك طريقا وعرا واستكره الالفاظ والمعانى ففسد
شعره وذهبت طلاوته ونشف ماؤه وقد حكى عبد الله بن المعتز فى هذا الكتاب
الذى لقبه البديع ان بشارا وابا نواس ومسلم بن الوليد ومن تقيلهم لم يسبقوا الى هذ
الفن ولكنه كثر فى اشعارهم فعرف فى زمانهم ثم ان الطائى تفرغ فيه واكثر منه
واحسن فى بعض ذلك واساء فى بعض وتلك عقبى الافراط وثمرة الاسراف قال
وانما كان الشاعر يقول من هذا الفن البيت والبيتين فى القصيدة وربما قرىء فى
شعر احدهم قصائد من غير ان يوجد فيها بيت واحد بديع وكان يستحسن ذلك
منهم اذا اتى قدرا ويزداد حظوة من الكلام المرسل وقد كان بعضهم يشبه
الطائى فى البديع بصالح بن عبد القدوس فى الامثال ويقول لو كان صالح نثر
امثاله فى تضاعيف شعره وجعل منها فصولا فى ابياته لسبق اهل زمانه وغلب
على ميدانه قال ابن المعتز وهذا اعدل كلام سمعته قال صاحب البحترى فقد
سقط الان احتجاجكم باختراع ابى تمام لهذا المذهب وسبقه اليه وصار استكثاره
منه وافراطه فيه من اعظم ذنوبه واكبر عيوبه وحصل للبحترى انه ما فارق عمود
الشعر وطريقته المعهودة مع ما نجده كثيرا فى شعره من الاستعارة والتجنيس
والمطابقة وانفرد بحسن العبارة وحلاوة الالفاظ وصحة المعانى وحيث وقع
الاجماع على استحسان شعره واستجادته وروى شعره واستحسنه سائر الرواة
على طبقاتهم واختلاف مذاهبهم فن نفق (الظاهر انه من نفاق السلعة) على الناس
جميعا اولى بالفضيلة واحق بالتقدمة قال صاحب ابى تمام انما اعرض عن شعر ابى
تمام من لم يفهمه لدقة معانيه وقصور فهمه عنه وفهمه العلماء والنقاد فى علم
الشعر واذا عرفت هذه الطبقة فضيلته لم يضره طعن من طعن من بعدها عليه قال
صاحب البحترى ان ابن الاعرابى واحمد بن يحيى الشيبانى وقبلهما دعبل بن الخزاعى
قد كانوا علماء بالشعر وكلام العرب وقد علمتم مذاهبهم فى ابى تمام وازدراءهم
بشعره وطعن دعبل عليه وقولهم ان ثلث شعره محال وثلثه مسروق وثلثه صالح
وروى ابوعبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الشعراء عن محمد بن القاسم بن

مهرويه عن الهيثم بن داود عن دعبل انه قال ما جعله الله من الشعرآ بل شعره بالخطب والكلام المنثور اشبه منه بالشعر ولم يدخله فى كتابه المولف فى الشعرآ وقال ابن الاعرابى فى شعر ابى تمام ان كان هذا شعرا فكلام العرب باطل روى ذلك ابو عبد الله محمد بن داود عن البحترى عن ابى الاعرابى وحكى محمد بن داود ايضا عن محمد بن القاسم ابن مهرويه عن حذيفة بن محمد وكان عالما بالشعر انه قال ابوتمام يريد البديع فيخرج الى المحال وروى عنه انه قال دخل اسحاق بن ابراهيم الموصلى على الحسن بن وهب وابوتمام ينشده فقال له اسحاق ياهذا لقد شددت على نفسك وذكر ايضا ابوالعباس عبدالله بن المعتز فى كتاب البديع وغير هولآء العلمآ ممن افسدوا شعره كثير منهم ابو سعيد الضرير وابو العميثل الاعرابى صاحب عبد الله بن طاهر بخراسان وكانا من اعلم الناس بالشعر وكان عبد الله بن طاهر لا يسمع من شاعر الا اذا امتحناه وانشدهما شعره ورضياه فقصدهما ابوتمام بقصيدته التى يمدح فيها عبد الله بن طاهر اولها

هن عوادى يوسف وصواحبه * فعزما فقدما ادرك النجح طالبه

فلما سمعا هذا الابتدآ اعرضا عنه واسقطا القصيدة حتى عاتبهما ابوتمام وسالهما النظر فيها فلولا انهما ظفرا ببيتين مسروقين فيها استحسناهما فعرضا القصيدة على عبد الله بن طاهر واخذا له الجائزه لكان قد افتضح وخابت سفرته وخسرت صفقته والبيتان

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

لامر عليهم ان تتم صدوره * وليس عليهم ان تتم عواقبه

اخذ معنى البيت الاول من قول ابى البعيث

اطاف بنعت كالاسنة هجد * بخاشعة الاصوآ غبر صحونها

واخذ معنى البيت الثانى من قول الاخر

علام وفى نقحمها فابلى * فخان بلآءه الدهر الخؤون

وكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ما جنت المنون

(ذكره فى موضع آخر فكان)

ولما اوصلا اليه الجائزة قالا له لم تقول ما لا يفهم فقال لهما لم لا تفهمان ما يقال فكان هذا مما استحسن من جوابه وهذا ابو العباس محمد بن يزيد المبرد ما علمناه دون

له كبير شئ وهذه كتبه واماليه وانشاداته تدل على ذلك وكان يفضل البحترى ويستجيد شعره ويكثر انشاده ولا يستمليه لان البحترى كان باقيا فى زمانه اخبرنا ابو الحسن الاخفش قال سمعت ابا العباس محمد بن يزيد المبرد يقول ما رايت اشعر من هذا الرجل يعنى البحترى لولا انه ينشدنى لما انشدكم لملات كتبى من امالى شعره قال صاحب ابى تمام فقد بطل احتجاجكم بالعلماء وتفضيلكم لشعره عليه لان دعبلا كان يشنا ابا تمام ويحسده وذلك مشهور معلوم منه فلا يقبل قول شاعر فى شاعر واما ابن الاعرابى فكان شديد التعصب عليه لغرابة مذهبه ولانه كان يرد عليه من معانيه ما لا يفهمه ولا يعلمه فكان اذا سئل عن شئ منها يأنف ان يقول لا ادرى فيعدل الى الطعن عليه والدليل على ذلك انه انشد يوما ابياتا من شعره وهو لايعلم قائلها فاستحسنها وامر بكتبها فلما عرف انه قائلها قال خرقوه والابيات من ارجوزته التى اولها

وعاذل عذلته فى عذله * فظن انى جاهل من جهله

وكان ابن الاعرابى على علمه وتقدمه قد حمل نفسه على هذا الظلم القبيح والتعصب الظاهر فما تنكرون ايضا ان تكون حال سائر من ذكرتموه مثل حاله قال صاحب البحترى لايلزم ابن الاعرابى من الظلم والتعصب ما ادعيتم ولا يلحقه نقص فى قصور فهمه عن معانى شاعر عدل فى شعره عن مذاهب العرب الى الاستعارات البعيدة المخرجة للكلام الى الخطأ والاحالة والعيب والنقص فى ذلك يلحقان ابا تمام اذ عدل عن المحجة الى طريقة يجهلها ابن الاعرابى وامثاله واما ما استحسنه ابن الاعرابى من شعر ابى تمام فامر بكتبه ثم امر بتخريقه لما علم انه قائله فذلك غير منكر ولا يدخل ابن الاعرابى فى التعصب والظلم لان الذى يورده الاعرابى وهو محتذ على غير مثال احلى فى النفوس واشهى الى الاسماع واحق بالزيادة والاستجادة مما يورده المحتذى على الامثلة وعذر ابن الاعرابى فى هذا اذا قد صح وقد سبقه الاصمعى وذلك ان اسحاق بن ابراهيم الموصلى انشد الاصمعى

هل الى نظرة اليك سبيل * فيروى الصدى ويشفى الغليل

ان ما قل منك يكثر عندى * وكثير ممن تحب القليل

فقال لمن تنشدنى فقال لبعض الاعراب فقال والله هذا هو الديباج الخسروانى قال انهما لليلتهما فقال لاجرم والله ان اثر الصنعة والتكلف بين عليهما حدثنا

بهـذا الحديث ابو الحسن على بن سليمان الاخفش النحوى قال حدثنا ابو الحسن البهرانى قـال حدثنى ابوخالد يزيد بن محمد المهابى قـال حدثنى اسحاق بن ابراهيم الموصلى قـال انشدت الاصمعى الا انه ذكر عن اسحاق انه قـال له انهما لليلتهما فقـال الاصمعى افسدتهما فالاصمعى فى هذا غير ظالم لان اسحاق مع علمه بالشعر وكثرة روايته لاينكر له ان يورد مثل هذا لانه يقوم فى النفس انه قد احتذاه على مثال واخذه عن متقدم وانما يستظرف مثله من الاعرابى الذى لايعول الا على طبعه وسليقته وابن الاعرابى فى ابى تمام اعذر من الاصمعى فى اسحاق لان ابا تمـام كان مغرما مشغوفا بالشعر وانفـرد به وجعله وكده والف كتبا فيه واقتصر من كل علم عليه فاذا اورد المعنى المستغرب لم يكن ذلك ببدع له لانه ياخـذ المعانى ويجتذبها فليس لها فى النفوس حلاوة ما يورده الاعرابى قـال صاحب ابى تمـام فقد اقررتم لابى تمام بالعلم والشعر والرواية ولا محالة ان العلم فى شعره اظهر منه فى شعر البحترى والشـاعر العالم افضل من الشـاعر غير العالم فـال صـاحب البحترى فقد كان الخليل بن احمد عالما شـاعرا وكان الاصمعى شاعرا عالما وكان الكسآئى كذلك وكان خلف بن حيان الاحمر اشعر العلمآء وما بلغ بهم العلم طبقـة من كان فى زمانهم من الشعرآء غير العلمآء فقد كان التجويد فى الشعر ليست علته العلم ولو كانت علتـه العلم لكان من يتعاطـاه من العلمآء اشعر ممن ليس بعـالم فقد سقط فضل ابى تمام من هذا الوجه على البحترى وصـار افضـل واولى بالسبق اذ كان معلوما سـائغا ان شعر العلمآء دون شعر الشعرآء ومع ذلك فان ابا تمـام يعمل ان يدل فى شعره على علمه باللغة وبكلام العرب فيعمد لادخال الفـاظ غريبة فى مواضع كثيرة من شعره وذلك نحو قوله هن البجارى يابجير * اهدى لها الابوس الغوير وقوله قدك اتئب اربيت فى الغلوآء وقوله افـرم بدر تبارى ايهـا الحفض وهذا فى شعـره كثير موجود والبحترى لم يقصد هذا ولا اعتمده ولا كان له عنده فضيلة ولا راى انه علم لانه نشأ ببـادية منبج وكـان يتعمد حذف الغريب والوحشى من شعره ليقرب به من فهم من يمتدحه الا ان ياتيه طبعه باللفظة بعد اللفظة فى موضعهـا من غير طلب لهـا ويرى ان ذلك اتفق له فنفق وبلغ المـراد والغرض ويدلك على ذلك انه كان يكنى ابا عبـادة ولمـا دخل العـراق تكنى ابا الحسن ليزيل العنجهيـة والاعرابية ويسـاوى فى مذاهبه اهل الحـاضرة ويقرب بهذه الكنية الى اهل النباهة والكتاب

من الشيعة وقد ذكر بعضهم انه كان يكنى ابا الحسن وانه لما اتصل بالمتوكل وعرف مذهبه عدل الى ابى عبادة والاول اثبت وقد حكى ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح ان ابا عبادة كنية البحترى القديمة فشتان ما بينهما من حضرى تشبه باهل البدو فلم ينفق بالبادية ولا عند اكثر الحاضرة وبدوى تحضر فنفق فى البدو والحضر قال صاحب ابى تمام فقد عرفناكم ان ابا تمام اتى فى شعره بمعان فلسفية والفاظ غريبة فاذا سمع بعض شعره الاعرابى لم يفهمه فاذا فسر له فهمه واستحسنه قال صاحب البحترى هذه دعاو منكم على الاعراب فى استحسان شعر صاحبكم اذا فهموه ولا يصح ذلك الا بالامتحان ولكنكم معترفون ومجمعون مع من هو معكم وعليكم ان لصاحبكم احسانات واساآة وان الاحسان البحترى دون الاساآة ومن احسن ولم يسئ افضل ممن احسن واساآ قال صاحب ابى تمام ما اجمعنا معكم ان صاحبكم لم يسىء بل هو قد اسا فى قوله

تخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناآء

(سيذكره فيما بعد برواية تخفى الزجاجة)

وهذا وصف للاناآ لا للشراب لانه لو ملا الاناآء دبسا لكان هذا صفته وقال

ضحكات فى اثرهن العطايا * وبروق السحاب قبل رعوده

فاقام البرق مقام الضحك والرعد مقام العطايا وانما كان يجب ان يقيم الغيث مقام العطايا لا الرعد وله لحون فى شعره معروفة نحو قوله ونصبته علما بساماآء وقوله نبرات معبد فى الثقيل الاول وقوله هرج على حلب واشباه لهذا كثيرة فقد تساويا فى الغلط قال صاحب البحترى ما نعبنا على ابى تمام اللحن وهو فى شعره كثير لو تتبع فتنعوا مثله على البحترى لان اللحن لايكاد يعرى منه احد من الشعراآء المحدثين ولا يسلم منه شاعر من الشعراآء الاسلاميين وقد جاآء فى اشعار المتقدمين ما علمتم من الالفاظ مما لايقوم العذر فيه الا بالتاويلات البعيدة وعلى انه ليس شئ مما عبتم به البحترى خارجا عن مقاييس العربية ولا بعيدا من الصواب بل قد جاآ مثله كثير فى اشعار القدماآء والاعراب والفصحاآ ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه ونحن لو رمنا ان نخرج ما فى شعر ابى تمام من اللحن لكثر ذلك واتسع ولوجدنا منه ما يضيق العذر فيه ولا يجد المتاول له مخرجا منه الا بالطلب والحيلة والتمحل الشديد وذلك مثل قوله

ثانيه فى كبد السماء ولم يكن * لاثنين ثان اذ هما فى الغار

معنى هذا البيت ان بابك صار جارا فى الصلب لمازيار وهو ثانيه فى كبد السماء ولم يكن ثانيا لاثنين اذ هما فى الغار اى هو ثانى اثنين فى الصلب لما زيار الذى هو رذيلة وليس هو ثانيا فى الغار لان هذه فضيلة فكان يجب ان يقول فى البيت ولم يكن لاثنين ثانيا لانه خبر يكن واسمها هو اسم بابك مضمر فيها فليس الى غير انتصب سبيل فى البيت والا بطل المعنى وفسد وفساده انك اذا اخليت يكن من ضمير بابك وجعلت قوله ثان اسمها كان ذلك خطأ ظاهرا قبيحا لانك اذا قلت كان زيد وعمرو اثنين ولم يكن لهما ثان كنت مخطئا لان اثنين احدهما ثان الآخر وكذلك اذا قلت كانوا ثلاثة ولم يكن لهم ثالث كنت مخطئا لان احد الثلاثة هو ثالثهم وانما تكون مصيبا اذا قلت كانا اثنين ولم يكن لهما ثالث وثلاثة ولم يكن لهما رابع وايضا فانه لو اراد هذا المعنى لم يكن فى البيت فائدة البتة لانه كان يكون المعنى حينئذ ان بابك ثانى مازيار فاى فائدة فى هذا مع ما فيه من الخطأ الفاحش واى تعلق لهذا المعنى بما قبله فى البيت وقال فى اخر قصيدة

شامت بروقك آمالى بمصر ولو * اضحت على الطوس لم تستبعد الطوسا

(وهذه الاعتراضات من العبث المحض لان لها اوجها فى العربية)

فادخل فى طوس الالف واللام وهى اسم بلدة معروفة وقال احدى بنى بكر بن عبد مناه وانما هى مناة فى الادراج كما قال الله تبارك وتعالى ومناة الثالثة الاخرى وانما تكون بالهاء فى الوقف لا فى الحركة والدرج وقال فى هذه القصيدة لولا صفات فى كتاب الباه وانما هى الباءة بالمد فى تقدير الباعة وان كان قد حكى الباه فى بعض اللغات الرديئة والردى لا يعتد به وقال فكم من هوآ فيك صاف غذى جو وهوى وبى فقال غذى وهو غذ بالتخفيف وقال فى قصيدة على الاعادى ميكال وجبريل فاوقع الاعراب على الاعادى وذلك غير جايز لمتاخر وقال

ستين الفا وسبعينا ومثلهما * كتائب الخيل تحميها الاراجيل

(يحتمل انه الاراجيل اى الاراجل فزاد الياء كما زادها الشاعر فى قوله نفى الدراهم الخ او جمع ارحل بالحاء للابيض الظهر من الخيل)

فنون النون من سبعين وهذا لا يسوغه محدث ونحو هذا مما ليست بنا حاجة الى ذكره لانا لم نتبعه ولا عرفناه به لما وصفنا فى باب اللحن وكثرته فى اشعار المتاخرين

وانما عبنا بخطائه فى معانيه واحالته فى استعاراته وكثرة ما يورده من الساقط والغث البارد مع سوء سبكه ورداءة طبعه وسخافة لفظه مما سنذكره فى باب آخر من الاحتجاج عليكم فاما ما عبتم به البحترى من قوله

يخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

فما زالت الرواة وشيوخ اهل الادب والعلم يستحسنون هذا البيت ويستجيدونه له وذكره عبد الله بن المعتز وقد علمتم فضله وعلمه بالشعر فى باب ما اختاره من التشبيه فى كتابه الذى نسبه الى البديع ولكنكم ابيتم الا افساده ثم اجلبتم واكثرتم ان تنعوا على شاعر محسن بيتا واحدا فما زلتم تتنون وتتمحلون حتى وجدتم ابياتا تحتمل من التاويل ما يحتمله الاول وهو قوله ضحكات فى اثرهن العطايا * وبروق السحاب قبل رعوده وكلا البيتين الى الصواب اقرب ومن الخطا ابعد فاما قوله

يخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

فانما قصد الى وصف هيئة الشراب فى الاناء ولم يقصد الى وصف الشراب خاصة ولا الى الاناء كما ادعيتم ولو اراد وصف الاناء لكان مصيبا لان الزجاجة ايضا يوصف ما فيها وتقع المبالغة فى نعتها وقد جاء فى وصف اوانى الشراب ما جاء ومن احسن ما قيل فى ذلك قول على بن العباس بن جريج الرومى يصف قدحا

تنفذ العين فيه حتى تراها * اخطاته من رقة المستشف

كهواء بلا هباء مشوب * بضياء ارقق بذاك واصف

وسط القدر لم يكبر لجرع * متوال ولم يصغر لرشف

لا تجول على العقول جهول * بل حليم عنهن من غير ضعف

فالزجاجة اذا رقت وصفت وسلمت من الكدر اشتد صفاؤها وبريقها فاذا وقع فيها الشراب الرقيق اتصل الشعاعان وامتزج الضوءان فلم تكد الزجاجة تتبين للناظر ولو جعلها دبسا او عسلا او لبنا وماء كدرا فى اناء هذه صفته فى الرقة لما خفى الاناء على الناظر لان هذه الاشياء لا شعاع لها ولا ضياء يتصل بشعاع الاناء وضوءه وقد سبقه الى هذا المعنى على بن جبلة فقال

كان يد النديم تدير منها * شعاعا لا تحيط عليه كاس

وقال اخر انشده ابو الحسن على بن سليمان الاخفش

واذا ما مزجت فى كاسها * فهى والكاس معا شئ احد

(سيرويه بعد هنا واذا ما نزلت فى كاسها)

فانتم فى هذه المعارضة بالخطا اجدر وبالعيب احرى فاما قوله وبروق السحاب قبل رعوده فانه اقام الرعد مقام الغيث لانه مقدمة له وعلم من اعلامه ودليل من اقوى دلائله الا ترى ان برق الخلب لا رعد معه وقد قال الاعشى

والشعر يستنزل الكريم كما * استنزل رعد السحابة السبلا

فجعل الرعد هو الذى يستنزل المطر وقال الكميت

وانت فى الندوة الجماد اذا * اخلف من انجم رواعدها

واذا كان البرق ذا رعد فقلما يخلف ومثل هذا فى كلام العرب مما ينوب الشى عن الشى اذا كان متصلا به او سببا من اسبابه او مجاورا له كثير فمن ذلك قولهم للمطر سماء ومنه قولهم ما زلنا نطأ السماء حتى اتيناكم قال الشاعر

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

يريد اذا سقط المطر رعيناه يريد رعينا النبت الذى يكون عنه ولهذا سمى النبت ندى لانه عن الندى يكون وقالوا ما به طرق اى ما به قوة والطرق الشحم فوضعوه موضع القوة لان القوة عنه تكون وقولهم للمزادة راوية وانما الراوية البعير الذى يسقى عليه الماء فسمى الوعاء الذى يحمله باسمه ومن ذلك الحفض متاع البيت فسمى البعير الذى يحمله حفضا ومن ذلك قول المسيب بن علس وتمد ثنى جديلها بشراع اراد بدقل فقال بشراع لان الشراع عليه يكون وهذا باب واسع وايسر من ان يحتاج الى استقصائه وبعد فلو كان هذان البيتان خطأ كما ادعيتم واخذتم على هذا الشاعر المجتمع على احسانه غلطا من غيرهما فى شعره لما كان بذلك داخلا فى جملة المسبوقين ولا الخاطئين فى الشعر لجودة نظمه واستواء نسجه ووقوع لفظه فى مواقعه ولان معانيه تصح بالنقد وتخلص على السبك وابو تمام يتدهرج شعره عند التفتيش والبحث ولا تصح معانيه على التفسير والشرح قال صاحب ابى تمام لئن اسرفتم فى الذم وبالغتم على صاحبنا فى الطعن وتجاوزتم الحد الذى يقف عنده المحتج المناظر الى مذهب المتعنت المغالط والمتعصب المتحامل فلسنا نمنع ان يكون صاحبنا قد وهم فى بعض شعره وعدا عن الوجه الاوضح فى كثير من معانيه وغير منكر لفكر نتج من المحاسن ما نتج وولد من البدائع ما ولد ان يلحقه الكلال فى الاوقات والزلل فى الاحيان بل من الواجب لمن احسن احسانه ان يسامح

فى سهوه ويتجاوز له عن زلله فما راينا احدا من شعرآء الجاهلية سلم من الطعن ولا من اخذ الرواة عليه الغلط والعيب هذا الاصمعى قد عاب امرء القيس بقوله

واركب فى الروع خيفانة * كسا وجهها سعف منتشر

(اركب فعل مضارع وخيفانة هى فى الاصل الجرادة ثم تشبه بها الفرس فى الخفة)

وقال شبه شعر الناصية بسعف النخلة والشعر اذا غطى العين لم يكن الفرس كريما وذلك هو الغمم والذى يحمد فى الناصية الجثلة وهى التى لم تفرط فى الكثرة فتكون الفرس غمآ والغمم مكروه ولم تفرط فى الخفة فتكون الفرس سفوآ والسفا ايضا مكروه فى الخيل والجيد ما قال عبيد

مضبر خلقها تضبيرا * ينشق عن وجهها السبيب

(المضبر الملزز الخلق المكتنز اللحم والسبيب الذنب والعرف والناصية)

وروى ذلك عنه ابو حاتم سهل بن محمد السجستانى وقال ايضا سمعت الاصمعى يقول اخطا امرؤ القيس فى قوله

لها متنتان خظاتا كما * اكب على ساعديه النمر

لان المتن لايوصف بكثرة اللحم ويستحب منه التعريق وكذلك الوجه كما قال طفيل معرقة الالحى تلوح متونها واخذ عليه فى قوله فى وصف الفرس

فللسوط الهوب وللساق درة * وللزجر منه وقع اخرج مذهب

وقال هذه الفرس بطيئة لانها تحوج الى السوط والى ان تركض بالرجل وتزجر ويقال ان اول من عابه بهذا البيت زوجته لما احتكم اليها هو وعلقمة الفحل فغلبت علقمة فطلقها وقد اخذ ايضا عليه قوله اغرك منى ان حبك قاتلى وقال اذا لم يغر هذا فاى شئ يغر وعيب زهير ابن ابى سلمى بقوله

يخرجن من شربات ماؤها طحل * على الجذوع يخفن الغم والغرقا

وقالوا ليس خروج الضفادع من المآء خوف الغم والغرق وانما ذلك لانها تبيض فى الشطوط وعيب على كعب ابنه قوله ضخم مقلدها فعم مقيدها وقالوا انما توصف النجائب برقة المذبح واخذ على النابغة قوله يصف عنق المرأة بالطول

اذا ارتعثت خاف الجبان رعاثها * ومن يتعلق حيث علق يفرق

وهذا قريب من قول ابى نواس لتخافك النطف التى لم تخلق بل ابو نواس اعذر لقوله لتخافك يريد لتكاد تخافك والشعرآء تسقط تكاد فى الشعر وهى تريدها

وجاء فى القرآن مثل ذلك قال الله عز وجل وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقال الشاعر يتقارضون اذا التقوا فى موطن * نظرا يزيل مواطىء الاقدام اى نظرا يكاد يزيل فاضمر يكاد واللام اذا جاءت كانت ادل عليها قال الله جل وعز وبلغت القلوب الحناجر اى كادت واخذ على النابغة قوله

الكنى ياعيين اليك قولا * ستحمله الرواة اليك عنى

وقالوا قوله الكنى اى كن لى رسولا فكيف يكون الكنى اليك عنى فاعتذر له الاصمعى وقال هذا مما حملته الرواة على النابغة كانه يدفع ان يكون قاله واخذ على المسيب قوله

وقد اتناسى الهم عند احتضاره * بناج عليه الصيعرية مكدم

قال الصيعرية صفة للنوق لا للفحول فسمعه طرفة بن العبد وهو صبى فقال استنوق الجمل وضحك منه ويقال ان المسيب قال اخرج لسانك يافتى فاخرجه فقال ويل لهذا من هذا يعنى راسه من لسانه واخذ على المرقش قوله

صحا قلبه عنها سوى ان ذكره * اذا خطرت دارت به الارض قائما

قالوا من اذا ذكر دارت به الارض ليس بصاح واخذ على عدى بن زيد قوله يبد الجياد فارها متتابعا وقالوا لايقال للفرس فاره وانما يقال له جواد وكريم والفاره البغل والحمار واخذ عليه ايضا قوله فى صفة الخمر

والمشرف الهندى يسقى به * اخضر مطموثا بماء الحريض

الحريض سحابة تحرض وجه الارض اى تقشره لشدتها ويقال الحريض اسم نهر بناحية الحيرة فوصف الخمر بالخضرة وما وصفها بذلك احد غيره واخذ على الاعشى قوله

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى * شاو مشل شلول شلشل شول

وقالوا هذه الالفاظ كلها التى بعد شاو متقاربة فى المعنى وقرى على الاصمعى قول ابى ذوئب الهذلى

قصر الصبوح لها فشرج لحمها * بالنىء فهى تثوخ فيها الاصبع
تابى بدرتها اذا ما استكرهت * الا الحميم فانه يتبضع

فقال هذه الفرس تساوى درهمين لانه جعلها كثيرة اللحم رخوة يدخل فيها الاصبع حرونا اذا حركت قامت الا العرق فانه يسيل وقرى على الاصمعى قول ابى

النجم يسبح اخراه ويطفو اوله فقال جار الكساح اذا افره منه وعاب الاصمعى ذا الرمة بقوله

حتى اذا دومت فى الارض ادركها * كبر ولو ولو شاء نجى نفسه الهرب

وقال الفصحاء لايقولون دوم فى الارض وانما يقولون دوم فى الهواء اذا حلق ودوى فى الارض اذا ذهب وكان الاصمعى ايضا يعيبه فى قوله وتفرى غبيط النجم والنساء جامس وقال انما يقال للجامد من السمن وما اشبه جامس وروى ذلك عنه ابو حاتم وحكى ابو نصر عن الاصمعى قال كنا نظن الطرماح شيئا حتى قال

واكره ان يعيب على قومى * هجاى الارذلين ذوى الحنات

لانها احنة واحن ولا يقال حنات واخذ على الاخر قوله

فما رقد الولدان حتى رايته * على البكر يمريه بساق وحافر

فسمى رجل الانسان حافرا وهذه استعارة فى نهاية القبح وكذلك قول الآخر

قد افنى اناماه عضه * فاضحى يعض على الوظيفا

فجعل له وظيفا مكان الرجل وكذلك قول الآخر

سامنعها او سوف اجعل امرها * الى ملك اظلافه لم تشقق

وقال الحطيئة

قروا جارك العيمان لما جفوته * وقلص عن برد الشباب مشافره

وعيب على ايمن بن خريم قوله يمدح بشر بن مروان

فانا قد وجدنا ام بشر * كام الاسد مذكارا ولودا .

وقالوا اخطأ فى ان جعل ام الاسد ولودا لان الحيوانات الكريمة عسرة نزرة النتاج والصواب قول كثير بغات الطير اكثرها فراخا وام الصقر مقلات نزور وقال جرير صارت حنيفة اثلاثا فثلثهم من العبيد وثلث من مواليها فقيل لرجل من بنى حنيفة من اى الثلاث انت فقال من الثلث الملغى وسمع اسحاق بن ابراهيم الموصلى عمارة بن عقيل ينشد لجرير

لما تذكرت بالديرين ارقنى * صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

فقال اخطا والله ابوك التاذين لايكون فى اول الليل وقال من طلب العذر لجرير ارقنى انتظار صوت الدجاج وعاب الاخطل الفرزدق فى قوله

ابنى غدانة اننى حررتكم * فوهبتكم لعطية بن جعال

لو لاعطية لاجتدعت انوفكم * من بين الأم اعين وسبال

قال وكيف وهبهم له وهو يهجوهم بمثل هذا الهجاء وقال عطية حين بلغه الشعر ما اسرع ما رجع اخي في هيئته ومدح الفرزدق الحجاج وقد دخل عليه ببيت واحد فقال

ومن يأمن الحجاج والطير تتقى * عقوبته الا ضعيف العزائم

فقال له الحجاج الطير تتقى الثور وتتقى الظبي ما جئت بشئ وانما اراد الفرزدق الطائر الذى يطير في السماء فليست تناله يد واخذ على الاخطل قوله في عبد الملك ابن مروان

وقد جعل الله الخلافة منهم * لابيض لاعارى الخوان ولا جدب

وهذا لايمدح به خليفة واراد ان يمدح رجلا من بني اسد كان اجاره فهجاه وكان يقال لقوم الرجل القيون يعيرون بذلك فقال

قد كنت احسبه قينا وانبأه * فاليوم طير عن اثوابه الشرر

اى فاليوم نفى ذلك عن نفسه فما زاد على ان نبه عليه وقد كان له في المدائح مسح واراد ان يهجو سويد بن منجوف فمدحه وذلك قوله

فما جزع سوء خرب السوس وسطه * لما حملته وائل بمطيق

واخذ على الفرزدق قوله يمدح وكيع بن ابي سويد

اذا التقت الابطال ابصرت وجهه * مضيئا واعناق الكماة خضوع

فقالوا اساء القسمة واخطأ الترتيب وانما كان يجب ان يقول ابصرته ساميا واعناق الملوك خضوع او ابصرت لونه مضيئا والوان الكماة كاسفة ومن خطا الشعر قول عدى بن الرقاع يذكر البارى تبارك وتعالى

وكفك بسطة وندى وسمح * وانت المرء تفعل ما تقول

فجعل ربه مرءا وعابه الاصمعي في قوله

لهم راية تهدى الجموح كانها * اذا خطرت في ثعلب الرمح طائر

وقال الراية لاتخطر انما الخطران للرمح ومن فاسد اللفظ وقبيحه قول ذى الرمة

فاضحت مباديها قفارا رسومها * كان لم سوى اهل من الوحش توهل

اراد كان لم توهل سوى اهل من الوحش ومن خطا المديح قول الكميت يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

الى السراج المنير احمد لا * تعدلني رغبة ولا رهب
عنه الى غيره ولو رفع النا * س الى العيون وارتقبوا
وقيل افرطت بل قصدت ولو * عنفني القائلون او ثلبوا
لج بتفضيلك اللسان ولو * اكثر فيك الضجاج واللجب

فمن يعنفه ويؤنبه على مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكثر عليه فيه الضجاج واللجب وهذا لو كان قاله بين المشركين وفي صدر الاسلام لعل العذر كان يتسع له فيه وقد اعتذر له معتذر واحتج محتج بان قال لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم خاصة بهذا الخطاب وانما اراد اهل بيته لانه قد قال فيهم من الشعر ما قال ولان بني امية كانت تعنف من يمدحهم وتنكر اشد الانكار على من ينحونهم ويغرق في الثناء عليهم والوصف لهم وعيب ايضا الكميت بان جمع كلمتين لا تشبه احداهما الاخرى وذلك قوله

وقد رأينا بها حورا منعمة * رود تكامل فيها الدل والشنب

وقال الدل انما يكون مع الغنج او نحوه والشنب انما يكون مع اللعس او ما يجري مجراه من اوصاف الثغر والفم والجيد ما قاله ذو الرمة

لمياء في شفتيها حوة لعس * وفي اللثات وفي انيابها شنب

ولو استقصينا هذا الباب لطال جدا وانما اوردنا ههنا منه مثالا لتعلموا ان فحول الشعراء الذين غلبوا عليه وافتتحوا معانيه وصاروا قدوة واتبعهم الشعراء واحتذوا على حذوهم وبنوا على اصولهم ما عصموا من الزلل ولا سلموا من الغلط هذا في المعاني التي هي المقصد والمرمى والغرض فاما ما بوبه النحويون من عيوب الشعر في الاقواء والاكفاء والسناد وغير ذلك مما هو عيب في اللفظ دون المعنى فليست بنا حاجة الى ذكره لكثرته وشهرته وكذلك ما اخذته الرواة على المحدثين المتاخرين من الغلط والخطا واللحن اشهر ايضا من ان يحتاج الى ان نبرهنه او ندل على ذلك فلم يك احد من متقدم ولا متاخر في خطائه ولا سهوه وغلطه مجهول الحق ولا مجحود الفضل بل عفي عندكم احسانه على اساءته وعلا تجويده على تقصيره فكيف خصصتم ابا تمام دون غيره بالطعن وعبتموه دون من سواه بالزلل والوهن ولم يك بذلك بدعا ولا منفردا ولا اليه سابقا فبخستم حق الاحسان الذي انتشر في الافاق وساوت به الركبان وتمثل به المتمثل وتادب بحفظه

وانشاده المتادب مما ان ذكرنا. لم تنكروه واقررتم بفضله واجمتم على استجادته واستحسانه فهل الظلم المستقبح والتعصب المستهجن الا ما انتم مرتكبوه وخابطون فيه قال صاحب البحترى اما اخذ السهو والغلط على من اخذ من المتقدمين والمتاخرين فى البيت الواحد والبيتين والثلاثة وربما سلم الشاعر المكثر من ذلك بتة وتعرى منه حتى لاتوخذ عليه لفظة وابو تمام لاتكاد تخلو له قصيدة واحدة من عدة ابيات يكون فيها مخطئا او محيلا او عن الغرض عادلا او مستعيرا استعارة قبيحة او مفسدا للمعنى الذى يقصد بطلب الطباق والتجنيس اومبهما بسوء العبارة والتعقيد حتى لايفهم ولا يوجد له مخرج مما لو عددناه لكان كثيرا فاحشا فكيف يكون ما اخذ على الشعرآء من الوهم وقليل الغلط عذرا لمن لا تحصى معايبه ومواقع الخطأ فى شعره وعلى ان اكثر ما عددتموه مما اخذته الرواة على الشعرآء صحيح والسهو فيه انما دخل على الرواة ولو كان هذا موضع ذكره لذكرناه قال صاحب ابى تمام الطائى فيم تدافعون قول البحترى يرثى ابا تمام ودعبلا ويذم من بقى بعدهما من الشعرآء

قد زاد فى حزنى واوقد لوعتى * مثوى حبيب يوم مات ودعبل
وتقاصرت بالخثعمى وشبهه * من كل مطرب القريحة مخبل
اهل المعانى المستحيلة ان هم * طالبوا البرعة بالكلام المقفل
اخوى لاتزل السمآء مخيلة * تغشاكما بحيا السحاب المسبل
جدث لدى الاهواز يبعد دونه * مسرى النعى ورمة بالموصل

فحال ان يرثى البحترى ابا تمام ويذكر من بعده من الشعرآء بان قرائحهم مضطربة ومعانيهم مستحيلة وعنده ان ابا تمام تلك صفته فلم تنكرون فضل من يعترف البحترى بفضله ويشهد فى الشعر له وتنسبون العيب اليه وهذه صفته عنده وتلحقونه به وهو يبرئه منه قال صاحب البحترى ولم لايفعل البحترى ذلك وقد كان هو وابو تمام بعد اجتماعهما وتفارقهما متصافيين على القرب والبعد متحابين متلائمين على الدنو والشحط يجمعهما الطلب والنسب والمكتسب ولم يكن فى زمانهما شاعر مشهور يفد على الملوك ويجتدى بالشعر وينتسب الى طى سواهما فليس بمنكر ان يشهد احدهما لصاحبه بالفضل ويصفه باحسن ما فيه وينحله ما ليس فيه وخاصة فى الشعر ثم تابين الميت فان العادة جرت بان يعطى من التقريظ والوصف وجيل

الذكر اضعاف ما كان يستحقه فلا تدفعوا العيان فلن يمحق وصف البحتري
ابا تمام فى حياته وتابينه اياه بعد وفاته ما ظهر من مقابحه وفضائح شعره
قال صاحب ابي تمام فقد علمتم وسمعتم الرواة وكثيرا من العلماء بالشعر يتولون
جيد ابى تمام لايتعلق به جيد امثاله واذا كان كل جيد دون جيده لم يضر ما
يؤثر من رديئه قال صاحب البحتري انما صار جيد ابى تمام موصوفا لانه
ياتى فى تضاعيف الردى الساقط فيجيء رائقا لشدة مباينته ما يليه فيظهر فضله
بالاضافة ولهذا قال له ابو هفان اذا طرحت درة فى بحر خرء فمن الذى يغوص
عليها ويخرجها غيرك والمطبوع الذى هو مستوى الشعر قليل السقط لايبين جيده
من سائر شعره بينونة شديدة ومن اجل ذلك صار جيد ابى تمام معلوما وعدده
محصورا وهذا عندى انا هو الصحيح لانى نظرت فى شعر ابى تمام والبحترى وتلقطت
محاسنهما ثم تصفحت شعريهما بعد ذلك على مر الاوقات فما من مرة الا وانا الحق
فى اختيار شعر البحترى ما لم اكن اخترته من قبل وما اعلم انى زدت فى اختيار
شعر ابى تمام ثلاثين بيتا على ما كنت اخترته قديما قال صاحب ابى تمام افتنكرون
كثرة ما اخذه البحترى من ابى تمام واغراقه فى الاستعارة من معانيه فانهما اولى
بالتقدمة المستعير او المستعار منه وقد ابتدأنا بالجواب عن هذا فى صدر كلامنا
ونحن نتمه فى هذا الموضع ان شاء الله تعالى اما ادعاؤكم كثرة الاخذ منه فقد قلنا
انه غير منكر ان يكون اخذ منه من كثرة ما كان يرد على سمع البحترى من شعر
ابى تمام فيعلق معناه قاصدا الاخذ او غير قاصد لكن ليس كما ادعيتم وادعاه
ابو الضيا بشر بن تميم فى كتابه لانا وجدناه قد ذكر ما يشترك الناس فيه وتجرى
طباع الشعراء عليه فجعله مسروقا وانما السرق يكون فى البديع الذى ليس للناس فيه
اشتراك فما كان من هذا الباب فهو الذى ذكره البحترى من ابى تمام لا ما ذكره
ابو الضيا وحشا به كتابه وانا اذكر هذين الشيئين فى موضعهما من الكتاب وابين
ما اخذه البحترى من ابى تمام على الحقيقة دون ما اشتركا فيه اذ كان غير منكر
لشاعرين متناسبين من اهل بلدين متقاربين ان يتفقا فى كثير من المعانى
لا سيما ما تقدم الناس فيه وتردد فى الاشعار ذكره وجرى فى الطباع والاعتياد
من الشاعر وغير الشاعر استعماله وبعد فينبغى ان تتاملوا محاسن البحترى ومختار
شعره والبارع من معانيه والفاخر من كلامه فانكم لا تجدون فيه على غزره وكثرته

حرفا واحدا مما اخذه من ابى تمام واذا كان ذلك انما يوجد فى المتوسط من شعره فقد قام الدليل على انه لم يعتمد اخذه وانه انما كان يطرق سمعه فيلتبس بخاطره فيورده (تم احتجاج الخصمين بحمد الله) وانا ابتدى بذكر مساوى هذين الشاعرين لاختم بذكر محاسنهما واذكر طرفا من سرقات ابى تمام واحالاته وغلطه وساقط شعره ومساوى البحترى فى اخذ ما اخذه من معانى ابى تمام وغير ذلك من غلط فى بعض معانيه ثم اوازن من شعريهما بين قصيدتين اذا اتفقتا فى الوزن والقافية واعراب القافية ثم بين معنى ومعنى فان محاسنهما تظهر فى تضاعيف ذلك وتنكشف ثم اذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجود من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه وافرد بابا لما وقع فى شعريهما من التشبيه وبابا للامثال اختم بهما الرسالة واضع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما واجعله مولفا على حروف المعجم ليقرب متناوله ويسهل حفظه وتقع الاحاطة به ان شا الله تعالى (سرقات ابى تمام) كان ابو تمام مشتهرا بالشعر مشغوفا به مشغولا مدة عمره بتخميره ودراسته وله كتب اختيارات فيه مشهورة معروفة فمنها الاختيار القبائلى الاكبر اختار فيه من كل قصيدة وقد مر على يدى هذا الاختيار ومنها اختيار آخر ترجمته القبائلى اختار فيه قطعا من محاسن اشعار القبائل ولم يورد فيه كبير شئ للمشهورين ومنها الاختيار الذى تلقط فيه محاسن شعر الجاهلية والاسلام واخذ من كل قصيدة شيا حتى انتهى الى ابراهيم بن هرمة وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعرآء الفحول ومنها اختيار تلقط فيه اشيا من الشعرآ المقلين والشعرآء المغمورين غير المشهورين وبوبه ابوابا وصدره بما قيل فى الشجاعة وهو اشهر اختياراته واكثرها فى ايدى الناس ويلقب بالحماسة ومنها اختيار المقطعات وهو مبوب على ترتيب الحماسة الا انه يذكر فيه اشعار المشهورين وغيرهم والقدمآء والمتاخرين وصدره بذكر الغزل وقد قرأت هذا الاختيار وتلقطت منه نتفا وابياتا كثيرة وليس بمشهور شهرة غيره ومنها اختيار مجرد فى اشعار المحدثين وهو موجود فى ايدى الناس وهذه الاختيارات تدل على عنايته بالشعر وانه اشتغل به وجعله وكده واقتصر من كل الاداب والعلوم عليه فانه ما شئ كبير من شعر جاهلى ولا اسلامى ولا محدث الا قراه واطلع عليه ولهذا اقول ان الذى خفى من سرقاته اكثر مما ظهر منها على كثرتها وانا اذكر ما وقع الى فى كتب الناس من سرقاته وما استنبطته انا

منها واستخرجته فان ظهرت بعد ذلك منها على شئ الحقته بها ان شا الله قال الكميت الاكبر وهو الكميت بن ثعلبة

ولا تكثروا فيها الضجاج فانه * محا السيف ما قال ابن دارة اجمعا

اخذه الطائى فقال السيف اصدق انبآء من الكتب وذلك ان اهل التنجيم كانوا حكموا بان المعتصم لايفتح عمورية وراسلته الروم انا نجد فى كتبنا ان مدينتنا هذه لاتفتح الا فى وقت ادراك التين والعنب وبيننا وبين ذلك الوقت شهور يمنعك من المقام فيها البرد والثلج فابى ان ينصرف واكب عليها حتى فتحها وابطل ما قالوه فلذلك قال الطائى السيف اصدق انبا من الكتب وهو احسن ابتدآآته وقال النابغة يصف يوم الحرب

تبدو كواكبه والشمس طالعة * لا النور نور ولا الاظلام اظلام

اخذه الطائى فقال وذكر ضوء النهار وظلمة الدخان فى الحريق الذى وصفه

ضوء من النار والظلماء عاكفة * وظلمة من دخان فى ضحى شحب

فالشمس طالعة من ذا وقد افلت * والشمس واجبة من ذا ولم تجب

وقال الاعشى وان صدور العيس سوف يزوركم * ثناء على اعجازهن معلق

اخذه الطائى فقال من القلاص اللواتى فى حقائبها * بضاعة غير مزجاة من الكلم

وقال مسلم بن الوليد فى صفة الخمر

قتلت وعاجلها المدير ولم يند * فاذا به قد صيرته قتيلا

اخذه الطائى واحسن الاخذ فقال

اذا اليد نالتها بوتر توقرت * على ضغنها ثم استقادت من الرجل

وان كان اخذها من ديك الجن فلا احسان له لانه اتى بالمعنى بعينه قال ديك الجن

تظل بايدينا تتعتع روحها * وتأخذ من اقدامنا الراح ثارها

كذا وجدته فيما نقلته وليس ينبغى ان يقطع على ايهما اخذ من صاحبه لانهما كانا فى عصر واحد وقال الاعشى

وارى الغوانى لايواصلن امرءا * فقد الشباب وقد يصلن الامردا

اخذ الطائى المعنى والصفة فقال

احلى الرجال من النسا مواقعا * من كان اشبههم بهن خدودا

وقال البعيث

وانا لنعطى المشرفية حقها * فتقطع فى ايماننا وتقطع

فقال الطائى

فما كنت الا السيف لاقى ضريبة * فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وقال الطائى

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

لامر عليهم ان تتم صدوره * وليس عليهم ان تتم عواقبه

اخذ صدر البيت من قول كثير

وركب كاطراف الاسنة عرسوا * قلائص فى اصلابهن نحول

ويشبه قول البعيث

اطاف بشعث كالاسنة هجد * بخاشعة الاصواء غبر صحونها

واخذ معنى البيت الثانى من قول الآخر

غلام وغى تقحمها فابلى * فخان بلاءه الدهر الخؤون

فكان على الفتى الاقدام فيها * وليس عليه ما جنت المنون

وقال جران العود يصف الخيال

سقيا لزورك من زور أتاك به * حديث نفسك عنه وهو مشغول

فذكر العلة فى طروق الخيال وهو السابق لهذا المعنى فاخذه العباس ابن الاحنف فقال

خيالك حين ارقد نصب عينى * الى وقت انتباهى ما يزول

وليس يزورنى صلة ولكن * حديث النفس عنك هو الوصول

فتبعه الطائى فقال

زار الخيال لها لابل ازاركه * فكر اذا نام فكر الخلو لم ينم

وقال فى هذا المعنى ايضا

ثم قالت زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

وقال ابو تمام الطائى

اما الهجاء فدق عرضك دونه * والمدح فيك كما علمت جليل

فاذهب فانت طليق عرضك انه * عرض عززت به وانت ذليل

اخذه من قول هشام المعروف بالخاو احد الشعراء البصريين يهجو بشار بن برد

بذلة والديك كسبت عزا * وباللؤم اجترأت على الجواب

فاخذه ابراهيم بن العباس فاجاد واحسن

تجايك عرضك منجي الذباب حمته مقاذره ان ينالا

وقال الطائي

والشيب ان طرد الشباب بياضه * كالصبح احدث للظلام افولا

اراد قول الفرزدق

والشيب ينهض فى الشباب كانه * ليل يصيح بجانبيه نهارا

فقصر عنه وقال قيس بن ذريح

بليغ اذا يشكو الى غيرها الهوى * وان هو لاقاها فغير بايغ

اخذه الطائي فقال

لم تنكرين مع الفراق تبلدى * وبراعة المشتاق ان يتبلدا

وقال الحطيئة

اذا هم بالاعدآء لم يثن همه * حصان عليها لولؤ وشنوف

فاخذه كثير فقال

اذا هم بالاعدآء لم يثن همه * حصان عليها عقد در يزينها

اخذه الطائي فخلط لقصده الى مجانسة اللفظ فقال

عداك حر الثغور المستضامة عن * برد الثغور وعن سلسالها الحصب

وقال مسلم بن الوليد

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يتبعنه فى كل مرتحل

اخذه الطائي فقال

وقد ظللت عقبان اعلامه ضحى * بعقبان طير فى الدمآء نواهل

اقامت مع الرايات حتى كانها * من الجيش الا انها لم تقاتل

فاتى فى المعنى زيادة وهى قوله الا انها لم تقاتل وجاء به فى بيتين وقد ذكر المتقدمون هذا المعنى فاول من سبق اليه الافوه الاودى وذلك قوله

وترى الطير على آثارنا * رأى عين ثقة ان ستمار

فتبعه النابغة فقال

اذا ما غزوا بالجيش حلق فوقهم * عصائب طير تهتدى بعصائب

جـوائح قـد ايقن ان قبيـله * اذا ما التقى الجمعان اول غـالب

فاخذه حميد ابن ثور فقـال يصف الذئب

اذا مـا غزا يوما رايت غيـابة * من الطير ينظرن الذى هو صانع

وقـال ابو نواس تتأى الطير غزوته * ثقة بالشبع من جزره

اى تعمد وتتقصد وقـال منصور النميرى يمدح الرشيد

وعين محيط بالبرية طرفهـا * سوآء عليه قربها وبعيدهـا

اخذه ابو تمام فقـال

اطل على كلا الافاق حتى * كان الارض فى عينيه دار

عجز هذا البيت حسن جدا وبيت النميرى احب الى لان معناه اشرح

وقـال مسلم بن الوليد

فلما انتضى الليل الصباح وصلته * بحاشية من لونه المتـورد

اخذه ابو تمام فقـال

حطت على قبة الاسـلام راحـله * والشمس قد نفضت ورسا على الاصل

هذا ما ذكـره ابن المنجم والذى اظنه انه اخذه من قول الآخر والشمس صفرآ كلون الورس وقـال مرار الفقعسى فى وصف الاثافى

اثر الوقود على جوانبها * بخـدودهن كانه لطم

اخذه ابو تمـام فقـال

اثاف كالخدود لطمن حزنا * ونؤى مثلما انفصم السوار

اورد المعنى فى مصراع واتى بالمصراع الثانى بمعنى آخر يليق به فاجاد الا ان بيت المرار اشرح واوضح معنى لقوله اثر الورود على جوانبها فابان المعنى الذى من اجله اشبه الخدود الملطومة وقـال ابو نواس

فالخمر ياقوتة والكاس لولؤة * من كف لولؤة ممشوقة القد

اخذه ابو تمام فقـال واسـآء

او درة بيضـآء بكرا طبقت * حبلا على ياقوتة حمـرآء

لان قوله حبلا كلام قبيح مستكره جدا وقـال ابو تمـام

نقل فوادك حيث شئت من الهوى * مـا الحب الا للحبيب الاول

اخذه من قول كثير

اذا وصلتنا خلة كى تزيلها * ابينا وقلنا الحاجبية اول

وذكر محمد بن داود بن الجراح فى كتابه انه اخذ المعنى من قول الطثرية اذ يقول

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى * فصادف قلبا فارغا فتمكنا

وهذا اجود ما قيل فى هذا المعنى لانه ذكر العلة وقال ابو تمام

وما سافرت فى الآفاق الا * ومن جدواك راحلتى وزادى

مقيم الظن عندك والامانى * وان قلقت ركابى فى البلاد

اخذه من قول ابى نواس

وان جرت الالفاظ يوما بمدحة * لغيرك انسانا فانت الذى نعنى

وقد كان ابن ابى داود ساله عن هذ المعنى حين انشده القصيدة فقال اهو مما اخترعته فقال اخذته من قول ابن هانى وان جرت الالفاظ يوما بمدحة وقال ابن الخياط فى قصيدة يمدح بها المهدى فاجازه بجائزة ففرقها فى الدار فبلغه فاضعف له الجائزة فقال

لمست بكفى كفه ابتغى الغنى * ولم ادر ان الجود من كفه يعدى

اخذه ابو تمام فقال

علمنى جودك السماح فما * ابقيت شيئا لدى من صلتك

وبيت ابن الخياط ابلغ واجود وقال دعبل بن على

وان امرءا اسدى الى بشافع * لدى يرجى الشكر منى لاحق

شفيعك فاشكر فى الحوائج انه * يصونك عن مكروهها وهو يخلق

اخذه ابو تمام فقال والطف المعنى واحسن اللفظ

فلقيت بين يديك حلو عطائه * ولقيت بين يدى مر سؤاله

واذا امرؤ اهدى اليك صنيعة * من جاهه فكانها من ماله

وقال مسلم بن الوليد فى الحجاب واخطا فى المعنى

كذلك الغيث يرجى فى تحجبه * حتى يرى مسفرا عن وابل المطر

اخذه ابو تمام فقال

ليس الحجاب بمقص عنك لى املا * ان السماء ترجى حين تحتجب

الا ان لبيت ابى تمام وجها من الصواب وقد ذكرته فى باب فى هذا الكتاب مع ما اخذ على مسلم فى بيته من العيب

وقال النابغة الجعدى

وتستلب الدهم التى كان ربها * ضنينا بها والحرب فيها الحرائب

فاخذه ابو تمام فقال وقصر عنه

لما راى الحرب راى العين توفلس * والحرب مشتقة المعنى من الحرب

او اخذه من قول ابراهيم بن المهدى

وسعر الحرب واسم الحرب قد علموا * لو ينفع العلم مشتق من الحرب

وقالت مريم بنت طارق ترثى اخاها فى ابيات انشدها ابن الانبارى فى اماليه

كنا كانجم ليل بينها قمر * يجلو الدجى فهوى من بينها القمر

اخذ ابو تمام اللفظ والمعنى فقال

كان بنى نبهان يوم وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

او اخذه من قول جرير يرثى الوليد بن عبد الملك

امسى بنوه وقد جلت مصيبتهم * مثل النجوم هوى من بينها القمر

ولست ادرى ايهما اخذ من صاحبه امريم اخذت من جرير ام جرير اخذ منها

وروى دعبل بن على الخزاعى لابى سلمى المزنى من ولد زهير واسمه مكنف الذى يهجو بنى القعقاع آل ذفافة العبسى فيقول * ان الضراط به تعاظم مجدكم فتعاظموا ضرطا بنى القعقاع

قال دعبل فلما مات ذفافه رثاه ابو سلمى فقال

ابعد ابى العباس يستعتب الدهر * وما بعده للدهر عتبى ولا عذر

الا ايها الناعى ذفافة ذا الندى * تعست وشلت من انا ملك العشر

ولا مطرت ارضا سماء ولا جرت * نجوم ولا لذت لشاربها الخمر

كان بنى القعقاع بعد وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

توفيت الامال بعد ذفافة * فاصبح فى شغل عن السفر السفر

يعزون عن ناو تعزى به العلا * ويبكى عليه الباس والجود والشعر

وما كان الا مال من قل ماله * وذخرا لمن امسى وليس له ذخر

قال ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح قال ابو محمد اليزيدى انشدنى دعبل هذه القصيدة وجعل يعجبنى من الطائى فى ادعائه اياها وتغييره بعض ابياتها

وقال مسلم بن الوليد يرثى

فاذهب كما ذهبت غوادى مزنة * اثنى عليها السهل والاجبال

اخذ ابو تمام المعنى وقصر فى العبارة فقال

وقفنا فقلنا بعد ان افرد الثرى * به ما يقال فى السحابة تقلع

وتقصيره عن مسلم ان مسلما قال اثنى عليها السهل والاجبال فاراد ان هذه السحابة عمت بنفعها وفى قول ابى تمام ما يقال فى السحابة تقلع ابهام لانه لم يفصح بالثناء عليها وانها نفعت وقد يقال فى السحابة اذا اقلعت ما هو غير المدح والثناء اذا نزلت فى غير حينها وفى غير وقت الحاجة اليها وكثيرا ما يضر المطر اذا كانت هذه حاله وان كان ابو تمام لم يرد هذا القسم وانما اراد القسم الآخر فقط فقصر فى العبارة والشرح الا ترى الى قول الشاعر الاول ما احسن ما شرط وهو طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمى

قال غير مفسدها لما دعا لها بالسقيا الذى يدوم وقال البحترى

الح جودا فلم تضرر سحائبه * وربما ضر عند الحاجة المطر

وقول ابى تمام ما يقال فى السحابة تقلع يحتاج الى تفسير مع سرقته

وقال العباس بن الاحنف

سأطلب بعد الدار عنكم لتقربوا * وتسكب عيناى الدموع لتجمدا

اخذه الطائى فقال

آالفة النحيب كم افتراق * اظل فكان داعية اجتماع

وبيت الاعرابى وهو عروة بن الورد اجود من بيتهما وهو قوله

تقول سليمى لو اقمت بارضنا * ولم تدر انى للمقام اطوف

وقال ابو تمام

اسربل هجر القول من لو هجرته * اذا لهجانى عنه معروفه عندى

اخذ المعنى من قول بعض الخوارج وسامه قطرى بن الفجاه قتال الحجاج فابى لان الحجاج كان من عليه فقال

اقاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقربانها مولاته

انى اذا لاخو الدناءة والذى * غطت على احسانه جهلاته

ماذا اقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف فاحتجت له فعلاته

اقول جار على لا انى اذا * لاحق من جارت عليه ولاته

وتحدث الاقوام ان صنائعا * غرست لدى فحنظلت نخلاته

وقال قيس بن الحطيم

وقضى الله حين صورها الخالق ان لايكنها سدف

اخذه ابو تمام فقال

فعجبت من شمس اذا حجبت بدت * من نورها فكانها لم تحجب

او اخذه من قول ابى نواس

ترى ضوءها من ظاهر الكاس ظاهرا * عليك ولو غطيتها بغطاء

وقال مسلم بن الوليد

يصيب منك مع الآمال طالبها * حلما وعلما ومعروفا واسلاما

اخذه ابو تمام فقال وبرز عليه وان كان بيت مسلم اجمع للمعنى

ترمى باشباحنا الى ملك * نأخذ من ماله ومن أدبه

وقال ابو نواس

تبكى البدور لضحكه * والسيف يضحك ان عبس

اراد بالبدور جمع بدرة فاخذه ابو تمام فقال وقصر عنه

كل يوم له وكل آوان * خلق ضاحك ومال كئيب

فبازآ هذا البيت قول ابى نواس تبكى البدور لضحكه وقوله والسيف يضحك ان عبس فضل وقال جرير وهن اضعف خلق الله اركانا اخذه ابو تمام فجعله فى الخمر فقال وضعيفة فاذا اصابت فرصة * قتلت كذلك قدرة الضعفاء

وقال رجل من بنى اسد وكان ابو عبدالله الجرشى احد شعرآء الشاميين انشدنيه لبعض شعرآء بنى اسد

تغيبت كى لاتحتوينى دياركم * ولو لم تغب شمس النهار لملت

اخذه الطائى فقال

فانى رايت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

فاما قول الايادى

فانى رايت الشعر يسأم دائبا * ويسأل بالايدى اذا هو أمسكا

فمن ابى تمام اخذه لانه متأخر بعده وقال مسلم بن الوليد

موف على مهج واليوم ذو رهج * كانه اجل يسعى الى امد

فاخذه الطائى فقال وقصر

راه العلج مقتحما عليه * كما اقتحم الفناء على الخاود

وقال قطرى بن الفجاة

ثم انثنيت وقد اصبت ولم اصب * جذع البصيرة قارح الاقدام

اخذه ابو تمام فقال

ومجربون سقاهم من بأسه * فاذا لقوا فكانهم اغمار

وقد ذكر هذا المعنى فى بيت آخر فقال

كهل الاناة فتى الشذاة اذا غدا * للحرب كان الماجد الغطريفا

وقال آخر

يبيع ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطعان هم تجار

ويروى بالرماح اخذه الطائى فقال وقصر وغير المعنى وجاء بغرض آخر

لقط لاخلاق التجار وانهم * لغدا بما ادخروا له لتجار

وقال ابو نواس يمدح الخصيب

فما جازه جود ولا حل دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير

وقال جرير يهجو الاخطل

ما زلت تحسب كل شئ بعدهم * خيلا تكر عليكم ورجالا

اخذه ابو تمام فقال

حيران يحسب سجف النقع من دهش نقى يحاذر ان ينقض او جرفا

واخذ جرير المعنى من قول الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم وقال مسلم يرثى

سلكت بك العرب السبيل الى العلى * حتى اذا سبق الردى بك داروا

نفضت بك الامال احلاس المنى * واسترجعت نزاعها الامصار

اخذه ابو تمام فقال

توفيت الآمال بعد محمد * فاصبح مشغولا عن السفر السفر

او اخذ ذلك من قول ابى سلمى يرثى ذفافة العبسى كما حكى دعبل

وقال نوبة بن الحمير

يقول اناس لايضرك نأيها * بلى كل ما شف النفوس يضيرها

فاخذه ابو تمام فقال وزاد فيه

لاشئ ضائر عاشق فاذا نأى * عنه الحبيب فكل شئ ضائر

وقال عنتره

فشككت بالرمح الطويل ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم

اخذه ابو تمم فقال

يحملن كل مدجج سمر القنا * باهابه اولى من السربال

قال ذلك لانه ظن ان عنترة اراد الثياب نفسها وانما اراد عنترة بقوله ثيابه نفسه

وقال مسلم بن الوليد

يكسو السيوف نفوس الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

اخذه ابو تمام واسآ الاخذ وتعسف اللفظ فقال

ابدلت رؤسهم يوم الكريهة من * قنا الطهور قنا الخطى مدعما

او اخذ المعنى جيعا من قول جرير

كان رؤس القوم فرق رما حنا * غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

وقال امرؤ القيس

سموت اليها بعد ما نام اهلها * سمو حباب المآ حالا على حال

اخذه ابو تمام وعدل به الى وجه المديح فقال

سما للعلا من جانبيه كليهما * سمو حباب المآ جاشت غواربه

وما قيل فى اخفآ الحركة والدبيب ابلغ ولا ابرع من بيت امرء القيس هذا

وقال الفرزدق يهجو جريرا

انتم قرارة كل مدفع سوءة * ولكل سائلة تسيل قرار

اخذ ابو تمام اللفظ والمعنى جيعا فقال

وكانت لوعة ثم اطمانت * كذاك لكل سائلة قرار

وقال محمد بن بشير الخارجى من خارجة عدوان

واذا رايت صديقه وشقيقه * لم تدر ايهما اخو الارحام

اخذه ابو تمام فقال

فلو ابصرتهم والزائريهم * لما مزت الحميم من البعيد

فقصر عن الاول وقال بعض الاعراب يصف المصلوب انشده ثعلب

قام ولما يستعن بساقه * الف مثواه على فراقه * كانما يضحك فى اشراقه *

اخذ ابو تمام قوله الف مثواه على فراقه فقال

لا يبرحون ومن وراهم خالهم * ابدا على سفر من الاسفار

وقال مسلم بن الوليد وهو معنى سبق اليه

لا يستطيع يزيد من طبيعته * عن المروة والمعروف احجاما

اخذ ابو تمام المعنى فكشفه واحسن اللفظ واجاده فقال

تعود بسط الكف حتى لو انه * دعاها لقبض لم تجبه اناملة

وقال ذو الرمه

وليل كجلباب العروس ادرعته * باربعة والشخص فى العين واحد

احم علافى وابيض صارم * واعيس مهرى واروع ماجد

اخذه ابو تمام فقصر وليس هو المعنى بعينه فقال

البيد والعيس والليل التمام معا * ثلاثة ابدا يقرن فى قرن

والذى اتبع ذا الرمة فاحسن الاتباع البحترى فى قوله

ياخليلى بالسواحر من ادبن معن وبحتر بن عتود

اطلبا ثالثا الى فانى * رابع العيس والدجى والبيد

وقال النابغة الذبيانى وكان الاصمعى يتعجب من جودته

وعيرتنى بنو ذبيان خشيته * وهل على بان اخشاك من عار

اخذه ابو تمام فقال وزاد ذكر الموت

خضعوا لصولتك التى هى عندهم * كالموت يأتى ليس فيه عار

وقال كعب بن زهير يمدح قريشا

لايقع الطعن الا فى نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل

اخذه ابو تمام كما قال لى بعض الرواة فقال يرثى جيدا

لو خر سيف من العيوق منصلتا * ما كان الا على هاماتهم يقع

روى الشاميون ان ابا تمام سئل عن هذا المعنى فقال اخذته من قول نادبة لو سقط حجر من السماء على رأس يتيم ما اخطأ فاما قول كعب لايقع الطعن الا فى نحورهم فانما اراد انهم لايولون الدبر وليس من معنى ابى تمام فى شئ وقال يصف الراية

تخفق اثناؤها على ملك * يرى طراد الابطال من طرده

اخذه من قول ابى نواس تعد عين الوحش من اقواتها واخذه ابو نواس

من قول ابى النجم تعد عانات الموى من مالها وقال ابو تمام يستهدى نبيذا

وهى نزر لو انها من دموع الصب لم ينسف منه حر الغليل

اخذه من قول الآخر او اخذه الآخر منه والمعنيان متشابهان

لو كان ما اهديته اعدا * لم يكف الا مقلة واحده

وقال يصف مغنية تغنى بالفارسية

ولم افهم معانيها ولكن * شجت كبدى فلم اجهل شجاها

اخذه من قول الحسين بن الضحاك على ما فى قول الخليع من المناقضه

وما افهم ما يعنى * مغنينا اذا غنى

سوى انى من حبى * له استحسن المعنى

لانه قال ما افهم ما يعنى ثم قال استحسن المعنى وانما اراد بالمعنى اللحن لامعنى القول

واجود من ذلك كله قول حميد بن ثور يصف الحمامة

ولم ار مثلى شاقه صوت مثلها * ولا عربيا شاقه صوت اعجما

وقال الفرزدق يرثى امراة له ماتت حاملا

وجفن سلاح قد رزئت فلم انح * عليه ولم ابعث عليه البواكيا

وفى بطنه من دارم ذو حفيظة * لو ان المنايا امهلته لياليا .

فقال ابو تمام واجاد اللفظ واحسن الاخذ واصاب التمثيل فقال يرثى ابنين صغيرين ماتا لعبد الله بن طاهر

لهفى على تلك المخايل فيهما * لو امهلت حتى تكون شمائلا

ان الهلال اذا رايت نموه * ايقنت ان سيكون بدرا كاملا

وقال ابو تمام

صلتان اعداؤه حيث كانوا * فى حديث من ذكره مستفاض

فاخطا فى قوله مستفاض وانما هو مستفيض وقد احتج له محتج بان قال اراد مستفاض فيه وانما جعلهم يفيضون فى ذكره لانهم ابدا على حال وجل واحتراس من ايقاعه بهم فهم لايقطعون ذكره من شدة الخوف منه الا تراه قال حيث حلوا اى هم بهذه الحال قريبا كانت دارهم منه او بعيدا واخذ هذا المعنى من قول اعشى باهلة يرثى اخاه لامه المنتشر

لايامن القوم ممساه ومصبحه * فى كل فج وان لم يغز ينتظر

او من قول عروة الصعاليك

وان بعدوا لا يامنون اقترابه * تشوف اهل الغايب المنتظر

وهذان البيتان جميعا اوضح واشرح واجود من بيت ابي تمام وقد قيل انه اراد ان اعدآءه يقرون بفضله ويفيضون فى ذكر مناقبه وذلك محتمل والمعنى الاول اقوى وافشى فى كلامهم وقال بشار بن برد

شربنا من فواد الدن حتى * تركنا الدن ليس له فواد

اخذه ابو تمام فقصر عنه فقال

غدت وهى اولى من فوادى بعزمتى * ورحت بما فى الدن اولى من الدن

وقال الاخطل

تدب دبيبا فى العظام كانها * دبيب نمال فى نقا يتهيل

اخذه ابو تمام فافسد المعنى فقال

اذا الراح دبت فيه تحسب جسمه * لما دب فيه قرية من قرى النمل

وقال ابو داود الايادى

لا اعد الاقلال عدما ولكن * فقد من قد فقدته الاعدام

اخذ ابو تمام صدر البيت فقال

لايحسب الاقلال عدما بل يرى * ان المقل من المروءة معدم

وقال ابو المهتدى

وترى سهيلا فى السمآء كانه * ثور يعارضه هجان الربرب

اخذه ابو تمام فقال

اراعى من كواكبه هجانا * سواما لاتريع الى المسيم

وقال ابو نواس

شققت من الصبا واشتق منى * كما اشتقت من الكرم الكروم

اخذه ابو تمام فقال

الذ مصافاة من الظل فى الضحى * واكرم فى اللأوآء عودا من الكرم

وقال مسلم بن الوليد

تمضى المنايا كما تمضى اسنته * كان فى سرجه بدرا وضرغاما

اخذه ابو تمام فقال

فتى من يديه البأس يضحك والندى * وفى سرجه بدر وليث غضنفر

وقال ابن هرمة

استبق عينيك لا يود البكا بهما * واكفف بوادر من عينيك تستبق

اخذه ابو تمام فقال

ليس الشؤون وان جادت بباقية * ولا الجفون على هذا ولا الحدق

وقال ايضا

ولا يبقى على ادمان هذا * ولا هذا العيون ولا القلوب

وقال ابو تمام يهجو السراج

يا ابن الخبيثة لم تعرض صخرة * صماء من مجدى بعرض زجاج

اخذه من قول الاخر واظنه بشارا

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته * فانه عربى من قوارير

وقال الشاعر

مهامه اشباه كان سرابها * ملاء بايدى الغاسلات رحيض

اخذه ابو تمام فقال

وبساط كانما الآل فيه * وعليه سحق الملاء الرحيض

وقال ابو تمام

فاشمالوا يلجلجون دؤوبا * مضغا للكلال فيها انيض

اخذه من قول زهير

تلجلج مضغة فيها انيض * اصلت فهى تحت الكشح داء

وقال ابو نواس

سن للناس الندى فندوا * فكان البخل لم يكن

اخذه ابو تمام فقال

مضوا وكأن المكرمات لديهم * لكثرة ما اوصوا بهن شرائع

وقال فى الغزل

مستحيل ان تحتويك الظنون * كيف يحوى ما لا تراه العيون

غير أنا نقول انك خلق * حركات مفعولة وسكون

اخذه من قول ابى نواس وقصر عنه

سبحان من خلق الخلق من ضعيف مهين
يسوقه من قرار * الى قرار مكين
حتى بدت حركات * مخلوقة من سكون

وقال ابو العتاهيه

كم نعمة لا يستقل بشكرها * لله فى طى المكاره كامنه

اخذه الطآى فقال واحسن لانه جآ بالزيادة التى هى عكس الشى الاول

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

وقال اخر ولست ادرى اهو قبل الطآى او فى ايامه

ما كنت احسب ان بحرا زاخرا * عم البرية كلها ارواء
اضحى دفينا فى ذراع واحد * من بعد ما ملك الفضآ فضآء

فقال الطآى وابر عليه وعلى كل من ذكر هذا المعنى

وكيف احتمالى للسحاب صنيعة * باسقآئها قبرا وفى لحده القبر (لعله بحر)

وقال آخر

نؤى كما نقص الهلال محاقه * اومثل ما فصم السوار المعصم

اخذه ابو تمام فقال ونوى مثلما انفصم السوار وقال اخر فى السحاب

كان عينين باتا طول ليلهما * يستمطران على غدرانه المقلا

فقال الطآى وحول المعنى واجاد

كان الغمام الغر غيبن تحتها * حبيبا فما ترقى لهن مدامع

وقال الطآى

وليست بالعوان العنس عندى * ولاهى منك بالبكر الكعاب

اخذه من قول الفرزوق

وعند زياد لو يريد عطاآهم * رجال كثير قد ترى بهم فقرا
قعود لدى الابواب طالب حاجة * عوان من الحاجات اوحاجة بكرا

وقال الآخر وهو معبد الهذلى

اى عيش عيشى اذا كنت منه * بين حل وبين وقت الرحيل
كل فج من البلاد كانى * طالب بعض اهله بذحول

فقال الطاى

كان له دينا على كل مشرق * من الارض اوثارا لدى كل مغرب

وقال اخر وانشده ابن ابى طاهر والاخفش للارقط بن دعبل

نهنه دموعك من سح وتسجام * البين اكثر من شوقى واسقامى

وما اظن دموع العين راضية * حتى تسح دما هطلا بتسجام

اخذ الطائى معنى البيتين ولفظهما فقال

ما اليوم اول توديعى ولا الثانى * البين اكثر من شوقى واحزانى

وما اظن النوى ترضى بما صنعت * حتى تبلغنى اقصى خراسان

وانشدنى ابن طاهر لدعبل

ان جاءه مرتغبا سائل * آلت عليه رغبة السائل

اخذه ابو تمام فقال

وانى لارجو عاجلا ان تردنى * مواهبه بحرا ترجى مواهبى

وقال دعبل بن على

واسمر فى راسه ازرق * مثل لسان الحية الصادى

اخذه الطائى فقال

مثقفات سلبن الروم زرقتها * والعرب ادمتها والعاشق القضفا

فزاد المعنى بان شبه زرقتها بزرقة الروم وسمرتها بسمرة العرب ولكن قول دعبل مثل لسان الحية الصادى ليس لحسنه نهاية وقال ابو نواس

واطعم حتى ما بمكة آكل * واعطى عطاء لم يكن بمنان

اخذ الطائى معنى صدر البيت فقال

فنول حتى لم يجد من ينيله * وحارب حتى لم يجد من يحاربه

وقال ابو نواس فى ارجوزة يصف فيها الحمام ويمدح فيها قوما

يسكرهم قبل النوال اللاحق * كالبرق يبدو قبل جود دافق

والغيث يخفى وقعه للرامق * ان لم يجده بدليل البارق

اخذ المعنى ابو تمام فقال

يستنزل الامل البعيد ببشره * بشر المخيلة بالربيع المغدق

وكذا السحائب قلما تدعو الى * معروفها الرواد ما لم تبرق

وقال ابو العتاهيه

وانا اذا ما تركنا السوال * منه فلم نبغه يبتدئيا
وان نحن لم نبغ معروفه * فمعروفه ابدا يبتغينا

وقال مسلم بن الوليد فى معنى بيت ابى العتاهيه الاول

اخ لى يعطينى اذا ما سالته * ولو لم اعرض بالسوال ابتدانيا

اخذه ابو تمام معنى البيت ومعنى بيت ابى العتاهية الاول فقال

ورايتنى فسالت نفسك سيبها * لى ثم جدت وما انتظرت سؤالى

او لعله اخذه من قول منصور النمرى

رايت المصطفى هارون يعطى * عطاء ليس ينتظر السوالا

واجود من هذا كله قول سلم الخاسر

اعطاك قبل سؤاله * فكفاك مكروه السؤال

واخذ ابو تمام معنى بيت ابى العتاهيه الثانى فقال

كالغيث ان جئته وافاك ريقه * وان تحملت عنه كان فى الطلب

وقال مسلم

وما كان مثلى يعتريك رجاؤه * ولكن اساءت شيمة من فتى محض

اخذه ابو تمام وزاد زيادة حسنة فقال

فان كان ذنبى ان احسن مطلبى * اساءة فى سوء القضا لى العذر

وانشد ابو تمام فى الحماسه

ترد السباع معى فالفى كالمدل من السباع

اخذ المعنى من فيه فقال

ابن مع السباع الماء حتى * لخالته السباع من السباع

وقال التغلب بن هاشم الازدى

يعف المرؤ ما استحيا ويبقى * نبات العود ما بقى اللحاء
وما فى ان تعيش المرؤ خير * اذا ما المرؤ زايله الحياء

اخذ ابو تمام معنى البيتين واكثر لفظهما فقال

يعيش المرؤ ما استحيا بخير * ويبقى العود ما بقى اللحاء
فلا والله ما فى العيش خير * ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

وقال ابو نواس

ابن لى كيف صرت الى حريمى * ونجم الليل مكتحل بقار

اخذه الطائى فقال

اليك هتكنا جنح ليل كأنه * قد اكتحلت منه البلاد باثمد

وسمع ابونواس يقول

تبكى فتذرى الدر من نرجس * وتلطم الورد بعناب

فقال واساءَ كل الاساءة وقبح صدر البيت

ملطومة بالورد اطلق طرفها * فى الخلق فهو مع المنون محكم

وقال ابو تمام

ومما كانت الحكماء قالت * لسان المرء من خدم الفواد

اخذه من الجعد بن ضمام احد بنى عامر بن سنان ذكره ابو تمام فى اختيارات القبائل

ان البيان مع الفواد وانما * جعل اللسان بما يقول رسولا

وقال طريح الثقفى يرثى قوما

فلله عينا من رأى قط حادثا * كفرس الكلاب الاسد يوم المنزل

اخذه ابو تمام فأجاد الاخذ فقال

من لم يعاين ابا نصر وقاتله * فما رأى ضبعا فى شدقها سبع

وهذا معنى متداول وقد يجوز ان يكون اخذه الطائى من غير هذا الموضع وقال مروان بن ابى حفصة

ما ضرنى حسد اللئام ولم يزل * ذو الفضل يحسده ذوو التقصير

اخذه ابو تمام فقال وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع

وقال ابو دهبل الجمحى

ما زلت فى العفو للذنوب واطلاق لعان بجرمه غلق

حتى تمنى البراة انهم عندك امسوا فى القد والحلق

اخذه ابو تمام فقال

وتكفل الايتام عن ابائهم * حتى وددنا اننا ايتام

وقال زيد الخيل الطائى

واسمر مربوع يرى ما رأيته * بصير اذا صوبته بالمقاتل

اخذه ابو تمام فقال

من كل اسمر نظار بلا نظر * الى المقاتل ما فى متنه اود

وقال ابو نخيلة فى مسلمة بن عبد الملك

ونوهت من ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكر انبه من بعض

اخذه ابو تمام فقال

لقد زدت اوضاحى امتدادا ولم اكن * بهيا ولا ادرى من الارض مجهلا

ولكن اياد صادفتنى جسامها * اغر فوافت بى اغر محجلا

وقال المسيب بن عاس

هم الربيع على من كان حلهم * وفى العدو منا كيد مشائيم

وقال غلافة بن عركى التميمى يرثى قوما

وكنتم قديما فى الحروب وغيرها * ميامين للادنى لاعدائكم نكدا

ومثله قول كعب بن الجزم

بنو رافع قوم مشائيم للعدى * ميامين للمولى وللمتحرم

اخذ الطائى هذا المعنى فقال فى مدح ابى سعيد

اذا ما دعوناه باجلح ايمن * دعاه ولم يظلم باصلع انكد

وقال دكين الراجز عارى الحصى يدرس ما لم ياس فقال ابوتمام

تجدد كلما لبست وتبقى * اذا ابتذلت وتخلق فى الحجاب

او اخذه من قول الراجز

عود على عود من القدم الاول * يميته الترك ويحييه العمل

يعنى طريقا وقال تميم بن ابى بن مقبل

قد كنت راعى ابكار منعمة * فاليوم اصبحت ارعى جله شرفا

يريد عجائز اخذه الطائى فقال وعدل بشطر البيت الى وجه اخر فاحسن

كنت ارعى الخدود حتى اذاما * هاروونى بقيت ارعى النجوما

وقال حسان بن ثابت الانصارى

والمال يغشى رجالا لاطباخ لهم * كالسيل يغشى اصول الدندن البالى

اخذه الطائى فقال

لاتنكرى عطل الكريم من الغنى * فالسيل حرب للمكان العالى

وقال ابو تمام فى وصف الشعر

ولكنه صوب العقول اذا انجلت * سحائب منه اعقبت بسحائب

اخذه من قول اوس

اقول بما صبت على غمامتى * ودهرى وفى حبل العشيرة احطب

وقال امية بن ابى الصلت

عطاؤك زين لامرء ان حبوته * بخير وما كل العطاء يزين

اخذه الطائى فقال

ما زلت منتظرا اعجوبة زمنا * حتى رايت سوالا يجتنى شرفا

وقال كثير

ونازعنى الى مدح ابن ليلى * قوافيها منازعة الغراب

اخذه الطائى فقال

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له * حتى ظننت قوافيه ستقتتل

وقالت محياه بنت طليق من بنى تيم الله بن ثعلبة

نعى ابنى مجل صوت ناع اصمنى * فلا آب محمودا بريد نعاهما

وقال سفيان بن عبد يغوث النصرى

صمت له اذ ناى حين نعيته * ووجدت حزنا دائما لم يذهب

اخذه الطائى فقال

اصم بك الناعى وان كان اسمعا * واصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

ونحوه قول الحارث بن نهيك الدارمى

ففقأ عينى تبكاؤه * واورث فى السمع منى صمم

وقال سعران بن عرباض القسرى

فما السائل المحروم يرجع خائبا * ولكن بخيل الاغنياء نجيب

وقال آخر وهو الشجاع القائق فى خبر عن ابن الكلبى ورواه ابن دريد

لا تزهدن فى اصطناع العرف من احد * ان الذى يحرم المعروف محروم

اخذه ابو تمام فقال

وانى ما حورفت فى طلب الغنى * ولكنما حورفتم فى المكارم

وقال عنترة والطعن منى سابق الآجال وانما اراد الاجال سابقة طعنى لشدة خوفها اذا سدد سنانه للطعن اخذه الطائى فغيره تغيرا حسنا فقال

يكاد حين يلاقى القرن من حنق * قبل السنان على حوبائه يرد

وقال عدى بن الرقاع يمدح بعض بنى مروان

واذا رايت جماعة هو فيهم * نبئت سؤدده وان لم تسأل

اخذه الطاى فقال

يحميه لالاوه ولوذعيته * عن ان يذال بمن اوممن الرجل

فقصر عدى بالممدوح اذ جعله اذا كان فى جماعة لم يعرف حتى تنبىء عنه شمائله وتبعه ابو تمام فى التقصير وقال

طلب المجد يورث المرء خبلا * وهموما تقضقض الحيزوما

فتراه وهو الخلى شجيا * وتراه وهو الصحيح سقيما

اخذ قوله وهموما تقضقض الحيزوما من قول لقيط الايادى

لا يطعم النوم الا ريث يبعثه * هم يكاد حشاه يحطم الضلعا

واخذ معنى قوله

ولهته العلى فليس يعد البوس بوسا ولا النعيم نعيما

من قول لقيط ايضا

لامترفا ان رخاء العيش ساعده * ولا اذا عض مكروه به خشعا

وقال ابو العارم الطائى

غبي العين اوفهم تغابى * عن الشدات والفكر الغواصى

اخذه ابو تمام فقال وزاد عليه واحسن

ليس الغبي بسيد فى قومه * لكن سيد قومه المتغابى

او اخذه من قول دعبل * تخال احيانا به غفلة * من كرم النفس وما اعلمه وتمثلت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وفاته عليه السلام فيما روى عنها ولا اعلم صحته * صبت على مصائب لو انها * صبت على الايام عدن لياليا ومثله قول الطاى

عادت له ايامه مسودة * حتى توهم انهن ليالى

وقال ابو اذينه

اسعى له فيعنينى تطلبه * ولو قعدت اتانى لا يعنينى

اخذه الطائى فقال

الرزق لاتكمد عليه فانه * ياتى ولم تبعث اليه رسولا

وقال الطآئى

وجه العيس وهى عيس الى الله فآضت من الهواجر شيما

اخذه من قول ابن هرمه

بدات عليها وهى عيس فاصبحت * من السبر جونا لاحقات الغوارب

وانشد الاشنانذانى فى المعانى يذكر الابل

ردت عوارى غيطان الفلا ونجت * بمثل امثـــاله من حائل العشر

اخذه ابو تمـام فقال

فكم جذع وادجب ذروة غارب * وبالامس كانت انهكته مذانبه

وقال ابو تمام

لو اصحنـا من بعده لسمعنـــا * لقلـوب الايام منك وجيبـــا

اخذه من قول ابى نواس

حتى الذى فى الرحم لم يك نطفة * لفواده من خوفه خفقـــان

وقال اخر

يا حبذا ريح الجنوب اذا غدت * بالفجر وهى ضعيفة الانفـاس

قد حلت برد الثرى وتحملت * عبقـا من الجثجاث والبسباس

اخذه الطاى فقـال

ارسى بناديك الندى وتنفست * نفسـا بعقوتك الرياح ضعيفـا

وقال نصيب

وقد عاد مآء الارض ملحـا فزادنى * على ظمـاى ان ابحر المشرب العذب

اخذه ابو تمـام فقال

كانت مجـاورة الطلول واهلهـا * زمنـا عـذاب الورد فهى بحـار

وقال غيلان بن سلمة الثقفى يصف فرسا

نهد كتنيس اقب معتـــدل * كانمـا فى صهيله جرس

اخذه ابو تمـام فقال

صهصلق فى الصهيل تحسبه * اشرج حلقومه على جرس

وقال الفرزدق

قيام ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

اخذه ابو تمام فقال

رمقوا اعالى جذعه فكانما * رمقوا الهلال عشية الافطار

وقال ابن منادر فى البرامكة

اذا وردوا بطحاء مكة اشرقت * بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر

لهم رحلة فى كل يوم الى العدى * واخرى الى البيت العتيق المستر

اخذه ابو تمام فقال

حين عنى مقام ابليس سامى * بالمطايا مقام ابراهيما

وقال ابو تمام

لحيوا بالاسنة ثم ثنوا * مصافحة باطراف الرماح

اخذ قوله لحيوا بالاسنة من قول مسلم

لحيوا باطراف القنا وتعانقوا * معانقة البغضاء غير التودد

واخذ قوله مصافحة باطراف من قول ابى اسحاق التغلبى

دنوت له بابيض مشرفى * كما يدنو المصافح للسلام

وقال جرير فى يزيد بن معاوية

الحزم والجود والايمان قد نزلوا * على يزيد امين الله فاختلفوا

الم به ابو تمام فقال

من الباس والمعروف والجود والتقى * عيال عليه رزقهن شمائله

فقال عيال عليه وهو نحو قول جرير نزلوا على يزيد ولعل ابا تمام اخذه من قول دعبل

تنافس فيه الحزم والباس والتقى * وبذل اللهى حتى اصطلحن ضرائرا

وقال الكميت يصف الخيل

يفقهن عنهم اذا قالوا ويفقههم * مستطعم صاهل منهم ومنتحم

اخذه ابو تمام فقال

وهو اذا ما ناجاه فارسه * يفهم عنه ما تفهم الانس

وقال الكميت ايضا

والقين البرود على خدود * يزين الفداغم بالاسيل

يريد بالفداغم الرخوة اللحيمة فقال ابو تمام

وثنوا على وشي الخدود صيانة * وشي البرود بمسجف وممهد

وقال الابيرد الرياحي

وكنت ارى هجرا فراقك ساعة * الا لابل الموت التفرق والهجر

اخذه ابو تمام فقال

الموت عندي والفراق كلاهما ما لا يطاق

وانشد ابو العباس المبرد للعتبي

اضحت بخدي للدموع رسوم * اسفا عليك وفي الفواد كلوم

والصبر يحسن في المواطن كلها * الا عليك فانه مذموم

قال واخذه الطاى فقال في ادريس بن بدر الشامي

دموع اجابت داعي الحزن همع * توصل منا عن قلوب تقطع

وقد كان يدعى لابس الصبر حازما * فاصبح يدعى حازما حين يجزع

قال وجاء به الطائي في موضع آخر فقال

الصبر اجمل غير ان تلذذي * في الحب احرى ان يكون جميلا

وقال الراجز انشده يعقوب بن السكيت

قد اضحت العقدة صلعاء اللمم * واصبح الاسود مخضوبا بدم

العقدة موضع ذو شجر لا يفنى فيذهب وصلعاء اللمم الجماجم وهو جمع لمة فجعله مثلا لرؤوس النبت اكلته الابل فصارت لممه صلعا والاسود الحية تطأه الابل فتعتاه فظفر بهذا ابو تمام فقال * حتى تعمم صلع هامات الربى * من نوره وتازر الاهضام والاهضام ما انخفض من الارض ووجدت ابن ابي طاهر خرج سرقات ابي تمام فاصاب في بعضها واخطأ في البعض لانه خلط الخاص من المعاني بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقا فمن السرق قولك ابي تمام

كما كاد ينسى عهد ظمياء باللوى * لديه ولكن املته عليه الحمائم

اخذه من قول العتابي

بكى واستمل الشوق من في حمامة * ابت في غصون الايك الا الترنما

اظن قوله في حمامة اراد من صوت حمامة دعته اليه الضرورة وليس هذا موضع في وقوله املته من قول العتابي واستمل وقد جاء مثله في اشعارهم وقال اخذ قوله

لا تشجين لها فان بكاءها * ضحك وان بكاءك استغرام

من قول الاخر فانى ان بكيت بكيت حقـا * وانك فى بكائك تكذبينـا
وقـال فنول حتى لم يجـد من ينيـله اخذه من قول على بن حبلة
اعطيت حتى لم تجدلك سـائلا * وبدأت اذ قطع العفاة سؤالها
وقد ذكرت اخذه هذا المعنى فيما تقدم من غير ابن جبلة وقال
انى لاعجـب ممن فى حقيبتـه * من المنى بحور كيف لا يلد
اخذه من مروان فى قوله
لوكان يحمل من هذا الورى ذكر * لكنت اول خلق الله بالولد
ومن قوله ايضا لوكان يخلق فى بطن امرء ولد * لاصبح البطن منه ضامنا ولدا
وقال يحميه لالاؤه ولوذعيته * عن ان يذال بمن اوممن الرجل
اخذه من حسان اذا ما ترعرع فينا الغلام * فما ان يقال له من هوه
وقد ذكرت اخذه هذا المعنى فيمـا تقدم من غير حسان (قال)
فلا تطلبوا اسيافهم فى جنونهـا * فقد اسكنت بين الطلى والجماجم
اخذه من قول عنترة ولم يعلم جزية ان نبلى * يكون بجفرها البطل النجيد
وقال يجنب الايام ثم يخافهـا * فكانما حسناته آثام
اخذه من قول ابى العتاهية * لم تنتقصنى اذ اسآت وزدتنى حتى كان اسآتى احسان
وقال الطآئى اجل ايها الربع الذى بان آهله * لقد ادركت فيك النوى ما تحاول
وقال لاتذيلن مصون همك وانظر * كم بذى الايك دوحة من قضيب
اخذه من قول الاشهب
عل بنى يشد الله ازرهم * والدوح ينبت عيدانا فيكتهل
وقال اطله البين حتى انه رجل * لومات من شغله بالبين ما علما
اخذه من قول ابى الشيص
وكم من ميتة قدمت فيه * ولكن كان ذاك وما شعرت
وقال فى وصف الرماح
كانما وهى فى الاكباد والغة * وفى الكلى تجد الغيظ الذى تجد
اخذه من قول النمرى
ومصلتـات كان حـقدا * منها على الهام والرقاب
وقال اذا ما اغاروا فاحتووا مال معشر * اغار عليهم فاحتوته الصنائع

اخذه من قول الآخر

اذا اسلقتهن الملاحم مغنما * دعاهن من كسب المكارم مغرم

وقال وركب كاطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطوغياهبه

وقد ذكرت اخذ هذا المعنى فيما تقدم من كثير (قال)

توفيت الآمال بعد محمد * فاصبح مشغولا عن السفر السفر

اخذه من قول عصام الجرجانى

الا فى سبيل الله آمالك التى * توفين لما اغتالك الحدثان

وقد تقدم ذكر هذا وانه اخذه من موضع آخر وقال تعليفها الاسراج والالجام

اخذه من قول جرير

حراجيج يعلفن الذميل كانها * معاطف ظبى اوحنى الشراجع

وقال ذاك الذى كان لو ان الانام له * نسل لما عابهم جبن ولا بخل

اخذه من قول ابى الشميط

لوكان جدكم شريك والدا * للناس لم تلد النساء بخيلا

وقال حمراً من حلب العصير كسوتها * بيضاً من حلب الغمام الرقرق

اخذه من قول مسلم

صفراً من حلب العصير كسوتها * بيضاً من حلب الغيوم البجس

وقال اخذ قوله بياض العطايا فى سواد المطالب من قول الاخطل

رأين بياضا فى سواد كانه * بياض العطايا فى سواد المطالب

واخذ قوله ناجيت ذكرك والظلماء عاكفة * فكان ياسيدى احلى من الشهد

من قول ابن ابى امية

كم ليلة نادمنى ذكره * يسعدنى المثلث والزير

واخذ قوله والعيش غض والزمان غلام من قول الاخطل

سعيت شباب الدهر لم تستطعهم * افالآن لما اصبح الدهر فانيا

واخذ قوله ذاك الذى احصى الشهور وعدها * طمعا لينتج سقبة من حائل

من قول اعرابى انا وجدنا طرد الهوامل * خيرا من التاتان والمسائل

وعدة العام وعام قابل * ملقوحة فى ناب بطن حائل

واخذ قوله يعلون حتى ما ينسك عدوهم * ان المنايا الحمر جى منهم

من قول مسلم بن الوليد

لو ان قوما يخلقون منية * من بأسهم كانوا بنى جبريلا

واخذ قوله لوكان فى الدنيا قبيل آخر * بازآئهم ما كان فيها معدم

من قول بشار لو كان مثلك آخر * ما كان فى الدنيا فقير

وقال فى قوله ذقنا الصدود فلما اقتاد ارسننا * حنت حنين عجول بيننا الرحم

من قول الاسود بن يعفر

سما بصرى لما عرفت مكانه * واطت الى الواشجات اطيطا

واخذ قوله صفرآ صفرة صحة قد ركبت * جثمانه فى ثوب سقم اصفر

من قول على بن رزين الكوفى بيضآ رعوبة صفرآء من غير

وقال فى قوله لم تكمدى فظننت ان لم تكمدى من قولهم

لا تنكرى جزع المحب فانه * يطوى على الزفرات غير حشاك

وقال فى قوله

سقى الغيث غيثا وارت الارض شخصه * وان لم يكن فيه سحاب ولا قطر

من قول عقيق بن سليك العامرى سقاك الغيث انك كنت غيثا

وقال فى قوله أمن بعد طى الحادثات محمدا * يكون لاثواب العلى ابدا نشر

من قول ابى نواس طوى الموت ما بينى وبين محمد * وليس لما تطوى المنية ناشر

وقوله ايضا ومن العجائب ناصح لا يشفق من قول المخبل ايضا

ولا يعدم الغاوى على الغى لائما * وان هو لم يشفق عليه يلوم

واخذ قوله من شرد الاعدام عن اوطانه * بالبذل حتى استطرف الاعدام

من قول الاعشى هم يطردون الفقر عن جارهم * حتى يرى كالغصن الناضر

وفى قول ابى تمام زيادة حسنة وهى قوله حتى استطرف الاعدام

واخذ قوله حلفت ان لم تثبت ان حافره * من صخر تدمر او من وجه عثمان

من قول الآخر لوكان حافر برذونى كاوجهكم * بنى بديل لما انعلته ابدا

ومما نسبه فيه ابن ابى طاهر الى السرق وليس بمسروق لانه مما يشترك فيه الناس من المعانى والجرى على السنتهم ومنه ما نسبه الى السرق والمعنيان مختلفان قول ابى تمام

الم تمت يا شقيق الجود مذ زمن فقال لى لم يمت من لم يمت كرمه

وقال اخذه من العتابى

ردت صنائعه اليه حياته * فكانه من نشرها منشور

ومثل هذا لايقال له مسروق لانه قد جرى فى عادات الناس اذا مات الرجل من اهل الخير والفضل واثنى عليه بالجميل ان يقولوا ما مات من خلف مثل هذا الثناء ولا من ذكر بهذا الذكر وذلك شائع فى كل امة وفى كل لسان وقال ابو تمام

اذا عنيت بشى خلت انى قد * ادركته ادركتنى حرفة الادب

وقال اخذه من الجريمى

ادركتنى بذاك اول دأبى * بسجستان حرفة الآداب

وحرفة الآداب لفظة قد اشترك الناس فيها وكثرت على الافواه حتى قد سقط ان واحدا يستملها من اخر هذا قول ابن ابى طاهر ولم يقل ابو تمام ادركتنى حرفة الادب انما قال ادركتنى حرفة العرب وقد ذكر غلطه فى هذه اللفظة عند ذكر البيت فى الموازنة

وقال فى قوله

لو يعلم العافون كم لك فى الندى * من لذة وقريحة لم تحمد

اخذه من بشار ليس يعطيك للرجاء ولا الخوف ولكن يلذ طعم العطاء

وما اخاله احتذى فى هذا البيت على قول بشار لان بشارا قال ليس يعطيك رغبة فى جزاء يرجوه ولا خوفا من مكروه ولكن لالتذاذه العطية واراد ابو تمام ان الطالبين لو علموا التذاذه الندى لم يحمدوه والمعنيان انما اتفقا فى طريق التذاذ الممدوح بعطائه فقط وهذا ليس من بديع المعانى التى يختص بها شاعر فيقال ان واحدا اخذه من الآخر لان العادة جارية بان يقال فلان لايعطى متكارها ولامتكلفا بل يعطى عن نية صادقة ومحبة لبذل المعروف تامة ونحو هذا من القول وقال فى قوله لو كان ينفخ قين الحى فى فحم من قول الاغلب

قد قاتلوا لو ينفخون فى فحم * ماجبنوا ولاتولوا من امم

وهذا معنى شائع من معانى العرب وجاز فى الامثال ان يقولوا قد فعلت كذا واجتهدت فى كذا لو كنت تنفخ فى فحم لان النفخ فى الفحم يحيى النار ويشعلها والنفخ فى حطب ليس بفحم اذا اخذت النار فيه لايورى نارا وقال فى قوله والموت خير من سؤال سؤول من قول محمود وارغب الى ملك الملوك ولاتكن بادى الضراعة

طالبا من طالب ومثل هذا لا يكون مسروقا لانه جار على الالسن ان يقال وقع سائل على سائل ومجتهد على مجتهد ووقع البأس على الفقير وامثال هذا وقال فى قوله

همة تنطح النجوم وجد * آلف للحضيض فهو حضيض

من قول اعرابى همته قد علت وقدرته * فى اللحد بين الثرى مع الكفن

وهذا ايضا من المعانى المشتركة الجارية فى العادة ان يقولوا همته فى علاء وجده فى سفال وهمته ناطقة وجده اخرس وهمة ذات حراك وجد ساكن وهمة فلان ترفعه وجده يضعه وما اشبه هذا وقال فى قوله

تقبيل الركن ركن البيت نافلة * وظهر كفك معمور من القبل

من قول عبد الله بن طاهر اعلنت له ذكره مكافأة * بان توالى فى ظهرها القبل

وليس بين المعنيين اتفاق الا بذكر قبل الكف وهذا ليس من المعانى المبتدعة لان الناس ابدا يقولون ما خلق وجهه الا للتحية وكفه الا للقبل كما قال دعبل

فباطنها للندى * وظاهرها للقبل

ومثل هذا مما نطقوا به كثيرا فلا يكون عندى مسروقا وقال فى قوله

نظرت فالتفت منها الى احلى سواد رايته فى بياض

من قول كثير

وعن نجلاء تدمع فى بياض * اذا دمعت وتنظر فى سواد

وليس بين المعنيين اتفاق الا بذكر البياض والسواد والالفاظ غير محظورة وابو تمام انما قال فالتفت منها الى احلى سواد يعنى حدقتها فى بياض يعنى شحمة عينها وهذا هو الصحيح وقد قيل سواد عينها فى بياض وجهها وكثير اراد ان عينها تدمع فى بياض اذا دمعت يريد خدها وتنظر فى سواد يعنى حدقتها وهذا المعنى غير ذلك وقال فى قوله

كم من يد لك لولا ما اخففها * به من الشكر لم تحمل ولم تطق

بالله ادفع عنى ثقل فادحها * فاننى خائف منها على عنقى

من قول ابى نواس والمعنيان مختلفان لان ابا نواس قال

لا تسدين الى عارفة * حتى اقوم بشكر ما سلفا

انت امرؤ جللتنى نعما * اوهت قوى شكرى فقد ضعفا

فذكر ان نعم الممدوح قد غلبت الشكر فاستعفاه من نعمة اخرى حتى يقوم بشكر نعمته السالفة وابو تمام قال لولا ما اخففها به من الشكر لم اطق حملها ثم احسن والطف فى قوله فاننى خائف منها على عنق ومعنى ابى نواس اجود وابرع

وقال فى قوله

اعلى الشف واطلى وقديما * كان صعبا ان تشعب القاروره

من قول الاعشى

كصدع الزجاجة ما تستطيع * كف الصناع لها ان تحيرا

قلت ووقع فى شعر الاعشى ايضا قوله

فبانت وفى الصدر صدع لها * كصدع الزجاجة لايلتئم

وهذا معنى متداول مشهور مبذول من معانيهم فى الزجاج قدنطق به الناس واكثروا فيه حتى سقط ان يقال ان ابا تمام اخذه من الاعشى وقد تقدم فيه المسيب بن علس فقال

بانت وصدع القلب كان لها * صدع الزجاجة ليس يتفق

وقال اخر

وتفرقت نياتهم فتصدعوا * صدع الزجاجة ما لها تيفاق

ومثله كثير وقال فى قوله

اذا سيفه اضحى على الهام حاكما * غدا العفو منه وهو فى السيف حاكم

من قول مسلم بن الوليد

يعدو عدوك خائفا فاذا رأى * ان قد قدرت على العقاب رجاكا

والمعنيان مختلفان لان ابا تمام قال اذا حكم سيف الممدوح على الهام حكم عفوه على السيف ومسلم قال ان عدو الممدوح يخافه فاذا راى ان قد قدر على العقاب رجاه فليس هذا المعنى من ذلك فى شئ وقال فى قوله

فان هزتم سلناها وقد غنيت * دهرا وهام بنى بكر لها غمد

من قول سعيد بن ناشب

فان اسيافنا بيض مهندة * عتق وآثارها فى هامهم جدد

والمعنيان مختلفان لان ابا تمام قال وهام بنى بكر لها غمد وهذا قال وآثارها فى هامهم جدد فهذا غير ذلك وقال فى قوله

فلو كانت الارزاق تجرى على الحجى * هلكن اذا من جهلهن البهائم

من قول ابى العتاهيه

انما الناس كالبهائم فى الرزق سوآ جهولهم والحليم

وبين المعنيين خلاف لان ابا العتاهية اراد ان رزق كل نفس ياتيها جاهلة كانت او عالمة كما ياتى البهائم وهذا قائم فى الفطرة والعقول فتتفق الخواطر فى مثله وابو تمام قال ان الرزق لوجرى على قدر العقل لهلكت البهائم وهذه زيادة فى المعنى حسنة وان كان الى مذهب ابى العتاهية يؤول وقال فى قوله

واشجيت ايامى بصبر حلون لى * عواقبه والصبر عند اسمه صبر

من قول ابى الشيص

يصبرنى قوم برآء من الهوى * وللصبر تارات امر من الصبر

فقول الناس الصبر مر والصبر كاسمه صبر وقولهم الصبر محمود العاقبة وان كان مرا لايكون مسروقا فيقال ان واحدا اخذه من آخر وقول ابى الشيص ان للصبر تارات يكون فيها امر من الصبر اى له تارات يكون فيها شديد المرارة وقول ابى تمام اشجيت ايامى بصبر حلت لى عواقبه ثم قال والصبر مر عواقبه يريد فى الحلق لوجرعته لكان مقطعه شديد المرارة وانما قال هذا ليجتمع له فى البيت حلاوة عواقبه ومرارة عواقبه هذا تفسير على ما رواه ابن ابى طاهر ولم يقل ابو تمام والصبر مر عواقبه وانما قال والصبر عند اسمه صبر وقال فى قوله

لئن ذمت الاعدآء سوء صباحها * فليس يودى شكرها الذئب والنسر

من قول مسلم لو حاكمتك فطالبتك بذحلها * شهدت عليك ثعالب ونسور

وذكر وقوع الذئاب وغيرها والنسور وما سواها من الطير على القتلى معنى متداول ومعروف وهو فى بيت ابى تمام غيره فى بيت مسلم لان مسلما قال لممدوحه ان حاكمتك يريد الفرقة والعصب التى لقيتك فى مطالبتك من قتلت منها لشهدت عليك الثعالب والنسور وابو تمام قال على سبيل الاستهزآء لئن ذمت الاعدآء سو صباحها فليس يودى الذئب والنسر شكرها لكثرة ما اكلا منها وهذا المعنى غير ذاك والله اعلم

﴿ تم الجزء الاول من الموازنة على ما جزاه مولفه والحمد لله ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم قال ابو القاسم

الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى عفا الله عنه قد ذكرت فى الجزء الاول احتجاج كل فرقة من اصحاب ابى تمام حبيب بن اوس الطائى وابى عبادة الوليد ابن عبيد الله البحترى على الاخرى فى تفضيل احدهما على الآخر وقلت انى ابتدى بعد هذا الباب بذكر معايبهما لاختم الكتاب بوصف محاسنهما فاتبعت ذلك بما خرجته من سرقات ابى تمام وبيضت آخر الجزء لالحق به ما وجدته منها فى دواوين الشعرآ فعلمت عليه وما اجده بعد ذلك فانه كثير السرقة وقد سمعت ابا على محمد بن العلا السجستانى يقول انه ليس له معنى انفرد به فاخترعه الا ثلاثة معان وهى قوله

تابى على التصريد الا نائلا * الا يكن ماً قراحا يمزق

نزرا كما استكرهت عاير نفحة * من فارة المسك التى لم تفتق

وقوله بنى مالك قد نبهت خامل الثرى * قبور لكم مستشرفات المعالم

روا كد قيس الكف من متناول * وفيها على لاترتقى بالسلالم

وقوله واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود

لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف طيب عرف العود

ولست ارى الامر على ما ذكره ابوعلى بل ارى ان له على كثرة ماخذه من اشعار الناس ومعانيهم مخترعات كثيرة وبدائع مشهورة وانا اذكرها عند ذكر محاسنه ان شاً الله تعالى ومع هذا فلم ار المنحرفين عن هذا الرجل يجعلون السرقات من كبير عيوبه لانه باب ما يعرى منه احد من الشعرآء الا القليل بل الذى وجدتهم ينعونه عليه كثرة غلطه واحالته واغاليطه فى المعانى والالفاظ وتاملت الاسباب التى ادته الى ذلك فاذا هى ما رواه ابوعبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الورقه عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن حذيفة بن احمد ان اباتمام يريد البديع فيخرج الى المحال وهذا نحو ما قاله ابو العباس عبد الله ابن المعتز بالله فى كتابه الذى ذكر فيه البديع وكذلك ما رواه محمد بن داود عن محمد بن القاسم ابن مهرويه عن ابيه ان اول من افسد الشعر مسلم بن الوليد وان اباتمام تبعه فسلك فى البديع مذهبه فتحير فيه كأنهم يريدون اسرافه فى طلب الطباق والتجنيس والاستعارات واسرافه فى التماس هذه الابواب وتوشيح شعره بها حتى صار كثير مما اتى من المعانى لايعرف ولا يعلم غرضه فيها الا مع الكد والفكر وطول التامل

ومنه ما لايعرف معناه الا بالظن والحدس ولوكان اخذ عفو هذه الاشيآ ولم يوغل فيها ولم يجاذب الالفاظ والمعانى مجاذبة ويقتسرها مكارهة وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجهامه غير متعب ولا مكدود واورد من الاستعارات ما قرب فى حسن ولم يفحش واقتصر من القول على ما كان محذوا حذو الشعرآء المحسنين ليسلم من هذه الاشيآء التى تهجن الشعر وتذهب مآءه ورونقه ولعل ذلك ان يكون ثلث شعره او اكثر منه لظننته كان يتقدم عند اهل العلم بالشعر اكثر الشعرآء المتاخرين وكان قليله حينئذ يقوم مقام كثير غيره لما فيه من لطيف المعانى ومستغرب الالفاظ لكن شره الى ايراد كل ما جاش به خاطره ولجلجة فكره فخلط الجيد بالردى والعين النادر بالرذل الساقط والصواب بالخطا وافرط المتعصبون له فى تفضيله وقدموه على من هو فوقه من اجل جيده وسامحوه فى رديئه وتجاوزوا له عن خطائه وتاولوا له التاول البعيد فيه وقابل المنحرفون عنه افراطا فبخسوه حقه واطرحوا احسانه ونعوا سيئاته وقدموا عليه من هو دونه وتجاوز ذلك بعضهم الى القدح فى الجيد من شعره وطعن فيما لا يطعن عليه واحتج بما لا تقوم حجة به ولم يقنع بذلك مذاكرة ولا قولا حتى الف فى ذلك كتابا وهو ابو العباس احمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار القطربلى المعروف بالفريد ثم ما علمته وضع يده من غلطه وخطئه الا على ابيات يسيرة ولم يقم على ذلك الحجة ولم يهتد لشرح العلة ولم يتجاوز فيما نعاه بعدها عليه الابيات التى تضمن بعد الاستعارة وهجين اللفظ وقد بينت خطاه فيما انكر من الصواب فى جزء مفرد ان احب القارى ان يجعله من جملة هذا الكتاب ويصله باجزائه فعل ذلك ان شا الله تعالى فالذى تضمن (اى الجزء) يدخل فى محاسن ابى تمام التى ذكرت انى اختم كتابى هذا بها و بمحاسن البحترى وانا الان اذكر ما غلط فيه ابو تمام من المعانى والالفاظ مما اخذته من افواه الرجال واهل العلم بالشعر عند المفاوضة والمذاكرة وما استخرجته انا من ذلك واستنبطته بعد ان اسقطت منه كل ما احتمل التاويل ودخل تحت المجاز ولاحت له ادنى علة وانا ابتدى بالابيات التى ذكرت ان ابا العباس انكرها ولم يقم الحجة على تبيين عيبها واظهار الخطأ فيها ثم استقصى الاحتجاج فى جميع ذلك لعلمى بكثرة من لايجوزه على الشاعر ويوقع له التاويل البعيد ويورد الشبه والتمويه وبالله استعين وهوحسبي ونعم الوكيل

انكر ابو العباس احمد بن عبيد الله على ابى تمام قوله

هاديه جذع من الاراك وما * تحت الصلا منه صخرة جلس

قال هذا من بعيد خطائه ان شبه عنق الفرس بالجذع ثم قال جذع من الاراك ومتى راى عيدان الاراك تكون جذوعا وتشبه بها اعناق الخيل واخطا ابو العباس فى انكاره على ابى تمام ان شبه عنق الفرس بالجذع وذلك عادة العرب وهو فى اشعارها اكثر من ان يحصى وقد بينت ذلك فيما غلط فيه ابو العباس على ابى تمام واصاب ابو العباس فى انكاره ان تكون عيدان الاراك جذوعا وان لم يلخص المعنى لان عيدان الاراك لاتغلظ حتى تصير كالجذوع ولا تقاربها فان قيل ان الشجرة من الاراك قد تعظم حتى تصير دوحة يستظل بها الجماعة من الناس والسرب من الوحوش وذلك معروف موجود وقد قال الراعى

غذاه وحولى الثرى فوق متنه * مدب الاتى والاراك الدوائح

والدوائح العظام منه جمع دوحة قيل ان الامر وان كان كذلك فى بعض شجر الاراك من علوها وتشعب اغصانها فان قائم الشجرة وعيدانها لاتغلظ ولا تمتلى امتلاء يقارب الجذوع ولاما هو دونها فى الغلظ ولو انتهت الى هذه الحالة وذلك غير معلوم لما قيل لها ايضا جذوع لان الجذع انما هو للنخلة فقط وقد يقال على سبيل الاستعارة لما يشبه بالنخلة قال الراجز

بكل طرف اعوجى صهال * يمشى اذا ما قيد مشى المختال

تحت هواد كجذوع الاوقال

فقال كجذوع الاوقال جمع وقلة وهى شجرة المقل لان فيها شبها من النخل من جهة الخوص والليف فان قيل فقد قال ذو الرمة

وهاد كجذع الساج سام يقوده * معرق احناء الصبيين اشدق

قيل ذو الرمة انما قال ذلك على التشبيه لان العود من الساج يشبه الجذع المنحوت فى غلظه وهيئته وعود الاراك من ابعد شى من ذلك لانه لا يمتد ولايستوى استواء الجذع ولاغيره من اجناس الشجر التى تمتد ابدانها علوا امتدادا مستويا وذلك لرقته وشدة التوائه وتشعبه وانكر ابو العباس قول ابى تمام

رقيق حواشى الحلم ان لو حلمه * بكفيك ما ماريت فى انه برد

وقال هذا الذى اضحك الناس منذ سمعوه الى هذا الوقت ولم يزد على هذا شيا

والخطا فى هذا ظاهر لانى ما علمت احدا من شعرآء الجاهلية والاسلام وصف الحلم بالرقة وانما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثقل والرزانة ونحو ذلك كما قال النابغة

واعظم احلاما واكبر سيدا * وافضل مشفوعا اليه وشافعا

وكما قال الاخطل

شمس العداوة حتى يستقاد لهم * واعظم الناس احلاما اذا قدروا

وكما قال ابو ذويب

وصبر على حدث النائبات وحلم رزين وقلب ذكى

وكما قال عدى الرقاع فى مثل ذلك

فى شدة العقد والحلم الرزين وفى القول الثبيت اذا ما استنصت الكلم

وقال ايضا

ابت لكم مواطن طيبات * واحلام لكم تزن الجبالا

وكما قال عدى ايضا

الجامع الحلم الاصيل وسؤددا * غمرا يقاس به وحكمة حازم

وكما قال ايضا

قرم له مع دينه وتمامه * حلم اذا وزن الحلوم ثقيل

وقال الفرزدق

احلامنا تزن الجبال رزانة * وتخالنا جنا اذا ما نجهل

وقال ايضا

انا لتوزن بالجبال حلومنا * ويزيد جاهلنا على الجهال

وكما قال الاخر

وعظيم الحلم لو وازنته * بثبير او برضوى لرجح

ومثل هذا كثير فى اشعارهم الا ترى انهم اذا ذموا الحلم كيف يصفونه بالخفة فيقولون خفيف الحلم وقد خف حلمه وقال عياض بن كثير الضبى

قبائله سود خفاف حلومهم * ذووا نيرب فى الحى يغدو ويطرق

وقال علقمة بن هبيرة الاسدى

كان جرادة صفرآ طارت * باحلام الغواضر اجمعينا

جعلها صفرا لانها ذكر وهى اسرع من الانثى واخف وقال ابن قيس

الرقيات ووجدتهما فى ديوانه والصحيح انهما لابى العباس الاعمى

بحلوم اذا الحلوم استخفت * ووجوه مثل الدنانير ملس

وقال قيس بن عيزار الكنانى

كمثل الحصى بكر ولكن خيانة * وغدر واحلام خفاف عوازب

فهذه طريقة وصفهم الحلم انما مدحوه بالثقل والرزانة وذموه بالطيش والخفة وايضا فان البرد لايوصف بالرقة وانما يوصف بالمتانة والصفاقة واكثر مايكون الوانا مختلفة كما قال يزيد ابن الطثريه

اشاقتك اطلال الديار كانما * معارفها بالابرقين برود

والابرق والبرقا من الارض ما كان فيها حجارة ورمل فقيل برقا لاختلاف الالوان فيها ومن ذلك الحبل الابرق الذى فتل من قوى مختلفة الالوان فلذلك شبه الشاعر معارف الديار بالبرود لاختلاف الوان البرود ولولا انه قال رقيق حواشى الحلم ما ظننت انه شبهه بالبرد الا لمتانته وهذا عندى من افحش الخطأ ثم قوله بكفيك كلام فى غاية السخافة واظن ابا العباس بن عمار انما انكر هذه اللفظة فقط وانى لاعجب من اتباع البحترى اياه فى البرد مع شدة تجنبه الاشيا المنكرة عليه حيث يقول

وليال كسين من رقة الصيف فخيلن انهن برود

وكيف لم يجد شيا يجعله مثلا فى الرقة غير البرد ولكن الجيد فى وصف الحلم قوله متبعا للمذهب الصحيح المعروف خفت الى السودد المجفو نهضته ولو يوازن رضوى حلمه رجحا وقوله فلو وزنت اركان رضوى ويذبل * وقيس بها فى الحلم خف ثقيلها وابوتمام لايجهل هذا من امر الحلم ويعلم ان الشعرا اليه تقصد واياه تعتمد ولعله قد اورد مثله ولكنه يريد ان يبتدع فيقع فى الخطا وانكر ابوالعباس على ابى تمام قوله

من الهيف لو ان الخلاخل صورت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل

ولم يذكر موضع العيب فيه ولا اراه علمه وهذا الذى وصفه ابوتمام ضد ما نطقت به العرب وهو اقبح ما وصف به النساء لان من شان الخلاخيل والبرين ان توصف بانها تعض فى الاعضاد والسواعد وتضيق فى الأسوُق فاذا جعل خلاخيلها وشحا تجول عليها فقد اخطأ الوصف لانه لايجوز ان يكون الخلخال الذى من شانه ان يعض بالساق وشاحا جائلا على جسدها لان الوشاح هو ما تقلده المراة منشحة به فتطرحه على عاتقها فيستبطن الصدر والبطن وينصب

جانبه الآخر على الظهر حتى ينتهى الى العجب وتلتقى طرفاه على الكشح الايسر فيكون منها فى موضع حمائل السيف من الرجل واذا كانت هذه صورة الوشاح فغير جائز ان يوصف بالسعة والطول ليدل على تمام المراة وطولها ويكون ذلك لائقا بتشبيه النساء فى البيت الثانى بقنا الخط وانما يوصف الوشاح بالقلق والحركة ليستدل بذلك على دقة الخصر لانه يقلق هنا اذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامرا بل حركته تدل على ضمر البطن اكثر وليس طوله فى نفسه مما يدل على امتلاء ولا خمص واذا كان الخلخال وهو الحلقة المستديرة المعروف قدرها وشاحا للمراة فانه ياخذ اعلى جسدها كله واذا كانت كذلك فقد مسخت الى غاية القماءة والصغر وصارت فى هيئة الجعل وقد تصف العرب الخصر بالدقة ولكن تعطى كل جزء من الجسد قسطه من الوصف كما قال امرؤ القيس

طوال المتون والعرانين والقنا * لطاف الخصور فى تمام واكمال

الا تراه لما قال لطاف الخصور قال فى تمام واكمال ولو قال هذا الشاعر لو ان الخلاخيل صيرت لهما حقبا لصح له المعنى كما قال منصور النمرى

فلو قست يوما حجلها بحقابها * لكانا سوآ لابل الحجل اوسع

فجعل حجلها وهو الخلخال اوسع من حقابها والحقاب ما تديره المراة على خصرها فهو يختص بالخصر وكذلك النطاق والوشاح لايختص بالخصر وانما يعلق حتى ينتهى اليه اذا كان الخصر دقيقا والبطن ضامرا فاتبع ابو تمام منصورا فى المعنى فاخطا ومن عادة العرب انها لاتكاد تذكر الهيف وطى الكشح ودقة الخصر الا اذا ذكرت معه من الاعضاء ما يستحب فيه الامتلا والرى والغلظ على ما عرفتك كما قال ذو الرمة

عجزآ ممكورة خمصانة قلق * منها الوشاح وتم الجسم والقصب

وكما قال ايضا

اناة تلوث المرط منها بدعصة * ركام وتجتاب الوشاح فيقلق

وكما قال

ترى خلفها نصفا قناة قويمة * ونصفا نقا يرتج او يتمرمر

وكما قال الشنفرى

فدقت وجلت واسبكرت واكملت * فلو جن انسان من الحسن جنت

اى دق منها ما ينبغي ان يدق وجل منهـا ما ينبغي ان يجل فهذا هو تمام الوصف

وقال تميم بن ابى بن مقبل

هيف المردى زداح فى تاودهـا * مخطوفة منتهى الاحشـا عطبول

فقـال هيف المردى ثم قال رداح والرداح العظيمة العجز وهذا كقول ذى الرمـة خلفهـا نصفا قناة قويمة وقوله عطبول قويمة العنق وقال ايضـا تميم

من الهيف ميدان ترى نطقاتها * بمهلكـة اخـراصهن تذبذب

فجعلها هيفاً وهى الخميصة البطن ثم قال ميدان فصار البدن لايمنع من الهيف ولا يضاده وقال تميم ايضـا

ومن دق منها الخصر حتى وشـاحها * يجول وقـد عم الخـلاخيل والقلبـا

وقال على بن ابى علقمة الجرى

ترى جلها ملآ ن ليس بزائد * يجول ولم يملك وشـاحا ولا عقدا

قال ذلك من شـان الوشاح لان من سبيله ان يكون جائلا اذا انتهى الى خصرها لدقته ومن شـان العقد ان يجول ايضـا على عنقها وترائبها لقلة اللحم هناك وذلك المحمود من الوصف وقال امرؤ القيس على هضيم الكشح ريا المخلخل

وقال طرفة بن العبد

وملأى السوار مع الدملجين * واما الوشاح عليها فجـالا

وقال علقمة بن عبدة

صفر الوشاحين ملأى القرط خرعبة * كانهـا رشـا فى البيت ملزوم

وقال المرار

بيض العوارض بدن ابدانها * رجح الروادف ضمر الاخصـار

وقـال كثير

كسون الريط ذا الهدب اليمانى * خصـورا فوق اعجـاز ثقـال

وقال كثير ايضـا

يجول الوشـاح باقرابهـا * وتابى خلاخلها ان تجولا

وقال اخر

عقيلية اما مـلاث ازارهـا * فدعص واما خصرها فبتيل

يريد كانه لدقته مقطوع مما يليه وهذا كله ضد ما قاله ابوتمام فان حمل بعض من

يريد اقامة العذر له نفسه على ان يقول انما ذهب فى قوله جالت عليها الخلاخل الى قولهم فلان يدخل فى الخاتم لظرفه ولين اخلاقه لا لضيق مفاصله قيل هذا من كلام العامة وقول ابى تمام من الهيف يمنع هذا التأول ويحجز عنه لان الهيف الخميصات البطون الواحدة هيفآ والى هذا ذهب لا الى وصف الاخلاق والطباع فان قال قائل انما قال لو ان الخلاخيل صيرت لهـا وشحا اى لو سـاغ ذلك وجاز كما يقال لودخل احد فى سم الخياط لرقته وحسن اخلاقه لدخل زيد وكما قال الشاعر لو كان ذو حافر من سرعة طـارا وكما قال الآخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لسوددهم او مجـدهم قعدوا

قيل هذا مذهب حسن معروف من مذاهبهم ولكن ليس بينه وبين قول ابى تمام شبه وانما كان يشبهه لو قال لو ان الخلاخيل تكون مكان الوساح لجـال عليها ولو قال هذا ايضـا لكان بعد مخطيأ لانه سوآء عليه قال هـذا او قال قصر ظهرهـا او بعض خلقهـا او ضم بعض اعضآئهـا الى بعض حتى يكـون خلخـالها مكان وشـاحها لجال عليها ومثل هذا لايقوله احد الا الكشحى وابوالعبر ولفظ بيته اقبح من هذا واشنع لانه انما اخرجه مخرج الحقيقة او ما يقـارب الحقيقة نحو قـول القـائل لو تغطت هند بشعرهـا لغطـاها ولو سترت وجهها بذراعها لسترته ولو مسستهـا لتاخت الاصبع فيها او لادمتهـا وهذا ضرب من المبالغة وهو الى الحقيقة اقرب وليس من الابيات المذكـورة فى شى ولا على سـياقة ذلك اللفظ والاحالة فيما مخرجه مخرج الحقيقة اقبح من الاحالة فيما مخرجه مخرج التوسـع وكان ينبغى لابى تمـام لمـا وصف النسآ فى البيت الثانى بالطول والتمام فقال * قنا الخط الا ان تلك ذوابل * ان يصف الوشح بالطول والتمام لان الوشاح من المراة فى موضع حمائل السيف فكيف يجعلهـا مثل الخلاخل ويجعل الخلاخل مثلهـا وقد بـالغ الشاعر فى اشيآ حتى يخرج منها الى المحال ويخرج بعضهـا مخرج النادر فيستحسن ولا يستقبح نحو قول الشاعر

من راى مثل حبتى * تشبه البدر اذ بدا
يدخل اليوم خصرهـا * ثم اردافهـا غـدا

ومثل هذا كثير وقد قال النابغة فى وصف عنق المراة بالطول فقال * اذا ارتعشت خاف الجبان رعاثها * ومن يتعلق حيث علق يفرق * فجعل القرط يخاف ان يسقط

من هناك فيهلك وانما اخرج هذا كالمثل اى لو كان مما تقع منه الخوف لخاف
وقال ذو الرمة * والقرط فى حرة الذفرى معلقة * تباعد الحبل منه فهو يضطرب
فدل بقوله تباعد الحبل منه على طول عنق المراة فهذه المبالغة لا ثقة مستحسنة
لانه دل على الوصف بالشيء الذى يخص الموصوف لا بالشيء الذى يخص غيره
ولو كان ابو تمام قال لو ان الخلاخيل صيرت لها نطقا لكان اتى بالصواب لان
النطاق هو كل ما يدار على الخصر مثل المنطقة من سير كان او ثوب اوغيرهما او
لو قال حقبا لان الحقاب والنطاق بمنزلة واحدة واظنه اراد ان يقول هذا فغلط
فجعل مكانه الوشاح وقد بالغ ابو العتاهية فى وصف الخصور بالدقة فقال

ومخصرات زرننا * بعد الهدو من الخدور
ترتج روادفهن يلبسن الخواتم فى الخصور

لم يرد ان خواتمهن فى خصورهن لان هذا محال وانما ذهب الى مثل قولهم جفنة
يقعد فيها خمسة اى لوقعدوا فيها لوسعتهم وقال الآخر

لها حافر مثل قعب الوليد يتخذ الفأر فيه مغارا

اى لو اتخذ فيه مغارا لوسعه فكذلك قوله يلبسن الخواتم فى الخصور اى تصلح
خصورهن ان تدخل فى خواتمهن لدقتها وكل ما دنا من المعانى بالحقائق كان اوط
بالنفس واحلى فى السمع فهذا ما انكره ابو العباس مما ابوتمام فيه غالط وهوثلاثة
ابيات ومما اخطافيه الطآى البيت الذى بعد قوله

من الهيف لوان الخلاخل صيرت * لها وشحا جالت عليها الخلاخل
وهوقوله مها الوحش الا ان هاتا اوانس * قنا الخط الا ان تلك ذوابل

وانما قيل للقنا ذوابل للينها وتثنيها فنفى ذلك عن قدود النسآ التى من اكمل صفاتها
التثنى واللين والانعطاف كما قال تميم بن ابى بن مقبل

يهززن للمشى اوصالا منعمة * هز الجنوب ضحى عيدان يبرينا
اوكاهتزاز رديني تداوله * ايدى التجار فزادوا متنه لينا

فشبه تميم قدودهن بالردينى للينه وتثنيه لاغير وهذا اجود من كل ما قاله الناس فى
مشى النسآ وحسن قدودهن وقوله مها الوحش اراد كمها الوحش الا ان هاتا
اوانس فوضع المشبه به فى مكان المشبه وهذا فى كلامهم شائع مستفيض
ومما اخطا فيه الطائى اقبح خطأ قوله

قسم الزمان ربوعها بين الصبا * وقبولها ودبورها اثلاثا

لان الصبا هى القبول وليس بين اهل اللغة وغيرهم فى ذلك خلاف فأن قيل انما سميت الصبا قبولا لانها تقابل الدبور فلعله استعار هذا الاسم للدبور فقال بين الصبا وقبولها يريد الدبور لانها تقابل الصبا ومقابلتها اى الريح المقابلة لها قيل هذا غلط من وجوه منها انه قد ذكر الدبور فى البيت مرة فلا يجوز ان يأتى بها مرة ثانية ومنها انه ما سمع من العرب زيد قبولك اى مقابلك ولادار زيد قبول دار عمرو يعنى مقابلتها فانما خصت الصبا وحدها بهذا الاسم لانها تاتى من الموضع الذى يقبل منه النهار وهومطلع الشمس وقيل لها دبور لانها ضدها اخذه من اقبل وادبر ولوجاز هذا فى كلامهم وساغ فى لغتهم اوكان مثله مسموعا منهم لسـ غ ان تسمى الشمال ايضا قبولا لانها تقابل الجنوب وان تسمى الجنوب قبولا لانها تقابل الشمال وما اظن احدا يدعى هذا ولا يستجيز ان يعارض بمثل هذه المعارضة ولان يحدث لغة غير معروفة وينسب الى العرب ما لم تعلمه ولم تنطق به ومنها وهى اولاها فى فساد هذا التاويل انه قال بين الصبا وقبولها ودبورها اثلاثا وقوله اثلاثا يدلك انه اراد ثلاث رياح وانه توهم ان القبول ريح غير الصبا وهذا واضح والجيد قول البحترى

متروكة الريح بين شمالها * وجنوبها ودبورها وقبولها

فجاء بالرياح الاربع وقال البحترى ايضا

شنئت الصبا اذ قيل وجهن قصدها * وعاديت من بين الرياح قبولها

فقوله وجهن يعنى الحمول والهاء فى قبولها راجعة الى الرياح وهذا مما يوهمك انه اراد ريحين وانما اراد ريحا واحدة وسماها باسميها فقال شنئت الصبا وعاديت القبول اى ابغضت هذين الاسمين لان حمول الظاعنين توجهت نحوها ولم يقل ان الحمول توجهن الى وجهين مختلفين وحكى ابن الاعرابى اوحكى عنه انه قال القبول كله ريح طيبة المس لينة لا اذى فيها سميت قبولا لان النفس تقبلها واظن الاخطل ان كانت الرواية الصحيحة لهذا قال

فان تبخل سدوس بدرهميها * فان الريح طيبة قبول

اى طيبة لا تمنعها الانصراف والسير وهذه ليست من الريح التى ذكرها ابو تمام فى شئ لان هذه على هذا الوصف قد تكون الشمال وتكون الجنوب وتكون

الصبا وذلك انما اراد ريحًا بعينهـا لانه قال بين الصبا وقبولها فجعلها مضافة اليها
كما لو قال بين الشمال وجنوبها لانهما ريحـان معروفتان وهما اختان مختلفتـان
تعتقبان وكـذلك لوقال بين الصبا ودبورها وكذلك لوقال بين القبول ودبورها
اوبين القبول وشمالها فاذا ذكـرت القبول مع هذه الرياح المعروفة التي هي الصبا
وليس هذا موضع القبول التي هي الريح اللينة المس الطيبة على ما ذكـر لانه
وصف مجهول ويجوز ان يكون لكل ريح ولايقع في هذا الموضع لانك اذا عنيتهـا
بقولك قد نفيت الصبا وقبولها لم يدر اى ريح هي في معنى اضافتها الى الريح المعروفة
التي هي اذا لان مسها جاز ان تسمى بذلك الاسم هـذا خلف من القول اذا قيل
وايضا ان ابا تمـام انما اراد ان هذه الرياح عفت هذه الديار وذهبت بها فما وجه
ذكـره لريح طيبة لينة المس مع الدبور هذا محال ان يكون اراده كيف والديار
يدعى لها بهبوب الرياح اللينة الضعيفة ليلا تعفوها الا ترى قول ابي تمـام

ارسى بناديك الندى وتنفست * نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا

وقال البحترى

واذا هبت الرياح نسيمـا * فعلى ربع دارها والجنـاب

فشرط ان تكون الرياح مريضة ليلا تعفوها وتمحوهـا فان قيل فلعله اراد بين
الصبا وقبولهـا اى بين الصبا وسهلها ولينها ولا يكون يريد بالقبول اسمها المعروف
وانما يريد الاسم الذى يقع للريح اللينة المس فكانه قال بين القبول وقبولها يقـال
جآنا عبـاس وعبـاسه اى ووجهه العباس واتانا الضحاك وضحاكه اى ووجهه
الضحاك لان التعبيس والضحك في الوجه وقد فتنتنا حوراً بحوراً ئهـا اى بعينهـا
الحورآء قيل هذا كله لفظ سائغ مستقيم غير انا ما سمعنا مثل هذا في الريح ولا علمناه
في اللغة ولا وجدنا في الشعرآء احدا قال الصبا وقبولها ولا الجنوب وقبولهـا ولا
الشمال وقبولها اى سهلهـا ولينها ولو اراد الطآئى ذلك كان ايضا مخطئا لان الريح
لينها وسديدها ريح واحدة وقد قال ابو تمام اثلاثا فدل على انه اراد ثلاث رياح
وان كـان اراد ريحا اخرى غير الصبا فقد قدمت القول في ان ذلك غير سـائغ
ولا مستقيم وقد استقصى اصحاب الانوآ في كتبهم ذكر الرياح واوصافها ونعوتهـا
واستشهدوا باكثر ما سمعوه من اشعار العرب فيها وبالغ ابو حنيفة الدينورى في ذلك
فما منهم احد ذكر ان القبول غير الصبا وانما قال ابن الاعرابى في نوادره ان العرب

تسمى كل ريح طيبة لينة المس قبولا قال الاخطل

فان تبخل سدوس بدرهميها * فان الريح طيبة قبول

فانما اراد الصبا لانها ريح محبوبة تنسب الى الطيب وهى دائمة الهبوب لينة المس معتدلة فى اكثر اوقاتها اى فان منعت سدوس نائلها فان الريح طيبة قبول اى هى صبا ما تمنعنا من الانصراف والرحيل فان كان ما ذكره ابن الاعرابى صحيحا وهو الصحيح ان شاء الله فانهم انما قالوه لكل ريح طيبة لينة قالوا هذه الصبا وهذه القبول اى كالصبا او كالقبول فاسقطوا حرف التشبيه وجعلوا المشبه فى مكان المشبه به كما تقول شممت رائحة طيبة العرف هذه المسك واذا رايت وجها جيلا قلت هذا هو البدر وان شئت كان المعنى هذه المسك حقا وهذا هو البدر يقينا ولوهبت شمال شديدة مزعجة حتى تقول هذه هى الدبور بعينها لكان هذا من اسوغ كلام وافصحه وان كانت العرب سمت الشمال والجنوب اذا هبتا هبوبا سهلا لينا قبولا فانما شبهوها بالصبا واعاروها اسمها وانما قيل لها قبول لانها تاتى من مطلع الشمس وهو الموضع الذى يقبل منه النهار وقيل للدبور دبورا لانها تهب من حيث يدبر وقد قيل غير ذلك وهذا هو الصحيح وقد قيل عن النضر بن شميل انه قال القبول ريح تلى الصبا ما بينها وبين الجنوب وهذا غير معروف ولا معول عليه الا ان يكون قاله على هذا الذى ذكرته والله اعلم وبيت ابى تمام لا يحتمل ان يتاول فيه هذه الريح لانه اراد محو الديار ولا تذكر فى محو الديار القبول الخفيفة الهبوب الطيبة المس مع الدبور التى لا تكاد تهب فان هبت لم تات الا شديدة مزعجة وقال آخر ممن لا تمييز له اراد بين الصبا وقبولها اى الريح التى قبلتها كانها قابلتها فقبلتها فهى قبولها يعنى ريحا من الرياح كما يقال فاخرته ففخرته وخاصمته فخصمته قيل هذا خطا من وجوه منها ان الريح التى تقابل الصبا مقابلة صحيحة هى الدبور وقد ذكرت فى البيت فلا يجوز ان يردها ومنها انك لا تقول قابلت زيدا فقبلته مثل فاخرته ففخرته لانك اذا قابلته فقد صرت قبالته وصار قبالتك فليس احدكما فى هذا بافضل من الآخر وذلك مثل قوله واجهته وآزيته وساويته وحاذيته لانك فى هذه الاحوال مثله وهو مثلك فلا يجوز ان تقول فيه فعلته اى غلبته ومنها انك اذا قلت زيد ضارب عمرو او ضروب عمرو وقاتل بكر او قتول بكر لم تدل على انه كانت مضاربة بينهما او مقاتلة لانه يجوز ان يكون الضرب

وقع من احدهما ولم يقع من الآخر ولذلك اصل فلذلك لايدل قولك قبولها انه كانت هنالك مقابلة كما لايدل قولك زيد ضارب عمرو على انه كانت مضاربة بينهما حتى غلب زيد عمرا بالضرب واذا لم يكن على الشيء دليل لم تقم به حجة ومن خطائه قوله

وصنيعة لك ثيب اهديتها * وهي الكعاب لعائذ بك مصرم

حلت محل البكر من معطى وقد * زفت من المعطى زفاف الأيم

غلطه وقع فى البيتين جميعا وقالوا اراد بقوله وصنيعة لك اى للممدوح ثيب اى قد افترعت اهديتها وهى الكعاب لعائذ بك اى لعائذ بك مصرم اى قليل المال وجاء بالكعاب على انها تقوم مقام البكر ليجعلها فى البيت ضد الثيب فتصح له القسمة اى هذه الصنيعة ثيب عندك اى قد اصطنعت مثلها مرارا وهى الكعاب يريد البكر عند هذا العائذ بك لانه اول ما اصطنعته اليه او لانها اكبر صنيعة صنعتها عنده قالوا والكعاب التى كعب ثديها وقد تكون بكرا وتكون ثيبا فليست ضدا للبكر فى البيت ولا تصح بها قسمته لان اسم الكعاب لايزول عنها اذا افترعت حتى ينهد ثديها ويرتفع قالوا واعتمد ان يشرح هذا فى البيت الثانى فقال

حلت محل البكر من معطى وقد * زفت من المعطى زفاف الايم

وذلك معنى قوله وهى الكعاب لعائذ بك ثم قال زفت من المعطى زفاف الايم وهو يريد معنى قوله وصنيعة لك ثيب على ان الايم هى الثيب وقالوا هذا خطا لان الايم هى التى لازوج لها بكرا كانت او ثيبا قال الله عز وجل وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم افتراه قال انكحوا الثيبات من النساء دون الابكار انما اراد تبارك اسمه انكحوا النساء اللواتى لا ازواج لهن فالثيب والبكر والصغيرة والكبيرة ممن لا زوج لها تدخل فى الآية قال الشماخ

يقر بعينى ان احدث انها * وان لم انلها ايم لم تزوج

وهذا هو المعروف فى كلامهم وهذا الذى ذكروه من غلطه فى الايم هو كما ذكروه فاما ما ادعوه فى البيت الاول من الغلط فى الكعاب لمن اقامها مقام البكر فليس ذلك بغلط والمعنى صحيح وقد جاء مثله فى اشعار العرب قال قدامة بن ضرار الحنفى

غداة خطبنا البيض بالبيض عنوة * وابن الينا ثيبات وكعبا

اراد بالكعب الابكار وقال جرير يهجو امراة

وقد جلت عمانيه وتمت * لتاسعة وتحسبها كعابا

فاقام الكعاب مقام البكر وجعلها ضد الثيب ومثله فى كلامهم موجود وانما فعلوا ذلك وان كان الكاعب قد تكون بكرا وتكون ثيبا لان اول احوال الكواعب ان يكن قد ناهزن حد البلوغ وبدأت ثديهن بالتكعيب فهن فى هذه الحال اكثر ما يكن ابكارا وغير ذات ازواج قال عمرو بن معدى كرب

تركوا السوام لنا وكل خريدة * بيضاء خرعبة واخرى ثيب

فاقام الخريدة مقام البكر وجعلها ضد الثيب فى البيت والخريدة هى الحيية حكى اللحيانى قال سمعت اعرابيا من كلب يقول الخريده الدرة التى لم تنقب وهى من النساء البكر والخرعبة اللينة المفاصل الطويلة وهذه قد تكون ثيبا الا انه جعلها بكرا لان الحياء اكثر ما يكون فى الابكار فقد صح معنى بيت ابى تمام الاول فى الكعاب وبقى الغلط قائما فى الايم وجعلها فى البيت الثانى ضد الثيب فان قيل فلم لا يكون لابى تمام اقامة الايم فى البيت الثانى مقام الثيب اذ كانت الايم قد تكون ثيبا كما اقت الكعاب فى البيت الثانى مقام البكر اذ كانت الكعاب قد تكون بكرا وتتجاوز له فى هذا كما تجاوزت فى تلك قيل لفظة كعاب تدل بصيغتها على صغر السن كما عرفتك فهى فى الاكثر تكون بكرا غير مفترعة فلذلك استحسنوا ان اقاموا الكعاب مقام البكر ولفظة ايم لا تدل على حد فى السن من صغر ولا كبر ولا بكورة ولا افتراع فلا يجوز اقامتها مقام الثيب بحال وقد غلط فى الايم بعض كبار الفقها فجعلها مكان الثيب وذلك لحديث روى عن النبى صلى الله عليه وسلم على انه لحقه السهو فى تاويله فحمله على غير معناه فلعل ابا تمام من هذا الوجه قد لحقه الغلط وقد ذكر ابو تمام معنى هذين البيتين فى موضع آخر فقال وقد ذكر صنيعة ايضا

وليست بالعوان العنس عندى * ولا هى منك بالبكر الكعاب

والعوان هى التى بين المسنة والصغيرة السن وهى التى قد عرفت الامور وجرت عليها التجربة فلذلك قيل العوان لا تعلم الخمرة ومنه قيل حرب عوان وهى التى قوتل فيها مرة بعد مرة وانما استعير لها اسم المراة فى هذه الحال كما قال الشاعر الحرب اول ما تكون فتية * فاستعار لها اول ما تبدا وتنشا اسم الفتاة واراد ابو تمام ان هذه الصنيعة ليست بالعوان عندى اى ليست صنيعة قد تقدمتها لك لدى صنائع تشبهها لعظمها وجلالها ولا هى بالبكر التى ليست مع ذلك لكبر صنائعك

بل اسديت كثيرا مثلها الى غيرى وهذا هو المعنى الذى قصده فى البيتين المتقدمين الا انه جعل العنس هنا فى موضع العانس فغلط فقال العنس والعانس هى التى حبسها اهلها عن التزويج حتى تجاوزت حد الفتاة والعنس اسم من اسماء الناقة وهى التى قد انتهت فى شدتها وقوتها فاين وصف الناقة من وصف المراة فان قيل ان ابا تمام لم يرد غير العنس ولم يرد العانس لانه لو اراد العانس لكان مخطيئا من وجه غير الذى ذكرته وهو ان العوان فيما ذكر بعض اهل اللغة الثيب وقيل انها التى كان لها زوج وجرير قد افصح انها ذات الزوج فى قوله

واعطوا كما اعطت عوان حليها * اقرت لبعل بعد بعل تراسله

فكيف يكون العانس وصفا للعوان والعانس هى التى حبست عن التزويج قال عامر بن جوين الطائى وواللّه ما احببت حبك عانسا * ولا ثيبا لو ان ذلك اتانى فجعلها ضد الثيب والعنس اولى بان تكون وصفا للعوان من العانس ويكونان جميعا من اوصاف الناقة وهى دون المسنة وفوق الفتية فهى حينئذ الكاملة والعنس الناقة التى قد انتهت فى قوتها فهما صفتان متفقتان استعارهما الشاعر للصنيعة من اوصاف النوق كما استعار البكر الكعاب من اوصاف النساء قيل هذا غلط من الاحتجاج وتعسف من التاول وانما يستدل ببعض الالفاظ على بعض كما يستدل على المعنى بما يقترن ويتصل به فيكون فى ذلك بيان وايضاح اما العوان والبكر وان كان قد وصف بهما غير المراة من البهائم وغير البهائم فان البكر فى البيت لاتكون مستعارة الا من اوصاف النساء من اجل ما اقترن بها من لفظ الكعاب التى هى مخصوصة بوصف الجارية التى كعب ثديها فلا تكون العوان فى صدر البيت من اوصاف النوق والبكر فى آخره من اوصاف النساء فعلمنا انه لم يرد بالعنس الا العانس فغلط كانه اراد هذه الصنيعة ليست فى حال ما هى عندى بالعوان العانس ولا فى حال ما هى عندك بالبكر الكعاب لان المراة تكون كاعبا وبكرا فى حال وعوانا عانسا فى حال اخرى فتنتقل فى هذه الاوصاف والعنس لا موضع لها ههنا واما قوله انه لو اراد العانس كان مخطيئا لان العانس هى التى حبست عن التزويج حتى جازت حد الفتاة فلا يكون وصفا للعوان لان العوان عند اهل اللغة الثيب فيقال انما انه كان يسوغ لك هذا التاويل لو زال اسم العنوس عن المراة اذا تزوجت فاما وهو باق عليها بعد التزويج التى صارت به ثيبا

فلم لايكون وصفا للعوان التي هي ايضا ثيب عندك الا ترى الى قول كثير

فان طلابى عانسا ام ولدة * لمما تمنى النفوس الكواذب

فقال عانسا وجعلها ام ولدة فان قال فلعل ابا تمام لم يرد هذا وانما اراد بالعنس مصدر عنست المراة تعنس عنسا وعنوسا فجعل المصدر وهو عنس وصفا للعوان مكان العانس والمصادر قد تجعل اوصافا فى مكان اسماء الفاعلين قيل له المصدر المعروف فى مصدر عنست المراة هو العنوس ولم يسمع العنس وعلى ان الاصمعى قد انكر عنست مخففا وقال انما هو عنست تعنس تعنيسا حكى ذلك عنه يعقوب بن السكيت وهب قد جاء العنس مصدر عنست فليس فى كل موضع يسوغ ان تكون المصادر اوصافا وانما تكون اوصافا على وجه من الوجوه وطريقة من اللفظ وهى قولهم انما زيد دهره اكل ونوم وانما عمرو ابدا قيام وقعود فتقيم المضاف اليه مقام المضاف لانه يدل عليه او تجعل زيدا نفسه الاكل والنوم وعمرا القيام والقعود على المبالغة لان ذلك كثير منهما كما قالت الخنساء

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت * فانما هى اقبال وادبار

فجعلت الناقة هى الادبار والاقبال لان ذلك كثر منها وان شئت كان المعنى ذات اقبال وادبار فاقمت المضاف اليه مقام المضاف فهذه طريقة الوصف بالمصادر واذا تاولت بالعنس المصدر فى قوله وليست بالعوان العنس كان ذلك كقولك ليست هند بالصبية الصغر تريد الصغيرة ولا دعد بالهرمة الكبر تريد الكبيرة فهذا لايسوغ فى منطق ولا يعد فى لغة ولكن قد تستعمل هذه المصادر وصفا على نحو ما ذكرته فيقال هند الحسن كله ودعد الجمال اجمعه وزيد الهرم اقصاه وعبد الله البغض نفسه والتيه عينه وان شئت كان المعنى هند صاحبة الحسن كله ودعد ذات الجمال اجمعه وزيد اخو الهرم وعبد الله ذو التيه فاقمت المضاف اليه مقام المضاف كما قال الله عز وجل واسئل القرية التى كنا فيها يريد اهل القرية وان شئت جعلت هندا هى الحسن ودعدا هى الجمال على المبالغة لما كانتا متناهيتين فى هذين الوصفين ولوكان ابوتمام اقتصر على ذكر العوان والبكر وهما اللفظتان اللتان استعارتهما الشعراء فى هذا المعنى ولم يخلط بهما العنس والكعاب والثيب والايم لكان قد سلك الطريق المستقيم فاتى باللفظ المالوف المستعمل وتخلص من فاحش الخطا وانما اراد معنى قول الفرزدق

وعند زياد لو تريد عطاءه * رجال كثير قد ترى بهم فقرا

قعود لدى الابواب طالب حاجة * عوان من الحاجات او حاجة بكرا

اى منهم طـالب حاجة عوان اى حاجة قد عرفها وصارت عادة له وربما يتطلبة فى كل حين ومنهم طـالب حاجة بكر اى اول ما يلتمسه منه ويترجاه عنده فاحب ابوتمام ان يزيد على هذا المعنى ويغرب فاخرجه ذلك الى الخطـا وقد احسن محمد ابن حازم الباهلى فى قوله

ابا جعفـر ياابن الجحاجحة الغـر * بدت حاجة والحر ياوى الى الحر
وقـد لبستنى منك بالامس نعمة * فهل لك فى اخرى عوان الى بكر
على انه ان امكنت او تعذرت * فانك بين الشكـر منى والعذر

فهذه طريقة الشعرآ فى العوان والبكر ومن خطائه قوله

الود للقـربى ولكن عرفـه * للابعد الاوطان دون الاقرب

لانه نقص الممدوح مرتبة من الفضل وجعـل وده لذوى قـرابته ومنعهم عرفه وجعله فى الابعدين دونهم ولا اعرف له فى هذا عذرا يتوجه وقد عارضنى فى هذا البيت غير واحد ممن ينتحل نصرة ابى تمام فقـال بعضهم ان العـرف ما يتبرع به الانسان فلذلك جعله فى الاباعد فاما الاقارب فان برهم وصلتهم من الحقوق الواجبة اللازمة قلت ان كنت تريد الحقوق التى تلزم فان ذلك انما هـو للابآء والاجداد والامهات والاولاد والاعمام والاخوال والاخوة والاخوات اذا كانوا فقرآء محتاجين فيجب لهم من الانفاق عليهم بقدر القوت والكفاية وهذا لايخرج ان يسمى معروفا الا تراهم يقولون انل اباك من معروفك او انل امك من معـروفك فلا يكون هـذا قبيحا بل حقا وقال الله عز وجـل فيما فـرض على النسآ وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف فقد صار الفرض ههنا معروفا لان المعروف هو الحسن الجميل من القول والفعل الذى قد عرفت المصلحة فيه فصـار معهودا اذا اورد لم تنفر النفوس منه فتنكره وهذا لايكون الانسـان محمودا به اذا اعطاه هذه الطبقة من اهله حتى يمدح به ويفتخر له به بل يكـون مذموما اذا اقتصر عليه ولم يتجـاوزه من الاقارب ممن ليس له حق من طريق الحكم وهم بنوا الاعمام الذين هم الاعضاد والعدة وبهم تكون النصرة وكذلك بنوا الاخوات وبنوا الاخوال لم يجعل المعروف الذى هو يتبرع به فى الاباعد دونهم ويخرجون منه وان اردت الحقوق التى يلزمها الانسـان نفسه تكرما وتفضلا فذلك حقيقة العرف الذى يتبرع المـرء به ويحمد

عليه ويتمدح بفعله اياه واعطائه له ويذم اذا منعه والاقارب على الاختلاف فى طبقاتهم وانسابهم اولى به من الاباعد فمن جعله فى الاباعد دونهم فذلك منه غاية اللؤم ونهاية العقوق وعين الحمق وان وصفه واصف فقد بالغ فى ذمه وتناهى فى هجائه فقال قوله الود للقربى قد جمع لهم الود والعرف وغيره لان المودة تشتمل على ذلك كله والعرف الذى خص به الابعدين لايجمع الوداد اذ ليس كل من اسديت اليه معروفا فقد وددته فقد اعطى ذوى القربى اكثر مما اعطى الابعدين فقلت له وليس كل من وددته ايضا فقد اسديت اليه نائلا ولا معروفا ولا يتضمن لفظ الود غير المحبة فقط وعلى ان قوله دون الاقرب توكيد يوجب اخراج الاقارب عن العرف وتخليصه للابعدين فما معنى هذا التاويل الذى تاولته فاقام على ان الود يجمع العرف والصلة وهذا غير معروف ولا موجود فى كلام الناس وقال المقنع الكندى

فان الذى بينى وبين بنى ابى * وبين بنى عمى لمختلف جدا

اذا جمعوا صرمى معا وقطيعتى * جمعت لهم منى مع الصلة الودا

فافصح هذا بانه يجمع لهم بين الصلة والود وقال البحترى

مودة وعطاء منك نلتهما * ورب معطى نوال غير مودود

فقال مودة وعطاء منك نلتهما فلو كانت المودة لاتكون الا ومعها عطاء لم يكن لهذا القول معنى وكذلك البيت قبله وقال رب معطى غير مودود ورب مودود غير معطى نوال الا ترى الى قول الاعشى

بانت وقد اسأرت فى النفس حاجتها * بعد ائتلاف وخير الود ما نفعا

فاراد ان الود قد يكون ولا نفع معه وقال ابو تمام

قرانى اللهى والود حتى كانما * افاد الغنى من نائلى وفوائدى

وعارض آخر بمثل هذه المعارضة سواء فاجبته بمثل هذا الجواب وقلت له ان كان الامر على ما تزعم وتركناك على شهوتك فى ان الود يجمع المحبة والصلة فقد ناقض اذا هذا الشاعر نفسه فى البيت فانه ان كان اراد بقوله الود للقربى المحبة والمعروف جميعا فقد قال فى عجز البيت ولكن عرفه فى الابعد دون الاقرب فاخرج الاقرب بقوله دون فلو كنت تركته على ما يقتضيه ظاهر لفظه من حرمان الاقرب كان ذلك اقل قبحا من المناقضة فقال انما اراد بقوله ولكن عرفه فى الابعد الاوطان دون

الاقرب اراد العرف للابعد والا بجمعه له مع الود كما جمعهما للاقــرب فقلت قوله
دون يفسد عليك هذا التاول وما اراك الا قــد اوضحت فيــه الاحالة والمنــاقضة
وبينتهما لانك فى هذا كقائل قال الود والمال جميعــا لزيد والمــال لعمرو مفردا دون
زيد فكيف يجمع المال مع الود لزيد اولا ويفرد عمرا به دون زيد آخرا وهذا اقبح
ما يكون من المناقضة وانما كان يصح هــذا الكلام بان لو قال الود والمــال لزيد
والمــال لعمرو دون الود فيكون قد اخرج عمرا من الود اخراجا موكــدا بقوله
دون الود فاما الكلام الاول فمتنــاقض كما عرفتك وكذلك بيت ابى تمام كان يتاول
على هذا ان لو قال دون الود لا دون الاقرب وما ظننت ان احدا يدعى مثل هذه
الدعوى ولا ان حاجة تدعو الى مثل هذا الاحتجــاج ويجب ان يقال لهذا المعارض
هل يجب عندك ان تكون مودة لامعروف معهــا اذ ليس كل من وددته فقد انلته
معروفا فان قال لا كابر وسقط كلامه وان قال نعم قيل قد اخرجت لفظة الود عن
ان تدل بمجردهــا على المعروف الا بشىء يقترن بها وقال آخر انما اخرج اقاربه من
المعــروف لانهم فى غنى وسعة لغناه وسعة حاله فلذلك افــردهم بالود قلت له فان
كانوا اغنيــآ بغناه فقــد اوسعهم من معــروفه فما كان ينبغى للشــاعر ان يشرط
للاباعد دونهم وقلت له وكيف يعلم انهم اغنيآ وليس فى داخــل البيت دليل عليه
قال كذا نوى واراد قلت ليس العمل على نية المتكلم وانما العمل على توجيه معــانى
الفاظه ولو حملت قول كل قائل وفعل كل فاعل على نيته لما نسب احد الى خطــا
فى قول ولا فعل ولكان من سدد سهما وهو يريد غرضــا فاصاب به عين رجــل
فذهبت غير مخطىء لانه ما اعتمد الا الغرض ولا نوى غير القرطــاس وقال آخــر
اراد بقوله ولكن عرفه فى الابعد الاوطــان دون الاقرب اى بعــد الاقرب تقــول
جانى الامير فمن دونه اى فمن بعده قلت فانما معنى فمن دونه اى فمن هو ادون منه
فى الرتبة بعده كان مجيئه او قبله وقال آخر انما اراد ابو تمام بقوله دون الاقرب اى
فضلا عن الاقرب اى فكيف الاقرب وان كان هذا مذهبا للناس ان يضعوا دون
فى هذا الموضع فيقولوا انا ارضى بالقليل دون الكثير اى فضــلا عن الكثير وانا
اقنع بقرص من شعير دون ما سواه اى فضلا عما سواه وهذا مذهب صحيح معروف
قلت له هذا توهم منك فاسد وتاول لهذا الكلام على غير وجهه المقصود لان معنى
دون عند اهل اللغة التقصير عن الغــاية فمعنى قوله انا ارضى بالقليل دون الكثير

كثير اى لا اه

ولا انتهى الى ما سواه فهذه حقيقة معنى اللفظ واما ما تاولته فانما هو بمعنى بله التى تاتى فى الكلام وموضعها دع كقول كثير

بسطت لباغى العرف كفا بسيطة * تنال العدى بله الصديق فضولها

اى تنال العدى فدع الصديق اى لاتصل الى العدى الا بعد ان تصل الى الصديق ودون لاتتضمن هذا المعنى ولا تودبه قال فقد تاتى دون بمعنى فوق كما تاتى فوق بمعنى دون فى قول الله عز وجل ان الله لايستحى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ذكر ان معناه فما دونها لان فوق قد تكون دون عند ما هو فوقها ودون قد تكون فوق عندما هو تحتها فيجوز ان يكون اراد الشاعر بقوله دون الاقرب اى فوق الاقرب بمعنى زيادة على ما اعطاه الاقرب اوتكون دون ههنا بمعنى امام لان بعض اهل اللغة جعلها من الاضداد وانها تاتى بمعنى خلف وبمعنى امام مثل ورآء فيكون معنى قوله دون الاقرب اى امام عرفه فى الاقرب اى قبله قلت له اما ما قيل فى قوله عز وجل فما فوقها معناه فما دونها فان اهل العربية على خلاف ذلك وليس لهذه اللغة عندهم الا وجهان احدهما ان يكون فما فوقها فما هو اكبر منها لان البعوضة غاية فى الصغر فيكون المعنى انه عز وجل لا يستحى ان يضرب مثلا ما بين الشئ الذى هونهاية الصغر الى ما هو فوقه اى ما زاد عليه وتجاوز والوجه الآخر فما فوقها فى الصغر وهذا قول ابى العباس محمد بن يزيد المبرد وابى اسحاق الزجاج والكسآئى من قبلهما وابى عبيدة وما اظن غيرهولاء يقول الا مثل ذلك واما ما ذكرت من ان دون تاتى بمعنى خلف وامام فانها عند اهل العربية من الاضداد نحو ورآ فقد اخبرتك ان معناها عند اهل العربية التقصير عن الغاية واذا كان الشئ ورآء الشئ او امامه او يمنة اوشأمة صلح فى ذلك كله ان تقول هو دونه الا ترى انك اذا قلت بيوت بنى فلان دون الحرة صلح ان تكون دونها الى مهب الشمال او الى مهب الجنوب او الى غيرها من الجهات فلا يعلم المخاطب اى الجهات التى تعنى فليس هذا من الاضداد فى شئ وانما جعلها قوم من الاضداد لما راوها تستعمل فى هذه الوجوه لما فيها من الابهام وكذلك ورآء انما هى من الموارات والاستتار فما استتر عنك فهو ورآء خلفك كان اوقدامك هذا اذا لم تره ولم تشاهده فاما اذا رايته فلا يكون امامك وورآك وانما

قال لبيد

اليس وراى ان تراخت منيتى * لزوم العصى تحنى عليها الاصابع

يعنى اليس امامى لانه قال ذلك قبل ان يرى ويشاهد نفسه وقد لزم الغلط وقد قال الله عز وجل وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا قالوا انه كان امامهم وصلح ذلك لانهم لم يعاينوه ولم يشاهدوه فقد وضح لك الآن معنى دون انها لا تخرج عن بابها التى وضعت له الا ترى انك تقول نزلت فى القرية دون النخل فيجوز ان تكون القرية امام النخل وخلفه ويكون المعنى انك افردت القرية بنزولك ولم تعرج على النخل وكذلك لقيت زيدا دون عمرو واكلت السمك دون اللبن اخرجت عمرا من لقائك واللبن من اكلك وكذلك قول الطائى دون الاقرب قد اخرجهم من العرف وهذا لا شئ اوضح منه وقد حمل بعضهم نفسه على ان قال اراد الطائى لكن عرفه فى الابعد الاوطان دون عرفه فى الاقرب وهذا من افحش الخطا لان قوله دون الاقرب مثل قولك ودى لزيد دون عمرو فليس معناه كمعنى قوله ودى لزيد دون لعمرو لانك فى الاول قد اخرجت عمرا من الود وافردت زيدا به وفى الثانى جعلت الود لزيد دون الود لعمرو اى اقل منه فهذا معنى وذاك معنى آخر وايضا فلو اعتمد ابو تمام هذا المعنى لكان قد اخرج لكن التى تدخل للاستدراك من ان يكون استدرك بها شيئا فلا يكون لها فى البيت معنى البتة وقال آخر ممن يلتمس العذر لابى تمام انما هذا على طريق الايثار كما يوثر الانسان على نفسه فكذلك يوثر على اقاربه قيل له الايثار على النفس حسن جدا وصاحبه ممدوح كما قال الله عز وجل ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وكما قال ابو خراش

ارد شجاع الجوع قد تعلمينه * واوثر غيرى من عيالك بالطعم

وكما قال عروة بن الورد

اقسم جسمى فى جسوم كثيرة * واحسو قراح الماء والماء بارد

والايثار انما يكون ايثارا ويقع الحمد به اذا آثر الانسان غيره على نفسه او على ولده وفى بعض الاحوال فاما اذا آثر بعض الطالبين على بعض بغير سبب يعلم فهو بذلك مذموم غير ممدوح فكيف اذا آثر البعيد على القريب وقد جاء فى اشعار العرب من الحث على بر الاقارب ومن حمد من وصلهم وذم من حرمهم ما هو اشهر واكثر

من ان يخفى قال زهير

وليس مانع ذى قربى وذى رحم * يوما ولا معدما من خابط ورقا

وقال ابو داود الايادى

اذا كنت مرتاد الرجال لنفعهم * فرش واصطنع عند الذين بهم ترمى

وقال حاتم الطآئى

لا تعذلينى على مال وصلت به * رحما قريبا فخير المال ما وصلا

وقال اوس بن حجر

اليس بوهاب مفيد ومتلف * وصول لذى قربى هضيم لمهتضم

وقال زهير

وذى نسب ناء بعيد وصلته * بمال وما يدرى بانك واصله

وقال كثير

بسطت لباغى العرف كفا بسيطة * تنال العدى بله الصديق فضولها

هذا المعنى اولى بالصواب من قول الطآئى لانه اراد ان عرفه ينال العدى فضلا عن الصديق لان قوله بله الصديق اى فدع الصديق لانه لا يصل الى العدى الا بعد ان يصل الى الصديق وقال كثير ايضا

لاهل الود والقربى عليه * صنائع بثها بر وصول

وللفقرآء عائدة ورحم * فلا يقصى الفقير ولا يعيل

الا تراه بدأ باهل وده وقرابته فجعل منافعه فيهم ثم ثنى بالفقرآء فجعل لهم عائدة ورحما اى رحمة وقال كثير ايضا

ولم يبلغ الساعون فى المجد سعيه * ولم يفضلوا افضاله فى الاقارب

جزيل الجوازى عن صديقك نصره * وقربت من ماوى طريد وراغب

وصاحب قوم معصم بك حقه * وجار ابن ذى قربى واخر جانب

رايتك والمعروف منك سجية * تعم بخير كل جاد وغائب

جاد يقال يجدو ويجتدى اى تعم بالمعروف من هو بحضرتك ومن هو غائب عنك فجعل كثير كما ترى معروفه عموما فى الاقارب وفى الاباعد الى الحاضر والغائب

وقال ابن هرمة

كم نائل وصلات قد نفحت بها * ونعمة منك لا تحصى اياديها

عند الاقارب والاقصين نفعهمـا * يحض روائحها تحدو غواديها

وقال كنانة بن عبديا ليل الثقفى

صـلاة وتسبيح واعطـاء نائل * وذو رحم تناله منك اصبع

يريد بقوله اصبع ذو رحم ونائل وقال اسماعيل بن يسار النسآى

واذا اصبت من النوافل رغبـة * فامنح عشيرتك الادانى فضلهـا

وقال المسيب بن علس فى منع الاقارب

من الناس من يصل الا بعدين * ويشقى به الاقرب الاقرب

وقال الحارث بن كلدة الثقفى يذم فاعل ذلك

من الناس من يغشى الاباعد نفعه * ويشقى به حتى الممات اقاربه

فان يك خـير فالبعيـد ينـاله * وان يك شر فابن عمك صاحبه

فقد تراه كيف ذم على حرمان القريب وقال مسافر بن ابى عمرو بن امية فى ذلك

تمـد الى الاقصى بثـديك كلـه * وانت على الادنى صرور مجدد

وانك لـو اصلحت من انت مفسد * توددك الاقصى الذى تتودد

الصرور الضيق حلمة الثدى والمجدد الذى قد انقطع لبنه وهـذه طريقـة القوم فى هذا وهو مذهب سائر الامم واما قول ابى تمام

وربما عدلت كف الكريم عن القوم الحضور ونالت معشرا غيبا

فليس هو من بيته الاول فى شئ وقد ادرك فيه الغرض كانه يعذر من فعل هذا اى ربمـا اتفق ان يفعله من غير قصد وليس هذا بمحمود وقدذهب البحترى الى نحوما ذهب اليه ابو تمام فقال

بل كان اقربهم من سيبه نسبا * من كان ابعدهم من جذمه رحما

الا انه لم يخرجهم من معروفه وان كان ايضا قد دخل تحت الاسـاءة ونحو هذا قول البحترى ايضا

غدا قسمه عدلا ففيكم نواله * وفى سرنبهان بن عمرو ما آثره

وما عجب ان يشهد الطعن دونه * وما عشرتكم فى نداه عشائره

فاى قسمة عدل ههنا ان يجعل نداه فى غير قومه ويقتصر بهم على ان يحروا الفخر لما آثره وان كان قد دل بقوله وما عشرتكم فى نداه عشـائره على انه لم يحرمهم نواله البتة والاحسن فى هذا قوله

فان ينفرد عنا يسير بمجده * فلم ينفرد عنا بنائله الجزل

فاعطاهم المجد والنائل جميعا وشبيه بهذا اوقريب منه قوله

عطاوك ذا القربى جزيل وفوقه * عطاوك فى اهل الشناآءة والبعد

فقال عطاوك ذا القربى جزيل ثم قال وفوقه عطاوك فى اهل الشناآءة والبعد فقوله وفوقه اى اجزل منه وقد يكون فوقه بمعنى زيادة عليه والمعنى الاول بالبيت اليق والجيد فى هذا البعيد من العيب قوله

ظل فيها البعيد مثل القريب المجتبى والعدو مثل الصديق

ولا اعرف لابى تمام فيما قال عذرا يتوجه ولا وجدت فيما تصفحته من الاشعار العرب ما يجانسه الا قول عامر بن صعصعة بن ثور الفقعسى

لمن يزورك من اشرافنا لطف * وذى القرابة ادناآء وتقريب

واظن اباتمام عثر به واستغربه فاخذ المعنى وزاد عليه زيادة اخرجته الى ذم الممدوح لان هذا الشاعر قال لمن يزورك من اشرافنا لطف اى بر ولذى القرابة ادناآء وتقريب ولم يقل ادناآ وتقريب دون البر كما قال ابوتمام لان البر واللطف اذا كانا للغريب الزائر وكان الادناآء والتقريب فى تلك الحال لذى القرابة فقد يجوز ان يهجه البر اليه فى وقت ايصاله الى الغريب وهذا ان كان يتع فى الاكثر فلا عيب على هذا الشاعر فيما قاله ولله در ابى عبادة الوليد بن عبيد البحترى اذ يقول

فان ذاك الندى يدنى اليه يدا ممتاحة من بعيد الدار والرحم

وقوله

وما اضعت الحق فى اجنب * فكيف تنسى واجبا فى شقيق

ومن خطائه قوله

يدى لمن شاآ رهنى لم يذق جرعا * من راحتيك دوى ما الصاب والعسل

لفظ هذا البيت مبنى على فساد لكثرة ما فيه من الحذف لانه اراد بقوله يدى لمن شاآ رهنى اى اسابقه وابايعه معاقدة او مراهنة ان كان من لم يذق جرعا من راحتيك دوى ما الصاب والعسل ومثل هذا لايسوغ لانه حذف ان التى تدخل للشرط ولا يجوز حذفها لانها اذا حذفت سقط معنى الشرط وحذف من وهى الاسم الذى صلته لم يذق فاختل البيت واشكل معناه والحذف لعمرى كثير فى كلام العرب اذا كان المحذوف مما تدل عليه جملة الكلام قال الله عز وجل او لم

.. .. موات والارض وما بينهما الا بالحق واجل
مسمى اراد جل وعز او لم يتفكروا ليعلموا واشباه هذا كثير ومن باب الحذف
والاختصار قوله تعالى فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم قال
ابو عبيدة العرب تختصر الكلام لعلم المخاطب بما اريد كانه اراد فيقال لهم
اكفرتم بعد ايمانكم وقوله عز وجل اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات بفسر
ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات وفى الشعر مثل هذا موجود قال الشاعر

لو قلت ما فى قومها لم تأثم * يفضلها فى حسب وميسم

يريد احد يفضلها فحذف احد لان الكلام يدل عليه ذكر ذلك سيبويه وانشد
فى باب الحذف

وما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح

يريد فمنهما تارة اموت فان تاول متاول هذا البيت على الفاظ اخر محذوفة غير
اللفظ الذى ذكرته فالاختلال بعد قائم لكثرة ما حذف منه وسقوط الدليل
عليه ومن خطائه قوله

شهدت لقد اقوت معانيكم بعدى * ومحت كما محت وشائع من برد

جعل الوشائع حواشى البرد او شئا منها وليس الامر كذلك انما الوشائع غزل
من اللحمة ملفوف يجره الناسج بين طاقات السدى عند النساجة قال ذو الرمة

به ملعب من معصفات نسجنه * كنسج اليمانى برده بالوشائع

فاما قول كثير

ديار عفت من عزة الصيف بعد ما * تجد عليهن الوشيع المنمنما

انما اراد بالوشيع هنا ما سد به الخصاصة بين الشيئين وهذه وشائع
الغزل مأخوذ من المنمنم من النمام اى بعد ما كانت هذه الديار تجد بالوشيع اى
يخصص جنابها ومثل ابى تمام لايسوغ الغلط فى مثل هذا لانه حضرى وانما يسامح
فى ذلك البدوى الذى يريد الشىء ولم يعاينه فيذكر غيره لقلة خبره بالاشيا
التى تكون بالامصار واما ابو تمام فليست هذه حاله بل ما جهل هذا ولكنه سامح
نفسه فيه الا ترى الى قوله فى موضع آخر يصف قصيدة

الجد والهزل فى توشيع لحمتها * والنبل والسخف والاشجان والطرب

فقال فى توشيع لحمتها ومن خطائه قوله

لو كان فى عاجل من آجل بدل * لكان فى وعده من رفده بدل

ولم لايكون فى عاجل من آجل بدل والناس كلهم على اختيار العاجل وايثاره وتقديمه على الآجل الا ترى قول القائل الذى قد صار مثلا والنفس مولعة بحب العاجل والعاجل ابدا هو المطلوب المرغوب فيه حتى ان قليله يوثر على كثير الآجل كما قال الآخر

اعاذل عاجل ما اشتهى * احب من الاكثر الرائث

كانه يريد عاجل ما اشتهى مع القلة احب الى من الاكثر البطى فمن شان الوجل ابدا ان يكون افضل الاعواض والابدال من كل آجل اذا كان فى الخير فعاجل الخير خير من آجله كما ان عاجل الشر شر من آجله لان العاجل شى قد وقع ان كان خيرا فقد حصل نفعه او شرا فقد تعجل شره وآجل الخير يخشى فوته وربما وقع الاخفاق منه كما ان اجل الشر يرجى زواله وربما لم يقع فكيف لايكون العاجل بدلا او خلفا من الآجل فان قال قائل ان الذى اراده ابوتمام وقاله صحيح ومذهبه فيه مستقيم لان العاجل لايكون ابدا بدلا ولا خلفا من الاجل لان المبدل لايكون قبل المبدل منه ولا الخلف يتقدم على ما هو خلف له لانه انما قيل له خلف لاتيانه خلف الذى هو قدامه فابوتمام انما انكر ان يكون العاجل بدلا او خلفا من الاجل على هذه السبيل قيل هذا غلط من التاويل او مغالطة لانه ليس على هذا الوجه منع ابو تمام من ان يكون العاجل بدلا من الاجل فيحتج بان هذا اولى بالتقديم وهذا اولى بالتاخير من طريق الترتيب وانما اراد انه لايقوم مقامه فى الحاجة اليه فكيف يكون الاول يقوم مقام الثانى والمتقدم مقام المتاخر وكان وجه الكلام الذى يصح به المعنى ويستقيم ان يقول لو كان فى عاجل قول بدل من آجل فعل لكان فى وعده من رفده بدل فان قال فهذا الذى اراد ابوتمام قيل ليس الامر كذلك لان طريقة لفظه فى البيت ان يكون معناه لو كان فى شى عاجل من شى آجل بدل وبعد فلو اراد ما ظننته وذهبت اليه وذلك ليس بمعلوم ولا فى البيت عليه دليل لم يلتفت الى ارادته لانك اذا فصلت الاضافة من عاجل قول او آجل فعل ففرقت بين المضاف والمضاف اليه لم يدل احدهما على الآخر لان لفظة عاجل لاتدل غير مضافة على ما تدل عليه لفظة عاجل قول كما ان لفظة آجل لاتدل على آجل فعل ولا يدلان ايضا على شى مضمر كما ان قولك زيد اول ناطق وآخر ساكت

وعمرو اول خارج واخر قادم وبكر اول آخذ واخر تارك اذا افردت اول واخر لم يدل على شئ مما اضيف اليه الاترى ان الاصمعى انكر على ذى الرمة قوله يصف الوتر كانه فى نياط القوس حلقوم فقال حلقوم ما ذا اذ كان يجب ان يقول حلقوم طائر اوحلقوم قطاة اوغيرهما مما يشبه الوتر فى الرقة والا فقد يكون الحلقوم حلقوم فيل اوحلقوم بعيروهذا من الاصمعى انكار صحيح وان كان لايلزم ذا الرمة فيه ما يلزم اباتمام لان العرب لا تشبه الوتر الا بحلقوم الطائر وذلك قول الراجز لام ممر مثل حلقوم الوتر اخذه ابو تمام فقال لام كحلقوم القطاة تغترف وابو تمام انما اراد ان هذا الممدوح يقيم وعده لصحته مقام عطيته واحب الاغراق على رسمه فاخطأ فى تمثيل ما مثل بذكر العاجل والآجل لانه اطلق القول عموما فلا يدل على خصوص والجيد النادر فى هذا قول البحترى

لو قليل كفى امرأ من كثير * لاكتفينا بقوله من فعاله

واحسن الراعى فى قوله

ضافى العطية راجيه وسائله * سيان افلح من يعطى ومن يعد

ومن خطائه قوله

بيوم كطول الدهر فى عرض مثله * ووجدى من هذا وهذاك اطول

فجعل للدهر وهو الزمان عرضا وذلك محض المحال وعلى انه ما كانت اليه حاجة لانه قد استوفى المعنى بقوله كطول الدهر فأتى على العرض فى المبالغة فان قيل فلم لا يكون سعة ومجازا قيل هذه الفاظ صنعتها صنعة الحقيقة وهى بعيدة من المجاز لان المجاز فى هذا له صورة معروفة والفاظ مألوفة معتادة لا يتجاوز فى النظر بها الى ما سواها وهى قول الناس عشنا فى خفض ودعة زمانا طويلا عريضا وما زلنا فى رخاء ونعمة الدهر الطويل العريض وانما ارادوا تمامه وكماله وسعته نحو قولهم ثوب طويل عريض اى تام واسع وارض طويلة عريضة اى تامة فى الطول والسعة وكذلك اذا وصفوا ما ليس له طول ولاعرض على الحقيقة فانما يريدون التمام والكمال الاترى الى قول الراعى

انت ابن فدعى قريش لوتقاسمها * فى المجد صار اليك العرض والطول

اى لها سعة وتمام وكمال والفضائل المحاسن وكذلك قوله

اذا ابتدر الناس المكارم بزهم * عراضة اخلاق ابن ليلى وطولها

اى نزهم منه اخلاقه وتمامها وكمالهـا فى الفضل لان الاخلاق تمدح بالسعة وتذم بالضيق الا ان اكثر ما يأتى فى كلامهم العرض المراد به السعة اذا جاء مفردا عن الطول نحو قولهم فلان فى نعمة عريضة وله جاه عريض وكما قال الله جل وعز وجنة عرضها السموات والارض اى سعتهـا وكما قال الله عز وجل فى موضع آخر واذا مسه الشر فذو دعاء عريض وكما قال تميم بن ابى بن مقبل

يقطعن عرض الارض غير لواغب * وكان بحريها لهن صحار

اى يقطعن سعة الارض وكما قال الآخر

ساجعل عرض الارض بينى وبينهم * واجعل بيتى فى غنى واعصر

وكما قال العجاج

اذا تغنسوا بعد ارض ارضا * حسبتهم زادوا عليها عرضا

اى سعة وكثرة وكما قال تميم ايضا

حتى اذا الريح خبت بالسفا خببا عرض البلاد اشت الامر واختلفا

اى سعة البلاد فهذا اذا جرى على هذا اللفظ المستعمل حسن ولم يقبح واذا عدل به عن هـذه الطريقة وهذه الالفـاظ المالوفة الى ما ينبه الحقائق اويقاربها كنت مخطئا لانك اذا قلت مضى لنـا فى الخفض والدعة دهر طويل كان طوله كعرضه لم يجز ذلك لان هذا الترتيب كان وصفا لاشياء مجسمة كما قال الطائى * بيوم كطول الدهر فى عرض مثله * فكان هـذا اللفظ كانه تدرع ثوبا اوتمسح ارضا اويصف بالاجتمـاع والتزوير رجلا كما قال تميم بن ابى بن مقبل

وكل يمان طوله مثل عرضه * فليس له اصل ولا طرفان

فان قيل فاذا جعلت للزمان العرض الذى هو سعة على المجاز لم لا تجعل له العرض الذى هو خلاف الطول على المجـاز قيل له العرض الذى هو خلاف الطول حقيقة والزمان لا عرض له على الحقيقة فكيف تكون الحقيقـة مجازا فان قيل فان الزمان لا يوصف بالسعة كما لا يوصف بالعرض فلم استعرت له العرض الذى هو السعة قيل العرض وان جاء وصفا وحلية للزمان فى قولهم عاش فلان فى نعمة زمنا طويلا عريضا فانمـا صلح لانك وصلته بالطول وقرنته به فكان المعنى عاش فى زمن تم له وكمل واتسع كما اخبرتك والزمان قد يوصف بالسعـة فيقـال قد اتسع لك الوقت والزمان فى مثل كذا ولا يقـال عرض لك والعرض ههنـا هو السعة ولكن اجرى

هـذا على حسب ما استعملوه وانما فى الوقت فسحة لك وامتداد يراد به معنى الطول وقال ضرار بن الخطاب * وما لاقيت فى الزمن العريض * وذكر العرض مفردا عن الطول اى الزمن الذى اتسع لك وقد يجوز ان قلت عاش فى الخير دهرا عريضا ان تريد بالعرض سعة الخير فيه لا سعته فى نفسه كما قالوا ليل نائم اى ينام فيه ولمح باصر اى يبصر فيه وانما تستعار اللفظة لغير ما هى له اذا احتملت معنى يصلح لذلك الشئ الذى استعيرت له ويليق به لان الكلام انما هو مبنى على الفائدة فى حقيقته ومجازه واذا لم تتعلق اللفظة بالعرض على الحقيقة وهذا محال لما كان فى بيت ابى تمام معنى لانه انما اراد ان يبالغ فى طول وجده اذ كل الوجد يوصف بالطول كما يوصف به الشوق والغرام ونحوهما فيقال طال وجدى وطال شوقى وطال غرامى وكذلك الزمان انما يوصف بالطول فيقال طال ليلى وطال نهارى فما كانت حاجة الى العرض وانما فضل وجده على الدهر وعلى اليوم الذى جعله كالدهر من جهة الطول لا من جهة العرض الا تراه قال * ووجدى من هذا هذاك اطول * وقد ذكر ابو تمام العرض فى بيت آخر فقال

ان الثناء يصير عرضا فى الورى * ومحله فى الطول فوق الانجم

كيف جعل سير الثناء عرضا فى الورى وهو لم يحدد موضعا بعينه فيحسن فيه ذكر الطول والعرض فيكون كما قال الراعى

وجرى على حرب الصوى فطردته * طرد الوسيقة فى السماوة طولا

فحسن ان يقول طولا لانه ذكر السماوة كما قال النابغة ويقال انه منحول عليه

جنين مع الغطاط يقدن حتى * قطعن الحزن عرضا والرمالا

فصلح لانه ذكر انهن قطعن ارض الحزن والرمال ومثل قول ابى تمام قول المرار

فلو كانت تجوب الارض عرضا * ولكن جوبهن الارض طولا

وله ولبيت ابى تمام معنى غامض يصحان به وانا اذكره مع شرح المعانى الغامضة من شعر ابى تمام ومما يشبه قول ابى تمام * بيوم كطول الدهر فى عرض مثله * او يقارب به قول الكميت يصف عدة قوم بالكثرة * كالليل لا بل يضعفو * ن عليه من باد وحاضر * وكيف يحصل مقدار الليل حتى يحصل ضعفه وهذا ايضا يصح على التمييز والتفتيش اذا حصل معناه وذلك ان الليل لا يغشى الارض كلها بظلمته وانما يغشى بعضها فلعل الكميت اراد انهم ياخذون من الارض ضعف ما اخذه الليل منها

اذا غشيها على سبيل المبالغة كما قال الاحمر بن شجاع الكلبي

بحارا تغشى الناظرين كانها * دجى الليل بل هى من دجى الليل اكثر

وقال ابو تمـام

ورحب صدر لو ان الارض واسعة * كوسعه لم يضق عن اهله بلد

وهـذا ايضا غلط من اجل ان كل بلد يضيق باهله وليس ضيقه من جهة ضيق الارض. لان الارض لو كانت عشرة اضعافها فى المقدار او الف ضعف مثلها ما كان ذلك بموجب ان يكون الحزن والصمان او نجدا او المدينة او مكـة او الكـوفة او البصرة فى قدر مساحة كل ناحية منها اوسع وازيد مما هى عليه الآن اذ لم يختط البصرة والكوفة من اختطهما ولا اسس مكة والمدينة من اسسهما على قدر سـعة الارض وضيقها ولا صار قدر الحزن والصمان هـذا القدر فى ذرعهما ومساحتهمـا على قدر مساحة الارض وذرعها بقسط اخذاه منها وانما ذلك على حسب الاخلاق فى كل سعة وعلى حسب ما ادى اليه الاجتهاد والاختيار ممن اسس كل بلدة ومصر كل مصر وكـان ينبغى ان يقول ورحب صدر لو ان الارض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك وضاقت عنها السماء او ان يقول لو ان سـعة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن اهله بلد وكان حينئذ يكون المعنى لائقا مستقيما والجيد الصحيح فى هذا المعنى قول البحترى * مفازة صدر لم تطرق ولم يكن * ليسلكها بردا سليك المقانب اى لم يكن ليسلكه الا بدليل لسعته وايضـا فان الجـزء من الارض هو ما يكون فيه من الحيوان والنبات وانما مقداره على ما يقوله اهل الهندسة الربع من الارض واقل من الربع والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون جزا من الف جزء من ذلك فما معنى جعله ضيق البلدان الضيقة انما هو من اجل ضيق الارض فان قيل لا يدل قوله الارض وهو لفظ عموم على البلدان التى هى مخصوصة ولا يكـون اللفـظ الا هكذا ان يريد القائل لفظة تدل على معنى فيأتى باخرى ليست فيها عـلى ذلك المعنى دلالة

ومن خطائه قوله

وكلما امـست الاخطـار بينهم * هلـكى تبـين من امسى له خطـر

لو لم تصادف شياة البهم اكثر ما * فى الخيل لم تحمد الاوضـاح والغرر

فالاوضاح هى البياض فى الاطراف وقد يكون ايضا فى البهم وكذلك ايضا الغرر

قد توجد فى البهم كثيرة وهـذا فساد فى ترتيب البيت لانه ليس اذا وجدت شياة البهم وهى صغار الغنم اكثرها فى الخيل اووجدت شياة الخيل اكثرها فى البهم كان ذلك موجبا لحمد الاوضاح والغرر وانما كان يصح نظم الكلام لو لم توجد الاوضاح والغرر فى البهم حتى تكون مخصوصة بالخيل فيقول لو لم تعدم الاوضاح والغرر فى البهم لما حدت فى الخيل فاما ان توجد شياة البهم فى الخيل كثيرا او شياة الخيل فى البهم دائما فليس هـذا بموجب حمد الاوضاح والغرر فى الخيل لان الاوضاح والغرر موجودة فى الغنم وقال طارق بن شهاب

وراحت اصيلا نا كان ضروعها * دلاء وفيها واتد القرن لبلب

له رعثات كالشنوف وغرة * شديخ ولون كالوذيلة مذهب

فذكر ان له غرة وقال اخر فى وصف عنز

سوداء الا وضحا فى الشوى * كانما الجوزاء فى الاكرع

فذكر بياض اكرعها وذلك موضع التحجيل بل لوقال لو لم تقل الاوضاح والغرر فى البهم لما حمدت فى الخيل لكان اقرب الى الصواب لانى اظنها فى البهم اقل وفى الخيل اكثر وليس فى هذا البيت دليل على هذا ولا ذاك

ومن خطأ المدح قوله

ساحمد نصرا ما حييت واننى * لاعلم ان قد جل نصر عن الحمد

فانه رفع الممدوح عن الحمد الذى ندب الله عباده اليه بان يذكروه به وينسبوه اليه وافتتح فرقانه فى اول سورة بذكره وحث عليه وللعرب فى ذكر الحمد ما هو كثير فى كلامها واشعارها ما فيهم من رفع احدا عن ان يحمد ولامن استقل الحمد للممدوح قال زهير بن ابى سلمى

متدمرق للمجد معترف * للرزء نهاض الى الذكر

اى حيث ما راى خلة تكسبه الحمد التمسها وطلبها وقال زهير ايضا

اليس بفياض يداه غمامة * ثمال اليتامى فى السنين محمد

فقوله محمد اى يحمد كثيرا وقال الاعشى

ولكن على الحمد انفاقه * وقد يشتريه باغلى ثمن

وقال ايضا

اليك ابيت اللعن كان كلالها * الى الماجد الفرع الجواد محمد

فوصفه بان جعله محمداً اى يحمد كثيرا وقال الآخر

ومن يعط اثمان المحامد يحمد * فهذه هى الطريقة المعروفة فى كلام العرب ولو قال الطائى لو جل احد عن المدح لجللت عنه كان اعذر كما قال البحترى

لوجل خلق قط عن اكرومة * تبنى جللت عن الندى والباس

اى كنت تجل لعلو شانك عن ان يقال سخى اوشجاع اذ كان هذان الوصفان قد يوصف بهما من هو دونك وقال البحترى ايضا

والحمد انفس ما تعوضه امرؤ * رزىء التلاد ان المرزأ عوضا

فاما قول البحترى

كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف سرى مجده فعاب الثناء

فعيبه الثناء انما معناه عظم ان يدركه ويبلغ حده الاتراه قال كيف تثنى على ابن يوسف لا كيف اى لاطريق الى كيف الثناء الذى يستحقه ويايق به ثم قال سرى مجده فعاب الثنا قطعا من الكلام الاول * ومن خطائه قوله

ظعنوا فكان بكاى حولا بعدهم * ثم ارعويت وذاك حكم لبيد

اجدر بجمرة لوعة اطفاؤها * بالدمع ان تزداد طول وقود

وهذا خلاف ما عليه العرب وضد ما يعرف من معانيها لان من شان الدمع ان يطفى الغليل ويبرد حرارة الحزن ويزيل شدة الوجد ويعقب الراحة وهو فى اشعارهم كثير موجود ينحى به هذا النحو من المعنى فمن ذلك قول امرء القيس

وان شفاءى عبرة مهراقة * فهل عند رسم دارس من معول

وقول ذى الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد او يشفى نجى البلابل

وقال الفرزدق

فقلت لها ان البكا لراحة * به يشتفى من ظن ان لاتلاقيا

وهو كثير فى اشعارهم ماعدل به احد منهم عن هذا المعنى وكذلك المتاخرون هذا السبيل سلكوا وابو تمام من بينهم ركب هذا المعنى وكرره فى شعره متبعا لمذاهب الناس فمن ذلك قوله

نثرت فريد مدامع لم تنظم * والدمع يحمل بعض ثقل المغرم

وقال فى موضع اخر

واقعا بالخدود والبرد منه * واقع بالقلوب والاكباد

وقال ايضا

فلعل عينك ان تجود بمآئها * والدمع منه خاذل ومواسى

وقال ايضا

فلعل عبرة ساعة اذريتها * تشفيك من ارباب وجد محول

فلو كان اقتصر على هذا المعنى الذى جرت به العادة فى وصف الدمع لكان المذهب المستقيم ولكنه احب الاغراب فخرج الى ما لا يعرف فى كلام العرب ولا مذاهب سائر الامم وقد تبعه على الخطا البحترى فقال

فعلام فيض مدامع تدق الجوى * وعذاب قلب فى اجتناب معذب

قوله تدق الجوى من قولهم لم يدق الارض منه شى اى لم يصل وفى شعر امرء القيس ما فيه مودق اى على اثرى واصله من الدنو فكانه قال تدق الجوى اى تدنى الجوى يقال اتان وديق اى تدنو من الفحل ومنه الوديقة الهاجرة لدنو الحر وقيل لقطر المطر ودق لانحلاله من السحاب ودنوه من الارض * ومن خطائه قوله

رضيت وهل ارضى اذا كان مسخطى * من الامر ما فيه رضى من له الامر

فمعنى هذا البيت التقرير والتقرير على ضربين تقرير للمخاطب على فعل قد مضى ووقع اوعلى فعل هو فى الحال ليوجب المقرر بذلك ويحققه ويقتضى من المخاطب فى الجواب الاعتراف به نحو قوله هل اكرمتك هل احسنت اليك هل اودك واوثرك واقضى حاجتك وتقرير على فعل يدفعه المقرر وينبغى ان يكون قد وقع نحو قوله هل كان قط اليك شئ كرهته هل عرفت منى غير الجميل فقوله فى البيت وهل ارضى تقرير لفعل ينفيه عن نفسه وهو الرضى كما يقول القائل وهل يمكننى المقام على هذه الحال اى لا يمكننى وهل يصبر الحر على الذل وهل يروى زيد ويشبع عمرو وهذه افعال معناها النفى فقوله وهل ارضى انما هو نفى للرضى فصار المعنى ولست ارضى اذا كان الذى يسخطنى ما فيه رضى من له الامر اى رضى الله تعالى وهذا خطأ منه فاحش فان قال قائل فلم لا يكون قوله وهل ارضى تقريرا على فعل هو فى الحال ليوكده من نفسه نحو قوله هل اودك ونحو قول الشاعر

هل اكرم مثوى الضيف ان جا طارقا * وابذل معروفى له دون منكرى .

قيل له ليس قول القائل لمن يخاطبه هل اودك هل اوثرك وقوله سل عنى هل اصلح

الخبر او هل اكتم السر او هل اقنع بالميسور مثل قول ابى تمام رضيت وهل ارضى فان صيغة هذا الكلام دالة على انه قد نفى الرضى عن نفسه بادخاله الواو على هل وانما يشبه هذا قول القائل وهل اودك اذا كانت افعالك كذا وهل اصلح للخير عندك اذا كنت تعتقد غير ذلك وهل ينفع فى زيد العتاب كقول الشاعر * وهل يصلح العطار ما افسد الدهر * وقول ذى الرمة وهل يرجع التسليم او يكشف العمى * ثلاث الاثافى والرسوم البلاقع * لان الواو ههنا كانها عطفت جوابا على قول قائل ان فلانا سيصلح ويرجع الى الجميل فقال آخر وهل يصلح العطار ما افسد الدهر وكقول الرمة * امنزلتى مى سلام عليكما * هل الازمن اللاى مضين رواجع* لما علم ان التسليم غير نافع عاد على نفسه فقال وهل يرجع التسليم وكما قال امرؤ القيس وان سفاى عبرة مهراقة ثم قال وهل عند ربع دارس من معول وكذلك قول ابى تمام رضيت ثم قال وهل ارضى اذا كان مسخطى انما معناه ولست ارضى فكان وجه الكلام ان يقول رضيت وكيف لا ارضى اذا كان مسخطى ما فيه رضى الله تعالى وكذا اراد فاخطا فى اللفظ واحال المعنى عن جهته الى ضده فان قيل ان هل ههنا بمعنى قد وانما اراد الطاى رضيت وقد ارضى كما قال الله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهراى قد اتى قيل هذا انما قاله قوم من اهل التفسير وتبعهم قوم من النحويين واهل اللغة جميعا على خلاف ذلك اذ لم يات فى كلام العرب واشعارها هل قام زيد بمعنى قد قام زيد واذا كان ذلك معدوما فى كلام العرب ولغاتها فكيف يجوز ان يوخذ به او يعول عليه وقد قال ابو اسحق الزجاج وجماعة من اهل العربية فى قوله عز وجل هل اتى على الانسان معناه المريات على سبيل التقرير وهب الامر فى هذا كما ذكروا والخلاف ساقط فيه فان بيت ابى تمام لا يحتمل من التاويل ما احتملته الآية لان هل انما شبهها من شبهها بقد اذا وليت لفظ الماضى خاصة وابو تمام انما اوقعها على الفعل المستقبل فسقط عنها ان تضارع قد لان قد حينئذ قد تكون بمعنى ربما وهل ليس فيها ذلك وبعد فان كان الرجل انما اراد بهل معنى قد فلم لم يقل رضيت وقد ارضى فياتى بلفظة قد نفسها اذ انما يريد الخبر ولا ياتى بهل فيلتبس الخبر الذى اياه قصد بالاستفهام فان البيت كان يستقيم بهل ويغنينا عن الاحتجاج الطويل وقد استقصيت القول فى هذا البيت وما ذكره النحويون وسيبويه وغيره فى معنى قد وهل ولخصته فى جزء مفرد وانما فعلت ذلك لكثرة من عارضنى فيه

وادعى الدعاوى الباطلة في الاحتجاج لصحته * ومن خطائه قوله في الكلام على الدار

دار أجل الهوى عن ان الم بها * في الركب لا وعيني من منائحها

وهذا لفظ محال عن وجهه لان الاههنا تحقيق وايجاب فكيف يجوز ان تكون عينه من منائحها اذا لم يلم بها وانما وجه الكلام دار اجل الهوى عن ان الم بها وليس عيني من منائحها وقد كنت اظن ان ابا تمام على هذا نظم الشعر وان غلطا وقع عليه في نقل البيت حتى رجعت الى النسخة العتيقة التي لم تقع في يد الصولي واضرابه فوجدت البيت في غير نسخة مثبتا على هذا الخطا

(ومن خطائه ايضا في وصف الربع وساكنه قوله)

قد كنت معهودا باحسن ساكن * ثاو واحسن دمنة ورسوم

والربع لايكون رسما الا اذا فارقه ساكنوه لان الرسم هو الاثر الباقي بعد سكانه والصواب قول البحتري

يامغاني الاحباب صرت رسوما * وغدا الدهر فيك عندي ملوما

وقال امرؤ القيس وهل عند رسم دارس من معول فقال ذلك لان الرسم يكون دارسا وغير دارس وقال

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان * ورسم عفت آياته منذ ازمان

(ومن خطائه قوله)

طلل الجميع لقد عفوت حميدا * وكفى على رزئي بذاك شهيدا

اراد وكفى بانه مضى حميدا شاهدا على اني رزئت وكان وجه الكلام ان يقول وكفى برزئي شاهدا على ان مضى حميدا دون حميد امر الطلل قد مضى وليس بشاهد ولامعلوم ورزؤه ظاهر من تفجعه شاهد معلوم فلان يكون الحاضر شاهدا على الغائب اولى من ان يكون الغائب شاهدا على الحاضر فان قيل انما اراد ان يستشهد على عظيم رزئه عند من لم يعلمه قيل فمن لايعلم قدر مرزئته التي بعضه ظاهر عليه كيف يعلم ما مضى من حميد امر الطلل حتى يكون ذلك شاهدا على هذا فان قال هذا انما جاء به على القلب قيل له المتاخر لا يرخص له في القلب لان القلب انما جاء في كلام العرب على السهو والمتأخر انما يحتذي على امثلتهم ويقتدي بهم وليس ينبغي له ان يتبعهم فيما سهوا فيه فان قيل فقد جاء القلب في القران ولايجوز ان يكون ذلك على سبيل السهو والضرورة لان كلام الله عز وجل يتعالى عن ذلك وهو قوله

ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة وانما العصبة تنوء بالمفاتيح اى تنهض بثقلها وقال عز وجل ثم دنا فتدلى وانما هو تدلى فدنا وقال وانه لحب الخير لشديد اى وان حبه للخير لشديد ولهذا اشباه كثيرة فى القرآن قيل هذا ليس بقلب وانما هو صحيح مستقيم انما اراد الله تعالى اسمه ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اى تميلها من ثقلها ذكر ذلك الفرآ وغيره وقالوا انما المعنى لتنئ العصبة وقوله انه لحب الخير لشديد قيل المعنى انه لحب المال لشديد والشديد البخيل يقال رجل شديد اى بخيل يريد انه لحب المال لبخيل متشدد يريد انه لحب المال اى لاجل حبه المال لبخيل وقالوا فى قوله عز وجل ثم دنا فتدلى انما كان تدليه عند دنوه واقترابه وكما قال ابو النجم قبل دنو الافق من جوزائه والجوزآ اذا دنت من الافق فقد دنا الافق منها وليس هذا من القلب المستكره ومثله فى الشعر كثير قال الشاعر

ومهمه مغبرة ارجآؤه * كان لون ارضه سمآؤه

قوله كان لون ارضه اى كان لون سمائه من غبرتها لون ارضه وليس الامر فى ذلك بواجب لان ارضه وسمآءه مضافان جميعا الى الهاء وهى كناية عن المهمه فهما بنسبه بصاحبه كانا فيه سوآ وانما تقدر آذاق السمآ من الجدب واحتباس المطر قال الحطيئة * فلما خشيت الهون والعير ممسك * على رغمه ما امسك الحبل حافره * قال وكان الوجه ان يقول ما امسك الحافر حبله وكلاهما متقاربان لان الحبل اذا امسك الحافر فان الحافر ايضا قد شغل الحبل فهذا كله سائغ حسن ولكن القلب القبيح لا يجوز فى الشعر ولا فى القرآن وهو ما جآ فى كلامهم على سبيل الغلط نحو قول خداش ابن زهير

وتركب خيلا لا هوادة بينها * وتعصى الرماح بالضياطرة الحمر

وانما الضياطرة هى التى تعصى بالرماح وكقول الآخر

كانت فريضة ما تقول كما * كان الزنآء فريضة الرجم

وانما الرجم فريضة الزنآء وكقول الفرزدق يصف ذئبا

واطلس عسال وما كان صاحبا * رفعت لنارى موهنا فاتانى

وانما اراد رفعها للذئب وانشده المبرد وقال القلب جائز للاختصار اذا لم يدخل الكلام لبس كانه يجيز ذلك للمتقدمين دون المتاخرين وما علمت احدا قال للاختصار غيره فلو قال لاصلاح الوزن او للضرورة كما قال غيره كان ذلك اشبه

ويجوز ان يكون الفرزدق فى البيت سهـا او اضطر لاصلاح الوزن وابو تمام وغيره من المتاخرين لايسوغون مثل هذا لانه القلب المستكره فان قيل انه لم يرد القلب وانما اراد وكفى على رزئى بمحمود امر الطلل شهيدا قيل واى شى استشهد واين شهيده (ومن خطائه قوله فى باب الفراق)

دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة * فلباه طل الدمع يجرى ووابله

اراد ان الشوق دعا ناصرا ينصره فلباه الدمع بمعنى انه يخفف لاعج الشوق ويطفى حرارته وهذا انما هو نصرة للمشتاق على الشوق والدمع انما هو حرب للشوق لانه يبله ويمحونه ويكسر منه حده كما قال البحترى

وبكاء الديار مما يرد الشوق ذكرا والحب نضوا ضئيلا

قوله يرد الشوق ذكرا اى يخففه ويبله حتى يصير ذكرا لا يتقى ولا يزعج كاقلاق الشوق وقوله والحب نضوا اى يصغره ويمحقه كما قال جرير

فلما التقى الحيان القيت العصى * ومات الهوى لما اصيبت مقاتله

فلو كان الدمع ناصرا للشوق لكان يقويه ويزيد فيه الا ترى انك تقول قد ذهب الشوق اليك فالشوق عدو المشتاق وحربه والدمع سبب لتخفيفه عنه وهو حرب للشوق وليس بهذا الخطا خفاء وقد تبعه البحترى فى هذا المعنى فقال يذكر الديار التى وقف عليها

نصرت لها الشوق اللجوج بادمع * تلاحقن فى اعقاب وصل تصرما

(ومن خطائه فى معنى الشوق قوله)

يكفيك شوق قد يطيل ظماءه * فاذا سقاه سقاه سم الاسود

فقوله شوق يطيل ظماءه غلط لان الشوق هو الظما نفسه الا ترى انك تقول انا عطشان الى رؤيتك وظمآن ومشتاق بمعنى واحد فكيف يكون الشوق هو الظمآن بعينها وكيف يكون هو الساقى والمحبوب هو الذى يظمى ويسقى بالبعد او بالهجر لا الشوق فكيف يكون الشوق يطيل شوقه (ومن خطائه قوله)

امر التجلد بالتلدد حرقة * امرت جمود دموعه بسجوم

جعل الحرقة آمرة التجلد بالتلدد والحرقة التى يكون معناها التلدد تسقط التجلد البتة وتذهب به فاما ان يجعله متلددا فان هذا من احمق المعنى واولاها بالاستحالة وايضا فاى لفظ اسخف من ان يجعل الحرقة آمرة وانما العادة فى مثل هذا ان تكون

باعثة او جالبة او نحو هذا واما الامر فليس هذا موضعه ولو قال بعثت اوجلبت لكان له وجه (ومن خطأئه قوله)

من حرقة اطلقتها فرقة اسرت * قلبا ومن عذل فى نحره غزل

قوله اطلقتها فرقة اى ثورتها واظهرتها وانما قال اطلقتها من اجل قوله اسرت ليطابق بين الاطلاق والاسر وقوله اسرت قلبا معنى الفرقة وهو معنى ردى لان القلب انما باسره ويتملكه شدة الحب لا الفراق فان لم يكن ماسورا قبل الفراق فما كان هناك حب فلم حضر للتوديع وما كان وجه البكاء والاستهلاك والوجل الذى ذكره قبل البيت والقصة القطيعة التى وصف الحال فيها عند مفارقتهم وما علم ان للفراق لوعة صعبة عند وروده وفجعاته فلا يسمى ذلك اسرا ولا علاقة وانما يسمى محنة تطرء على اسير الحب وربما قتلته كما يقتل الاسير والفراق انما له لوعة ثم تبرد ناره وتخمد وقتا وقتا حتى يدرس الحب فالفراق يقلع اسر الحب وينسى الخليل خليله اذا امتد به زمان الا ترى الى قول زهير الكلبي

اذا ما شئت ان تسلى حبيبا * فاكثر دونه عدد الليالى

فما انسى خليلك مثل نأى * وما ابلى جديدك كابتذال

وقول الآخر

ينسى الخليلين طول النأى بينهما * وتلتقى طرق شتى فيأتلف

هذا هو المعنى الصحيح المعروف وان كان قد تقدم ابا تمام فى هذا المعنى من تبعه وحذا على حذوه والردى لا يؤتم به ولعله يجمع معنى سائغا حسنا فافسده لسوء عبارته وكثيرا ما يفعل هذا وكان ينبغي ان يقول من حرقة بعثها فرقة او اظهرتها فرقة جرحت قلبا حتى يكون اسير الهوى قبل الفراق فان قال فلم لا يكون اسرت قلبه الحرقة للفراق قيل لا يكون ذلك لان الاسر اذا قبح ان يكون فعلا للفرقة قبح ايضا ان يكون فعلا للحرقة لان الفرقة هى التى جابت الحرقه فشانها كشانها (ومن خطأئه قوله)

ما لامرء خاض فى بحر الهوى عمر * الا وللبين فيه السهل والجلد

وهذا عندى خطأ ان كان اراد بالعمر مدة الحياة لانه اسم واحد للمدة باسرها فهو لا يتبعض فيقال لكل جزء منه عمر كما لا يقال ما لزيد رأس الا وفيه شجة او ضربة وما له لسان الا وهو ذرب او فصيح وكذلك لا يقال ماله عمر الا

وهو قصير وانما يسوغ هذا فيما فوق الواحد مثل ان تقول ما له ضلع الا مكسورة وما له يد الا وفيها اثر ولا رجل الا وفيها حنف وليس قولهم ما له عيش الا منغص ولاحيوة الا كدرة مثل قولك ماله عمر الا قصير ولو قلته لان عيش الانس ليس له مدة حياته باسرها لانك قد تقول كان عيشى بالعراق طيبا وكانت حياتى بمكة لذيذة وكان عيشى بالحجاز اطيب من عيشى باليمن ولا تقول كان عمرى لان العمر هو المدة باسرها والعيش والحياة ليسا كذلك لانهما يتبعضان فان قيل فانت تقول ما لزيد راس حسن ولا انف اشم ولا لسان ذرب قيل يصلح هذا من اجل النفى لانك انما تريد ليس له رأس من الرؤوس الحسنة ولا لسان من الالسن الذربة واذا دخلت الا ههنا فقد جعلت المنفى موجبا وحقيقة واذا قلت ليس لزيد راس الا حسن فقد اوجبت له عدة رؤوس وهذا خطا وكذلك سبيل العمر وان كان اراد بالعمر منزله الذى يوطنه ويعمره فذلك هو المعمر وما علمت ان احد اسماه عمرا الا ان يكون دير النصارى فانهم يسمونه عمرا وما كان يمنعه ان يقول وطن مكان عمر لان لفظهما ومعناهما واحد وقد يكون للانسان عدة اوطان توطنها وقد ذكر العمر فى موضع آخر من شعره وهو يريد مدة الحيوة فقال *

اذا مارق بالغدر جاور عمره * فذاك حرى ان تئم حلائله

اراد انه ان جاور عمره اى قاربه بالغدر فقد عرضه للزوال والنفاد وهذا من عويص الفاظه وما اراد بالبيت الاول الا مدة الحيوة لان ما قبل البيت وما بعده عليه يدل وقال فى على ابن الجهم

هى فرقة من صاحب لك ماجد * فغدا اذابة كل دمع جامد
فافزع الى ذخر الشؤون وغربه * فالدمع يذهب بعض جهد الجاهد
واذا فقدت اخا فلم تفقد له * دمعا ولا صبرا فلست بفاقد

قوله يذهب بعض جهد الجاهد اى بعض جهد الحزن الجاهد اى الحزن الذى جهدك فهو الجاهد لك ولو كان استقام له بعض جهد المجهود لكان احسن واليق وهذا اغرب واظرف وقد جاء ايضا فاعل بمعنى مفعول قالوا عيشة راضية بمعنى مرضية ولمح باصر وانما هو مبصر فيه واشباه هذا كثيرة معروفة ولكن ليس فى كل حال يقال وانما ينبغى ان ينتهى فى اللغة الى حيث انتهوا ولا يتعدى الى غيره فان اللغة لا يقاس عليها وقوله فلم تفقد له دمعا ولا صبرا من افحش الخطا لان الصابر لا يكون

باكيا والباكى لا يكون صابرا فقد نسق بلفظة على لفظة وهما نعتان متضادان ولايجوز ان يكونا مجتمعين ومعناه انك اذا فقدت اخا فدام البكا عليك فلست بفاقد وده ولا اخوته وهو محصل لك غيرمفقود وان كان غائبا عنك والى هذا ذهب الا انه افسده بذكر الصبر مع البكاء وذلك خطا ظاهر ولو كان قال فلم تفقد له دمعا ولا جزعا او دمعا ولا شوقا ولاقلقا لكان المعنى مستقيما وظننته قال غير هذا وان غلطا وقع فى كتابة البيت عند النقل حتى رجعت الى اصل ابى سعيد السكرى وغيره من الاصول القديمة فلم اجد الا دمعا ولا صبرا وذلك غفلة منه عجيبة وقدلاح لى معنى اظنه والله اعلم اليه قصد وهو ان يكون اراد اذا فقدت اخا فلم تفقد له دمعا اى يواصل البكا عليك فلست بفاقده على ما ذكره اى فقد حصل لك وصار ذخرا من ذخائرك وان غاب عنك وغبت عنه وان لم تفقد له صبرا اى وان صبر عنك فلست بفاقد لانه ان صبر وسلاك فليس ذلك باخ يعول عليه فلست ايضا بفاقده لانك لا تعتد به موجودا ولا مفقودا ولكن ذهب على ابى تمام ان هذا غير جائز لانه وصف رجلا واحدا بالوصفين جميعا وهما متضادان ولوكان جعلهما وصفين لرجلين فقال

واذا فقدت اخا لفقدك باكيا * اوصابرا جلدا فلست بفاقد

اى لست بفاقد هذا لانه محصل لك اولست بفاقد هذا لانه غير ناس مودتك لكان المعنى سائغا حسنا واضحا اولوجعله شخصا واحدا وجعل له احد الوصفين فقال

واذا فقدت اخا فاسبل دمعه * اوظل مصطبرا فلست بفاقد

لكان ايضا سائغا على هذا المذهب اوكان استوى له فى ذلك اللفظ بعينه ان يقول فلم تفقد له دمعا ولاصبرا حتى لا يجعل له الا احدهما لساغ ذلك لكنه نسق بالصبر على الدمع فجعلهما جميعا له ففسد المعنى فهذا واشباهه الذى قاله الشيوخ فيه انه يريد البديع فيخرج الى المحال وقال ابو تمام

لما استحر الوداع المحض وانصرمت * اواخر السير الا كاظما وجما

رايت احسن مرئى واقبحه * مستجمعين لى التوديع والعنما

العنم شجر له اغصان لطيفة غضة كانها بنان جارية الواحدة عنمة كانه استحسن اصبعها واستقبح اشارتها اليه بالوداع وهذا خطأ فى المعنى اراه ما سمع قول جرير * اتنسى اذ تودعنا سليمى * بفرع بشامة سقى البشام *فدعا للبشام بالسقيا لانها ودعته

به فسر بتوديعها وابو تمام استحسن اصبعها و استقبح اشارتها ولعمري ان منظر الفراق منظر قبيح ولكن اشارة المحبوبة بالوداع لا يستقبحه الا اجهل الناس بالحب واقلهم معرفة بالغزل واغلظهم طبعا وابعدهم فهما وقال *

فلويت بالمعروف اعناق الورى * وحطمت بالانجاز ظهر الموعد

حطم ظهر الوعد بالانجاز استعارة قبيحة جدا والمعنى ايضا فى غاية الرداءة لان انجاز الموعد هو تصحيحه وتحقيقه وبذلك جرت العادة ان يقال قد صح وعد فلان وتحقق ما قال وذلك اذا انجز فجعل ابو تمام فى موضع صحة الوعد حطم ظهره وهذا انما يكون اذا اخلف الوعد وكذب الا تراهم يقولون قد مرض فلان وعده وعلله ووعد وعدا مريضا واذا اخلف وعده فقد اماته فالاخلاف هو الذى يحطم ظهر الموعد لا الانجاز ولاخفاء بفساد ما ذهب اليه وكان ينبغي ان يقول وحطمت بالانجاز ظهر المال لا الموعد وحينئذ فالموعد كان يصح ويسلم ويتلف المال وقال *

اذا وعد انهلت يداه فاهدتا * لك النجح محمولا على كاهل الوعد

وكاهل الوعد اذا حمل النجح من سبيله ان يكون صحيحا مسلما لا ان يكون محطوما كما قال فى البيت الاول فهذه استعارة صحيحة على هذا البيت وان كان كاهل الوعد قبيحا ومثل هذا البيت الاول فى الفساد او قريب منه قوله

اذا ما رحى دارت ادرت سماحة * رحى كل انجاز على كل موعد

وهذا اتلاف الموعد وابطاله لانه جعله مطحونا بالرحى وانما ذهب الى ان الانجاز اذا وقع بطل الوعد وليس الامر كذلك لان الموعد ليس بضد للانجاز فاذا صح هذا بطل ذلك بل الوعد الصادق طرف من الانجاز وسبب من اسبابه فاذا وقع الانجاز فهو تمام الوعد وتصحيح له وتحقيق وتصديق فهو فى هذه الاستعارة غالط والمعنى الصحيح قوله

ابلهم ريقا وكفا لسائل * وانضرهم وعدا اذا صوح الوعد

فتصويح الوعد هو ان يخلفه الواعد فيبطل ولا يصح لانه من صوح النبت اذاجف ومثله فى الصحة قوله * تزكو مواعده اذا وعد امرء * انساك احلام الكرى الاضغاثا * فهذا هو المعنى الصحيح ان يكون الوعد يزكو لا ان يبطل ويذهب ولله در ابى اسحاق ابراهيم بن هرمة اذ يقول * يسبق بالفعل ظن سائله *

ويقتل الريث عنده العجل * فهذه الاستعارة الصحيحة ان يقتل العجل الابطاء لا ان يقتل الانجاز الوعد فاما قوله نوّم ابا الحسين وكان قدما * فتى اعمار موعده قصار * وقول البحترى * وجعلت فعلك تلوقولك ناصرا * عمر العدوبه وعمر الموعد * فان عمر الموعد مدة وقته فاذا انجز صار مالا فنفاد وقته ليس بمبطل له بل ذلك نقله من حال الى حال اخرى الا ترى الى البحترى كيف كشف عن هذا المعنى وجاء بالامر من فصه فقال * يوليك صدر اليوم ما فيه الغنى * بمواهب قد كن امس مواعدا * فبطلان الموعد هوبطلان الشئ الذى الموعد واقع به وصحته هوصحة ذلك الشئ ثم اتبع البحترى هذا البيت بان قال

شيم السحائب ما بدان بوارقا * فى عارض الا انثنين رواعدا

فجعل البوارق مثالا للمواعيد وجعل الرواعد هى البوارق على الحقيقة وحالهما واحدة مثالا للغيث الذى هو العطايا فالرواعد ليست بمبطلة للبوارق بل هى هى لان تلك نور يحدثه ازدحام السحاب والرعد صوت ذلك الازدحام فالبرق يرى اولا والرعد يسمع آخرا وهوهو وذلك ان العين اسبق الى الابصار من الاذن للاستماع لان العين ترى الشىء فى موضعه والاذن لاتسمع الصوت الا اذا وصل اليها فشبهها بالمواعد التى تجر المواهب وهذا احسن ما يكون من التمثيل واصحه وانما اقام الرواعد مقام المواهب لانه قد يكون برق ولا مطر فيه ولايكاد يكون رعد الا ومعه مطر ثم ان التشبيه صح بان صار الرعد بعد البرق وما احسن ما قال خلف بن خليفة الاقطع*مواعدهم فعل اذا ماتكلموا * فتلك التى ان سميت وجب الفعل * يعنى قولى نعم فجعل الوعد هو الفعل نفسه لصحته وصدقه وقد مثل البحترى ايضا الموعد وكيف تحول عطاء تمثيلا آخر حسنا فقال

وشكرت منك موهبا مشكورة * لوسرن فى فلك لكن نجوما

ومواعدا لو ان شيئا ظاهرا * تفضى اليه العين كن غيوما

وذلك لان الغيم يصير مطرا كما ان الموعد يصير عطاء وابو تمام فيما يذهب اليه غالط لانه وضع الاستعارات فى غير موضعها * (ومن خطائه قوله)

فلو ذهبت سنات الدهر عنه * والقى عن مناكبه الدثار

لعدل قسمة الارزاق فينا * ولكن دهرنا هذا حمار

قوله والقى عن مناكبه الدثار لفظ ردى وليس من المعنى الذى قصده فى شى وصدر البيت لا ئق بالمعنى فلو كان اتبعه بما يكون مثله فى معناه بان يقول فلو ذهبت

سنات الدهر عنه لاستيقظ من رقدته وانتبه من نومته وانكشف الغطاء عن وجهه لكان المعنى معنى مستقيما لان من كان فى سنة او نوم اومغطى على وجهه او عينيه فانه لايبصر الرشد ولا يكاد يهتدى لصواب وانما هــذه كلها استعارات والمراد بهــا هداية القلب وابصاره وفهمه وقد جرت العادة باستعارتها فى هذا المعنى فاما دثار المناكب فليس من هذا البــاب فى شىء اذ قد يبصر الانســان رشده ويهتدى لصواب امره وعلى مناكبه دثار وعلى ظهره ايضا حمل ولا يكون ذلك مع النوم والرقاد والغطــا عــلى العين لانه انما يراد نوم القلب والتغطية عليه لان الانســان انما يقــال له قد عمى قلبك وقد عميت عن الصواب عينك وقد غطى عــلى فهمك ولا يقال قدغطيت بالدثار عن الصواب منــاكبك ولا ظهرك ولفظة الدثار ايضا انما تستعمل لمنع الهوآء والبرد لا لمنع الفهم والرشد ومن خطائه قوله

واري الامور المشكلات تمزقت * ظلمــاتها عن رأيك المتوقد

عن مثل نصل السيف الا انه * مذ سل اول سلة لم يغمد

فبسطت ازهرها بوجه ازهر * وقبضت اربدها بوجه اربد

فقــال الامور المشكلات وجعل لها ظلمــات فكيف يقول فبسطت ازهرهــا والزهر هى النيرات والمشكلات لا يكون شئ منهــا نيرا وكانه يريد ان الامور المشكلة منهــا جيد قد اشكل الطريق اليه ومنهــا ردى قد جهلت ايضا حاله فهى كلهــا مظلمة فيمزق ظلماتهــا برايه ويكشف عن الجيد منهــا ويبسطه اى يستعمله ويكشف عن رديهــا ويقبضه اى يكفه ويطرحه ولكن ما كان ينبغى له ان يقول بوجه ازهر وبوجه اربد لانه لاصنع ههنا للوجه ولا تاثير لان الصنع انما هو للراى وللعقل فاذا راى ذو الراى امرا استبان منه الاشيآ المظلمة وانفتحت المغلقه اوراى ان يغلق امرا مفتوحا اذ كــان الصواب موجبا ذلك عنده فالراى على الاحوال كلها ازهر مسفر والوجه عــلى الاحوال كلهــا ابيض وليس يريد ابيض فى لونه والعــاجز اذا ورد عليه الامر يهوله تبينت الكآبة فى وجهه ولله در منصور النمرى حيث يقول

ترى ساكن الاوصال باسط وجهه * يريك الهوينا والامور تطير

فقــال ساكن الاوصال باسط وجهه فدل عــلى قلة اكتراثه بالامور التى ترد عليه وقول ابى تمــام بوجه اربد لامعنى له لانه من صفات الغضبان اوالمكتئب من امر ورد عليه وهو عندى فى ذلك غالط وفى ذلك مسىء * ومن خطــائه قوله

كالارحبي المذكى سيَّره المرطى * والوخد والملع والتقريب والخبب

فالارحبي من الابل منسوب الى ارحب حي من همدان تنسب اليهم النجائب والمذكى الذى قد انتهى فى سنه وقوته والمرطى من عدو الخيل فوق التقريب ودون الاهذاب والوخد الاهتزاز فى السير مثل وخد النعام والملع من سير الابل السريع والتقريب من عدو الخيل معروف والخبب دونه وليس التقريب من عدو الابل وهو فى هذا الوصف مخطئ وقد يكون التقريب لاجناس من الحيوان ولا يكون للابل وانا ما راينا بعيرا قط يقرب تقريب الفرس والمرطى ايضا من عدو الخيل لم اره فى اوصاف الابل ولا سيرها * ومن خطائه قوله

ومشهد بين حكم الذل منقطع * صاليه او بحبال الموت متصل

جليت والموت مبد حر صفحته * وقد تفرعن فى افعاله الاجل

وقوله بين حكم الذل لو كان حكم الذل اشياء متفرقة لصحت فيهـا بين غير ان حكم الذل والذل بمنزلة واحدة وكذلك حكم العز والعز فكما لا يقال بين العز فكذلك لا يقال بين حكم العز حتى يقال وكذا لان بين انما هى وسط بين شيئين فان قال ان حكم الذل مشتمل على مشهد الحرب ومن يصلاها فكانه ذهب بقوله بين الى معنى وسط اى ومشهد وسط حكم الذل قيل وسط لا يحل محل بين وبين لا يحل محل وسط لانك تقول البير وسط الدار ولا تقول البير بين الدار وتقول المال بيننا نصفين ولا تقول المال وسطنا والمعنى الذى بنى ابو تمام البيت عليه سياقة لفظه ان يقول ومشهد بين حكم الذل وحكم العز اى ومشهد بين الذل والعز محجم من يصلاه وهو الذليل او مقدم وهو العزيز جليته وكشفته يعنى الممدوح فحذف احد القسمين الذى لا يصلح بين الا به مع القسم الآخر وجعل قوله منقطع فى موضع محجم ومتصل فى موضع مقدم وليس هذا من مواضع متصل ولا منقطع وقد اغراه الله بوضع الالفاظ فى غير مواضعها من اجل الطباق والتجنيس اللذين بهما فسد شعره وشعر كل من اقتدى به وقوله وقد تفرعن فى افعاله الاجل معنى فى غاية الركاكة والسخافة وهو من الفاظ العامة ومازال الناس يعيبونه به ويقولون اشتق للاجل الذى هو مطل على كل النفوس فعلا من اسم فرعون وقد اتى الاجل على نفس فرعون وعلى نفس كل فرعون كان فى الدنيا * ومن خطائه قوله

سعى فاستنزل الشرف اقتسارا * ولولا السعى لم تكن المساعى

قوله سعى فاستنزل الشرف اقتسارا ليس بالمعنى الجيد بل هو عندى هجاء مصرح

لانه اذا استنزل الشرف فقد صار غير شريف وذلك انك اذا ذممت رجلا شريفا شريف الآباء كان ابلغ ما تذمه به ان تقول قد حططت شرفك ووضعت من شرفك وقد وكده بقوله اقتسارا وقوله ولولا السعى لم تكن الساعى فبئس السعى والله سعى لان الشرف لا يحط الا بالأم ما يكون من الافعال وكانه انما اراد سعى لحوى الشرف نفسه فافسد المعنى بذكر استنزاله اياه كانه لو لم يستنزله ما كان يكون حاويا له فهلا قال ترقى الى الشرف الاعلى فحواه اوبلغ النجم او علا على الشمس كما قال الآخر *

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بسؤددهم اوبمجدهم قعدوا

ومن خطائه قوله

يقظ وهو اكثر الناس اغضاء * على نايل له مسروق

قوله على نايل له مسروق خطا لان نايله هو ما ينيله كيف يكون مسروقا منه وهل يكون الهجو الا هكذا ان يجعل نائله ماخوذا منه على طريق السرقة وانما اعتمد المطابقة لما وصفه بالتيقظ جعله ممن يسرق منه اذ كان من شان المتيقظ ان لا يغفل حتى يستتم عليه السرق وقد كان يصح هذا المعنى لو قال على مال له مسروق حتى يكون يعطى ما له اختيارا بجوده ويغضى اذا سرق منه لكرمه ومن خطائه قوله

لو يعلم العافون كم لك فى الندى * من لذة وقريحة لم تحمد

ويروى من لذة او من فرجة اى من لذة وافتراج اى ابتداع واستخراج وهذا عندى غلط لان هذا الوصف الذى وصفه داعية ان يتناهى الحامد له فى الحمد ويجتهد فى الثنا بان يدع حمده وانما ذهب الى ان الانسان انما يحمد على الشئ الذى يتكلفه ويتجشمه ويتحمل المشقة فيه لا على الشئ الذى له بواعث شهوة من نفسه وشدة صبابة اليه ومحبة لفعله ومن كان غرامه بالجود هذا الغرام فعلى ذلك يجب ان يحمد ويمدح فاما قول البحترى

ولقد ابدت الحمد حتى لو بنت * كفاك مجدا ثانيا لم تحمد

فذهب صحيح يريد انك قد افنيت الاوصاف والمحامد فان جئت بنوع من المكارم تبنى به مجدا آخر لم يقدر من يحمدك ويثنى عليك على اكثر مما تقدم ومن خطائه قوله

تناول الفوت ايدى الموت قادرة * اذا تناول سيفا منهم بطل

قوله تناول الفوت ايدى الموت عويص من عويصاته وهذا ايضا محال وانما سمع قول سعد بن مالك

هيهات حال الموت دون الـفوت وانتضى السلاح

والفوت هو النجاة اى حال الموت دون النجاة وهذا صحيح مستقيم فقال هو تناول الفوت ايدى الموت وهذا محال لان النجاة لاتتناولها يد الموت ولاتصل اليها والا لم تكن نجاة وهذا من تعقده الذى يخرجه الى الخطا وانما قصد الى ازدواج الكلام فى الفوت والموت ولم يتامل المعنى والوجه الصحيح قول البحترى

تتدانى الآجال ضربا وطعنا * حين يدنو فيشهد الهيجاء

ومن خطائه قوله

واكتست ضمر الجياد المذاكى * من لباس الهيجا دما وحميا

فهى بكر تلوكها الحرب فيه * وهى مقورة تلوك الشكيما

فهذا معنى قبيح جدا ان جعل الحرب تلوك الخيل من اجل قوله تلوك الشكيما وتلوك الشكيما ايضا ههنا خطأ لان الخيل لا تلوك الشكيم فى المكر وحومة الحرب وانما تفعل ذلك واقفة لا مكرلهـا فان قيل انما اراد ان الحرب تلوكها كما تلوك هى الشكيم قيل هذا تشبيه وليس فى لفظ البيت عليه دليل والفاظ التشبيه معروفة وانما طرح ابا تمام فى هذا قلة خبره بامر الخيل الا ترى الى قول النابغة

خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

والصيام ههنا القيام اى خيل واقفة مستغنى عنها لكثرة خيلهم فهى واقفة وخيل تحت العجـاج فى الحرب وخيل تعلك اللجمـا قد اسرجت والجمت واعدت للحرب والشاعر الحصينى كان احذق من ابى تمام واعلم بامر الخيل قال

واذ احتبى قربوسه بعنانه * علك الشكيم الى انصراف الزائر

والا فتى رأى فرسا يجرى وهو يلوك شكيمه فاما قول انس بن الريان

اقود الجياد الى عامر * عوالك لجم تمج الدماء

فان القود قد يكون فى خلاله تلبث وتوقف تلوك فيه الخيل لجمها والمكر لا يستقيم ذلك فيه فاما قول ابى حزانة التميمى

خاض الردى فى العدى قدما عنصله * والخيل تعلك ثن الموت بالجم

فانما جعل ثن الموت مثلا والثن حطـام النبات اليابس و لم يرد ان الخيل تعلك اللجم على الحقيقة

ومن خطـأه قوله

والحرب تركب راسها فى مشهد * عدل السفيه به بالف حليم
فى سـاعة لو ان لقمـانا بهـا * وهو الحكيم لكان غير حكيم
جثمت طيور الموت فى اوكارهـا * فتركن طير العقل غير جثوم

فالبيتـان الاولان جيدان وقوله جثمت طيور الموت فى اوكـارها بيت ردى فى القسمة ردى فى المعنى لانه جعل طير الموت فى اوكارها جاثمة اى ساكنة لا ينفرها شى وطير العقل غير جثوم يعنى انهـا نفرت فطـارت يريد طيران عقولهم من شدة الروع وما كان ينبغى ان يجعل طير الموت جثوما فى اوكارها وانمـا كان الوجه ان يجعلهـا جاثمة عـلى رؤوسهم او واقعة عليهم فاما ان تكون جاثمة فى اوكارهـا فانها فى السلم او فى الامن جاثمة فى اوكارها ايضا وطير العقل ليست بضد لطير الموت وانما هى ضد لطير الجهل وطير الحيوة هى الضد لطير الموت ولو كان قال

جثمت طيور الموت فوق رؤوسهم * فتركن اطيار الحيوة تحوم

لكان اشبه واليق او لو قال

سقطت طيور الموت فوق رؤوسهم * فتركن اطيار العقول تحوم

لكان ايضا قريبا من الصواب لانهم يقولون طـار عقله من الروع فاذا ثاب اليه عقله وسكن قيل قد افرخ روعه وهذا مثل وذلك ان الطـائر اذا افرخ لزم عشه وفراخه وقد يجوز ان يكون افرخ روعه اى ذهب لان الطـائر اذا افرخ فطارت فراخه انتقل عن ذلك العش وقولهم جثم الطائر انما هو ان يلصق جثمانه بالارض يذهب الى ان طيور الموت ساكنة وطيور العقل منزعجة طائرة وقولهم غير جثوم لا ينوب مناب طائرة ولا منزعجة لان الطائر قد يكون جاثما وقد يكون قائما عـلى رجليه ساكنا مطمئنا وهذه حاله فى اكثر اوقاته فقد حمل المعنى على لفظ لا يليق به ولا يودى التادية الصحيحة عنه

ومن خطائه قوله فى وصف الفرس

ما مقرب يختال فى اشطانه * ملآن من صلف به وتلهوق

قوله ملآن من صلف يريد التيه والكبر وهذا مذهب العامة فى هذه اللفظة فاما

العرب فانها لا تستعملهــا على هذا المعنى وانما تقول قد صلفت المراة عند زوجها
اذا لم تحظ عنده وصلف الرجل كذلك اذا كانت زوجته تكرهه وقال جرير

انى اواصل من اردت وصاله * بحبال لاصلف ولا كوام

والصلف الذى لاخيرعنده ومثل يضرب رب صلف تحت الراعدة يعنون الرعــد
بغير مطر فهذا معنى الصلف فى كلامهم وعلى هذا قد ذم ابو تمــام الفرس
من حيث اراد ان يمدحه والتلهوف هو لطف المدارة والحيلة بالقول وغــيره حتى
يبلغ الحــاجة ومنه قول الاغلب العجلى يصف مداراة رجل له امراة حتى نال منهــا

فلم يزل بالحلف النجيّ * لها وبالتلهوف الخفى

ان قد خلونا بفضاء فى * وغاب كل نفس محشى

وقد ذكر ابو عبيدة القاسم فى الغريب المصنف فى اول نوادر الاسمآ التلهوف
وقال وهو مثل التملق وما ارى ابا تمــام فى وضع هاتين اللفظتين الا غالطا
وقال ابو تمام

عطفوا الخدور على البدور ووكلوا * ظلم الستور بنور حور خرد

وثنوا على وشى الخدود صيــانة * وشى البرود بمسجف وممهد

البيت الاول حسن حلو واخذ قوله وثنوا عــلى وشى الخدود صيانة وشى البرود
من قول الكميت

و ارخين البرود على خدود * يزين الفراعم بالاسيل

وقوله بمسجف وممهد فالمسجف يريد ستر باب الحجله وكل باب مشــقوق فكل
ستر منهــا سجف وكذلك سجف الخبــآء والمسجف المرخى والتسجيف ارخآء
السجفين وقوله بمسجف اى من مسجف وممهد فجعل البــآ فى موضع من كما قال
عنترة

شربت بمــآء الدحرضين فاصبحت * زورآء تنفر عن حياض الديلم

اى من مآ الدحرضين والممهد الوطآ الذى يوطــا تحت المراة فكيف يكون ذلك
مشرفا على السجف الذى ذكر انهم ثنوه على وشى الخدود والممهد ليس هذه حاله
فيعطفه عليه فان قيل كيف لا يكون محمولا على قول الشاعر

ورايت زوجك فى الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

والرمح لا يتقلد وقول الآخر وزججن الحواجب والعيونا والعيون لا تزجج وانما اراد

ذلك متقلدا سيفا وحاملا رمحا واراد هـذا وزججن الحـواجب وكحلن العيونا فيل متقلد السيف هو حامله ايضا فحسن ان يعطف عـلى السيف لانهـا جميعا محمولان وكذلك زججن وكحلن هما جميعا زينة فحسن ان يعطف احدهما على الآخر والممهد لا يشرك الستر فى شئ من تغطية الوجه ولاصيانته ولا بنيت الفاظ البيت الا على ستر الخدود بالستور ولا يتعلق الممهد بالمعنى باضمـار لفظ ولا غيره ومن خطائه قوله

بقاعية تجرى علينا كؤوسها * فتبدى الذى تخفى وتخفى الذى نبدى

ذهب فى هذا الى ان الخمر تخفى الذى نبديه فى حال الصحو من الحلم والوقار والكف عن الهزل واللعب وتبدى الذى نخفى اى الذى نعتقده ونكتمه من ضد ذلك كله لانه فى الطبيعة والغريزة والذى كنا نظهره انما هو تصنع وتكلف ويدخل فى هذا ما يبوح به المحب من الحب الذى كـان يكتمه فى صحـوه ويظـهر ضـده او ما يبوح به من بغض زيد وكان يظهر فى صحوه مودته ومنافعه وكذلك ما يظهر السكر من بخل البخيل ومنع ما كان يتحمله ببذله فى الصحو او ما يظهر من السماحة التى كان لا يسمح بمثلهـا فى صحوه خوف العـاقبة ونحو هـذا وما سقط من قول الحكمـاء ان الشراب يثير كل ما وجد اى يظهر كل ما فى النفس من خـير وشر وحسن وقبيح فكل شئ يظهره الانسان وليس فى اعتقاده ولانيته فان الذى يضمره ويكتمه فى نفسه فهو ضده فاذا اظهر السكر اعتقـاد المعتقد الـذى هو الصحيح فان ضده مما كـان يتجمل باظهاره يبطل ويتلاشى لان الشراب يخفيه ويطويه فى الضمير حتى يكون مكتوما كما كانت الحقيقة مكتومة هـذا محال لان القلب هو محل المعتقدات فلا يجوز ان يجتمع فيهـا الشئ وضده والاعتقـادات لا تكون باللسان لان اللسـان يكذب والقلب لا يتضمن الا الحقيقة وقول ابى تمـام فتبدى الذى تخفى قول صحيح وقوله وتخـفى الذى نبدى اللفظ فاسد لان تخفى معناه تكتم وتستر والذى قد ابطلته وازلته لا يجوز ان يعبر عنه بانك اخفيته ولا كتمته فان قيل ولم لا يكون هذا توسعـا ومجازا قيل المجاز فى مثل هذا لا يكون لان الشئ الذى تكتمه وتطويه انمـا انت خازن له وحافـظ فهو ضد للشئ الـذى تزيله وتبطله والاضداد لا يستعمل احدها فى موضع الآخر الا على سبيل المجاز

ومن خطـائه قوله فى وصف فرس

وبشعلة نبذ كأن فليلها * فى صهوتيه بدء شيب المفرق

ليلهما يريد ما تفرق منهما فى صهوتيه والصهوة موضع اللبد وهو مقعد
رس من الفرس وذلك الموضع ابدا ينحت شعره لغمز السرج اياه فينبت ابيض
لجلد ههنا يرق وانت تراه فى الخيل كلها على اختلاف شياتها وليس بالبياض
يد ولا الحسن ولا الجميل فهذا خطأ من هذا الوجه وهو خطأ من وجه آخر
ان جعله شعلة والشعلة لا تكون الا فى الناصية او الذنب وهو ان يبيض
بها وناحية منها فيقال فرس اشعل وشعلاء وذلك عيب من عيوب الخيل فان
ظهر الفرس ابيض خلقة فهو ارحل ولا يقال اشعل وقد اخذ البحترى قوله
مشيب المفرق فجاء به حسنا جدا ثم سلم من العيب فقال

وبشعلة كالشيب مر بمفرق * غزل لها عن شيبه بغرامه

بشعلة ولم ينص على موضعها ومعلوم انه اراد بياضا فى الناصية وقال مر
فى غزل فاوضح انه ذلك الموضع اراد وقال لها عن شيبه بغرامه فاتى بشئ
فى كل حسن الا ان البياض فى الناصية من عيوب الخيل وكذلك البياض
الذنب ليس بين الناس فى ذلك اختلاف ويقال لبياض الناصية ايضا اسعف
ضا فان البحترى وصف فرسا ادهم فقال

جذلان تلطمه جوانب غرة * جاءت مجئ البدر عند تمامه

حسن يكون لبياض ناصية على بياض غرة ومن قبيح وصف شيات الخيل
ل ابى تمام فى هذا الفرس ايضا

مسود شطر مثل ما اسود الدجى * مبيض شطر كابيضاض المهرق

شطر الشى جانبه وناحيته قال الله عز وجل فول وجهك شطر المسجد الحرام
ناحيته و قد يراد بالشطر نصف الشئ يقال قد شاطرتك مالى اى ناصفتك
هذا هو الاكثر الاعم فيما يستعملون وذلك من اقبح شيات الابلق على ظاهر هذا
معنى ولم يرده ابو تمام وانما اراد بالشطر ههنا البعض او الجزء اى مسود جزء مبيض
زء فجاء بالشطر لانها لفظة احسن من الجزء ومن البعض فى هذا الموضع والجيد
نادر قول البحترى

او ابلق يلقى العيون اذا بدا * من كل لون معجب بنموذج

وقد جعله ابو تمام فى اول الابيات اشعل بقوله بشعلة ثم جعله هنا ابلق فهذا الفرس
هو الاشعل الابلق على مذهبه فى هذا التشبيه ولاينكر مثل هذا من ابتداعاته

قال ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى قد ذكرت فى الجزء الثانى الموازنة بين شعر ابى تمام حبيب بن اوس الطائى وشعر ابى عبادة الوليد بن عبيد البحترى وخطا ابى تمام فى الالفاظ والمعانى وبيضت اخر الجزء لالحق به ما يمر من ذلك فى شعره واستدركه من بعد فى قصائده وانا اذكر فى هذا الجزء الرذل من الفاظه والساقط من معانيه والقبيح من استعاراته والمستكره المتعقد من نسجه ونظمه على ما رايت فى اشعار المتاخرين يتذاكرونه وينعونه عليه ويعيبونه وعلى انى وجدت لبعض ذلك نظاير فى اشعار المتقدمين فعلمت انه بذلك اغتر وعليه فى العذر اعتمد طلبا منه للاغراق والابداع وميلا الى وحشى المعانى والالفاظ وانما كان يندر من هذه الانواع المستكرهة على لسان الشاعر المحسن البيت اوالبيتان يتجاوز له عن ذلك لان الاعرابى لايقول الا على قريحته ولايعتصم الا بخاطره ولايستقى الا من قلبه واما المتاخر الذى يطبع على قوالب ويحذو على امثلة ويتعلم الشعر تعلما وياخذه تلقنا فمن شانه ان يجتنب المذموم ولايتبع من تقدمه الا فيما استحسن منهم واستجيد لهم واختير من كلامهم او فى المتوسط السالم اذا لم يقدر على الجيد البارع ولايوقع الاحتطاب والاستكثار مما جاء عنهم نادرا ومن معانيهم شاذا ويجعله حجة له وعذرا فان الشاعر قد يعاب اشد العيب اذا قصد بالصنعه سائر شعره وبالابداع جميع فنونه فان مجاهدة الطبع ومغالبة القريحة مخرجة سهل التاليف الى سوء التكلف وشدة التعمل كما عيب صالح بن عبد القدوس وغيره ممن سلك هذه الطريقة حتى سقط شعره لان لكل شئ حدا اذا تجاوزه المتجاوز سمى مفرطا وما وقع الافراط فى شى الا شانه واعاد الى الفساد صحته والى القبح حسنه وبهاه فكيف اذا تتبع الشاعر مالاطايل فيه من لفظة شنيعة لمتقدم اومعنى وحشى فجعله اماما واستكثر من اشباهه ووشح شعره بنظائره ان هذا لعين الخطا وغاية فى سوء الاختيار

باب مافى شعر ابى تمام من قبيح الاستعارات

فمن مرذول الفاظه وقبيح استعاراته قوله

يادهر قوم من اخدعيك فقد * اضججت هذا الانام من خرقك

وقال

ساشكر فرجة اللبب الرخى * ولين اخادع الدهر الابى

وقال

فضربت الشتاء فى اخدعيه * ضربة غادرته عودا ركوبا

وقال

تروح علينا كل يوم وتغتدى * خطوب كأن الدهر منهن يصرع

وقال

الا لايمد الدهر كفا لسئ * الى مجتدى نصر فتقطع من الزند

وقال

والدهر الأم من شرقت بلؤمه * الا اذا اشرقته بكريم

وقال

تحملت مالو حمل الدهر شطره * لفكر دهرا اى عبأيه اثقل

وقوله يصف قصيدة

يحل يفاع المجد حتى كأنه * على كل راس من يد المجد مغفر

لها بين ابواب الملوك مزامر * من الذكر لم تنفخ ولاهى تزمر

وقوله

به اسلم المعروف بالشام بعدما * ثوى منذ اودى خالد وهو مرقد

اما وابى احداثه ان حادثا * حدى بى عنك العيس للحادث الوغد

وقوله

جذبت نداه غدوة السبت جذبة * فخر صريعا بين ايدى القصائد

وقوله

لولم تفت مسن المجد مذ زمن * بالجود والباس كان الجود قد خرفا

وقوله

لدى ملك من ايكة الجود لم يزل * على كبد المعروف من فعله برد

وقوله

فى علة اوقدت على كبد الـ * ـنا ثل نارا اخنت على كبده

وقوله

حتى اذا اسود الزمان توضحوا * فيه فغودر وهو فيهم ابلق

وقوله

ايثار شزر القوى رأى جسد المعروف اولى بالطب من جسده

وقوله

وما ذكر الدهر العبوس بانه * له ابن كيوم السبت الا تبسما

وقوله

وكم احرزت منكم على قبح قدها * صروف النوى من مرهف حسن القد

وقوله يصف الارض

اذا الغيث غادى نسجها خلت انه * مضت حقبة حرس له وهو حايك

وقوله

ولا اجتذبت فرش من الارض تحتكم * هى المثل فى لين بها والا رايك

وقوله

اذا للبستم عار دهر كانما * لياليه من بين الليالى عوارك

وقوله يرثى غالبا

انزلته الايام عن ظهرها من * بعد اثبات رجله فى الركاب

وقوله

كاننى حين جردت الرجاء له * غضا صببت لها ماء على الزمن

وقوله يصف فرسا

فكان فارسه يصرف اذ بدا * فى متنه ابنا للصباح الابلق

واشباه هذا ما اذا تتبعته فى شعره فجعل كما ترى مع غثاثة هذه الالفاظ للدهر اخدعا ويدا تقطع من الزند وكانه يصرع ويحل ويشرق بالكرام ويتبسم وان الايام تنزله والزمان ابلق وجعل للمدح يدا ولقصائده مزامر الا انها لاتنفخ ولا تزمر وجعل المعروف مسلما تارة ومرتدا اخرى والحادث وغدا وجذب ندى الممدوح بزعمه جذبة حتى خر صريعا بين يدى قصائده وجعل المجد مما يحقد عليه الخوف وان له جسدا وكبدا وجعل لصروف النوى قدا وللامن فرشا وظن ان الغيث كان دهرا حايكا وجعل للايام ظهرا يركب والليالى كانها عوارك والزمان كانه صب عليه ماء والفرس كانه ابن الزمان الابلق وهذه استعارات فى غاية القباحة والهجانه والبعد من الصواب وانما استعارت العرب المعنى لما ليس له اذ كان يقاربه

او يدانيه اويشبهه فى بعض احواله اوكان سببا من اسبابه فتكون اللفظة المستعارة حينئذ لائقة بالشى الذى استعيرت له وملايمة لمعناه نحو قول امرالقيس

فقلت لهـا لما تمطى بجوزه * واردف اعجـازا وناء بكلكل

وقد عاب امرى القيس بهـذا المعنى من لم يعرف موضوعات المعـانى ولا المجـازات وهو فى غاية الحسن والجودة والصحة وهو انما قصد وصف اجزاء الليل الطويل فذكر امتداد وسطه وتثـاقل صدره للذهاب والانبعاث وترادف اعجـازه واواخره شيا فشيا وهذا عندى منتظم لجميـع نعوت الليل الطويل على هيئته وذلك اشـد ما يكون على من يراعيه ويترقب تصرمه فلمـا جعل له وسطا يمتد واعجـازا رادفة للوسط وصدرا متثاقلا فى نهوضه حسن ان يستعير للوسط اسم الصلب وجعله متمطيا من اجل امتـداده لان تمطى وتمدد بمنزلة واحدة وصلح ان يسـتعير للصدر اسم الكلكل من اجل نهوضه وهذه اقرب الاستعارات من الحقيقة واشد ملايمة لمعناهـا لما استعيرت له وكذلك قول زهير* وعرى افراس الصبا ورواحله * لما كان من شان ذى الصبا ان يوصف ابدا بان يقـال ركب هواه وجرى فى ميدانه وجمح فى عنانه ونحو هذا حسن ان يستعار للصبا اسم الافراس وان يجعل النزوع عنـه ان تعرى افراسه ورواحله وكانت هذه الاسـتعارة ايضا من اليق شئ بمـا استعيرت له ونحو ذلك قول طفيل الغنوى

وجعلت كورى فوق ناجيـة * يقتات شحم سـنامهـا الرحل

لمـا كان شحم السـنام من الاشـياء التى تقتات وكان الرحل ابدا يتحوفه وينتقص منه ويذيبه كان جعله اياه قوتا للرحل من احسن الاستعارات واليقها بالمعنى وكذلك قول عمرو بن كلثوم

الا ابلغ النعمان عنى رسـالة * فمجدك حـولى ولؤمك قارح

لمـا جعل مجده حديثـا غير قديم حسن ان يقول حولى لان العرب اذا نسبت الشئ الى الصغر وقصر المدة قالوا حولى لان اقل عدد الاحوال وهى السنون حول واحد ولهذا قال حسـان

لويدب الحولى من ولد الذر عليهـا لاندبتهـا الكلوم

لم يرد بالحولى من ولد الذر ما اتى عليـه الحول ولكنه اراد بالحولى اصغر مايكون من الذر وانمـا اخذ ذلك من قول امرى القيس

من القاصرات الطرف لودب محول * من الذر فوق الاتب منها لاثرا

ومما يدل على صحة هذا المعنى وان الحولى انما يراد به الصغر دون معنى الحول قول الراجز واستبقت تخذب حولى الحصى فاراد بحولى الحصى اصغره وقول الاخر انشده ثعلب

تلقط حولى الحصى فى منازل * من الحى اضحت بالحيين بلقعا

ولما جعل لؤمه قديما حسن ان يقول قارح ونحو ذلك قول ابى ذؤيب

واذا المنية انشبت اظفارها * الفيت كل تميمة لا تنفع

لما كانت المنية اذا انزلت بالانسان وخالطته صح ان يقال نشبت فيه وصح ان يستعار لها اسم الاظفار لان النشوب قد يكون بالظفر وعلى هذا جاءت الاستعارات فى كتاب الله تعالى اسمه نحو قوله عز وجل واشتعل الراس شيبا لما كان الشيب ياخذ فى الراس ويسعى فيه شيئا فشيئا حتى يحيله الى غير حالة الاولى كالنار التى تشتعل فى الجسم من الاجسام فتحيله الى النقصان والاحتراق وكذلك قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار لما كان انسلاخ الشئ من الشى وهو ان يتبرأ منه ويتزيل منه حالا فحالا كالجلد من اللحم وماشاكلها جعل انفصال النهار عن الليل شيا فشيا حتى يتكامل الظلام انسلاخا وكذلك قوله عز وجل فصب عليهم ربك سوط عذاب لما كان الضرب بالسوط من العذاب استعير للعذاب سوط فهذا مجرى الاستعارات فى كلام العرب واما قول ابى تمام ولين اخادع الزمن الابى فاى حاجة الى الاخادع حتى يستعيرها للزمن وكان يمكنه ان يقول ولين معاطف الدهر الابى اولين جوانب الدهر اوخلايق الدهر كما تقول فلان سهل الخلايق لين الجوانب وموطأ الاكناف ولان الدهر قد يكون سهلا وحزنا ولينا وصعبا على قدر تصرف الاحوال فيه لان هذه الفاظ كانت اولى بالاستعمال فى هذا الموضع وكانت تنوب عن المعنى الذى قصده ويتخلص من قبح الاخادع فان فى الكلام متسعا الا ترى الى قوله ماحسنه وما اوضحه

ليالى نحن فى وسنات عيش * كان الدهر عنا فى وثاق

وايام لنا وله لدان * غنينا فى حواشيها الرقاق

فاستعار للايام الحواشى وقوله

ايامنا مصقولة اطرافها * بك والليالى كلها اسحار

وابلغ من هذا وابعد من التكلف واشبه بكلام العرب قوله

سكن الزمان فلا يد مذمومة * للحادثات ولاسوام تدعى

فقد تراه كيف يخلط الحسن بالقبيح والجيد بالردى وانما قرب الاخادع لما جآء به مستعارا للدهر ولوجآ به فى غير هذا الموضع اواتى به حقيقة ووضعه فى موضعه ماقبح نحو قول البحترى * واعتقت من ذل المطامع اخدعى * ونحو قوله * ولا مالت باخدعك الضباع * ومآ يزيد على كل جيدقول الفرزدق

وكنا اذا الجبار صعرخده * ضربناه حتى تستقيم الاخادع

فاماقوله * فضربت الشتآء فى اخدعيه * فان ذكر الاخدعين على قبحهما اسوغ لانه قال ضربة غادرته عودا ركوبا وذلك ان العود المسن من الابل يضرب على صفحتى عنقه فيذل فقربت الاستعارة ههنا من الصواب قليلا ومن القبيح فى هذا قوله

يادهر قوم من اخدعيك فقد * اضججت هذا الانام من خرقك

اى ضرورة دعته الى الاخدعين وكان يمكنه ان يقول من اعوجاجك اوقوم من تعوج صنعك اى يا دهر احسن بنا الصنيع لان الاخرق هوالذى لا يحسن العمل وضده الصنع وكذلك قوله

تحملت ما لوحمل الدهر شطره * لفكر دهرا اى عبأيه اثقل

فجعل للدهر عقلا وجعله مفكرا فى اى العبأين اثقل وما معنى ابعد من الصواب من هذه الاستعارة وكان الاشبه والاليق بهذا المعنى لما قال تحملت ما لوحمل الدهر شطره ان يقول لتضعضع او لانهد اولامن الناس صروفه ونوازله ونحو هذا مما يعتمده اهل المعانى فى البلاغة والافراط وانما راى ابو تمام اشيآ يسيرة من بعيد الاستعارات متفرقة فى اشعار القدمآ كما عرفتك لا تنتهى فى البعد الى هذه المنزلة فاحتذاها واحب الابداع والاغراق فى ايراد امثالها واحتطب واستكثر منها فمن ذلك قول ذى الرمة

تيممن يافوخ الدجى فصدعنه * وجوز الفلا صدع السيوف القواطع

فجعل للدجى يافوخا وقول تابط شرا

نحز رقابهم حتى نزعنا * وانف الموت منخره رثيم

فجعل للموت انفا وقول ذى الرمة

يعز ضعاف القوم عزة نفسه * ويقطع انف الكبرياء عن الكبر

فجعل للكبرياء انفا وقال معقل بن خويلد الهذلى اوغيره

تخاصم قوما لا تلقى جوابهم * وقد اخذت من انف لحيتك اليد

فجعل للحية انفا اى قبضت يدك على طرف لحيتك كما يفعل النادم او المهموم وما اظن ذا الرمة اراد بالانف الا اول الشئ والمتقدم منه كما قال يصف الجمار

اذا شم انف الضيف الحق بطنه * مراس الا واسى وامتحان الكرائم

قال ابو العباس عبدالله بن المعتز فى كتاب سرقات الشعرآ وهذا البيت غر الطآئى حتى اتى بما اتى به وانما اراد ذو الرمة بقوله انف الضيف كقولهم انف النهار اى اوله قال امرؤ القيس

قد غدا يحملنى فى انفه * لاحق الاصلين محبوك ممر

وقوله فى انفه اى فى اول جريه واشده ويقال فى انفه فى انف الغيث الذى ذكره فى اوله يقول لم يطا هذا الغيث احد قبلى ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب ابو العباس وكذلك قول اعرابى يصف البرق

اذا شم انف الليل اومض وسطه * سنا كابتسام العامرية شاغف

انما اراد اذا اشتم اول الليل وقال آخر انشدناه الاخفش عن ثعلب يذم رجلا

ما زال مذموما على است الدهر * ذاحسد ينمى وعقل يجرى

فجعل للدهر أستا وقول شاتم الدهر وهو احد شعرآ عبد القيس

ولما رايت الدهر وعرا سبيله * وابدى لنا ظهرا اجب مسلعا

ومعرفة حصاء غير مفاضة * عليه ولونا ذا عثانين اجمعا

وجبهة قرد كالشراك ضئيلة * وصعر خديه وانفا مجدعا

فجعل للدهر ظهرا اجب ومعرفة حصاء ولونا ذا عثانين وشبه جبهته بجبهة قرد وجعل انفه انفا مجدعا وهذا الاعرابى انما ملح بهذه الاستعارات فى هجائه للدهر وجآبها هازئا ومثل هذا فى كلامهم قليل جدا ليس مما يعتمد ويجعل اصلا يحتذى عليه ويستكثر منه ومن ردى استعاراته وقبيحها وفاسدها قوله

لم تسق بعد الهوى مآء اقل قذى * من مآء قافية يسقيكه فهم

فجعل للقافية مآ على الاستعارة فلو اراد الرونق لصلح ولكنه قال يسقيكه فبئس معنى الرونق لانك اذا قلت هذا ثوب له مآء لم تجعل المآء مشروبا فتقول ماشربت

مآء اعذب من ماء ثوب شربته عند فلان ورايته على فلان الملك وكذلك لا تقول ما شربت ماء اعذب من ماء قفا نبك او اعذب من ماء كذا لان للاستعارة حدا تصلح فيه فاذا جا وزته فسدت وقبحت فاما قولهم فلان حلو الكلام وعذب المنطق اوكأن الفاظه فتات السكر فهذا كلام الناس على هذه السياقة وليس يريدون حلاوة على اللسان ولا عذوبة فى الفم وانما يريدون عذبا فى النفوس وحلوا فى القلوب كما قال

يستبط الروح اللطيف نسيمها * ارجا وتوكل بالضمير وتشرب

وكذلك قولهم حلو المنظر انما يريدون حلاوة فى العين ولا تقول ما ذقت احلى من كلام فلان ولا شربت اعذب من الفاظ عمرو لان هذا القول صيغة الحقيقة لا الاستعارة ولكن يقال هذا كلام يصلح ان يتنقل به وزيد يشرب مع الماء لحسن اخلاقه وحلاوته وعمرو يوكل ويشرب لرقة طبعه ولا تقول ما شربت اعذب من عمرو ولا ما اكلت احلى من عبد الله فاعلم هذا فان حدود الاستعارة معلومة فاما قوله

لمكاسر الحسن ابن وهب اطيب * وامر فى حنك الحسود واعذب

فا لمكاسر الاخلاق وانما اراد امر فى حنك العدو اذا نطق بها او امر فى حنكه ان يذكرها او يخبر بها واعذب فى حنك وليه ووديده اذا سترها وكما قال زهير

تلجلج مضغة فيها انيض * اصلت فهى تحت الكشح دآء

لانه اراد كلمة فصلح ان يقول انيض اى لم نيضج واصلت تغيرت وانتنت وكذلك لما جعلها مضغة اى لقمة فى فيه فهذا طريق الاستعارة فيما يصلح ويفسد فتفهمه فانه واضح واما قوله

لا تسقنى ماء الملام فاننى * صب قد استعذبت ماء بكاىء

فقد عيب وليس بعيب عندى لانه لما اراد ان يقول قد استعذبت ماء بكاى جعل للملام ماء ليقابل ما اراد وان لم يكن للملام ماء على الحقيقة كما قال الله عز وجل وجزآء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان الثانية ليست بسيئة وانما هى جزا عن السيئة وكذلك ان تسخروا منا فانا نسخر منكم والفعل الثانى ليس بسخريه ومثل هذا فى الشعر والكلام كثير مستعمل فلما كان مجرى العادة ان يقول قائل اغلظت لفلان القول وجرعته منه كاسا مرة وسقيته منه امر من العلقم وكان الملام مما يستعمل فيه

التجرع على الاستعارة جعل له ماء على الاستعارة ومثل هـذا كثير موجود وقد احتج محتج لابى تمام فى هذا بقول ذى الرمة

ادارا بحزوى هجت للعين عبرة * فماء الهوى يرفض او يترقرق

وقول الاخر وكاس سباها التجر من ارض بابل * كرقة ماء العين فى الاعين النجل

وهذا لايشبه ماء الملام لان ماء الملام استعارة وماء الهوى ليس باستعارة لان الهوى يبكى فتلك الدموع هى ماء الهوى على الحقيقة وكذلك البين يبكى فتلك الدموع هى ماء البين على الحقيقة فان قيل فان ابا تمام ابكاه الملام والملام قد يبكى على الحقيقة فتلك الدموع هى ماء الملام على الحيقيقة قيل لو اراد ابو تمام ذلك لما قال قد استعذبت ماء بكاى لانه لو بكى من الملام لكان ماء الملام هو ماء بكاء ايضا ولم يكن يستحق منه ومن ردى استعاراته وقبيحها قوله

مقصرا خطوات البث فى بدنى * علما بانى ما قصرت فى الطلب

فجعل للبث وهو اشد الحزن خطوات فى بدنه وانه قد قصرها لانه ماقصر فى الطلب وهذا من وساوسه المحكمة وانما اراد به قد سهل امر الحزن عليه انه ماقصر فى الطلب لانه لو قصر كان ياسف ويشتد جزعه فجعل للحزن خطى فى بدنه قصيرة لما جعله سهلا خفيفا وهذا ضد المعنى الذى اراد لان الخطى اذا طالت يجوز ان يقع قلبه وكبده بين تلك الخطى الطويلة فلايمسها من البث وهو الحزن قليل ولا كثير فان قيل انما اراد ان الحزن هو فى قلبه خاصة وان قوله فى بدنى اى فى قلبى لان قلبه فى بدنه قيل الامر واحد فى ان الخطى اذا طالت على الشئ قلبه كان او ما سواه اخذت منه اقل مما تاخذ اذا قصرت فان قيل اراد بطول الخطى الكثرة وبقصرها القلة قيل هذا غلط من التاويل وليس العمل على ارادته وانما العمل على توجيه معانى الفاظه وبعد فان من اعجب العجب خطوات البث فى البدن ومن ردى استعاراته وقبيحها قوله

جارى اليه البين وصل خريدة * ماشت اليه المطل مشى الاكبد

الهاء فى اليه راجعة الى المحب يريد ان البين ووصل الخريدة تجاريا اليه فكانه اراد ان يقول ان البين حال بينه وبين وصلها واقتطعها عن ان تصله واسباه هذا من اللفظ المستعمل الجارى فعدل الى ان جعل البين والوصل جاريا اليه وان الوصل فى تقديره جرى اليه يريده فجرى البين نمنعه فجعلهما متجاريين ثم اتى بالمصراع

الثاني بنحو من هذا التخليط فقال ماهشت اليه المطل مشي الاكبد فالهآ هنا راجعة الى الوصل اي لما عزمت على ان تصله عزمت عزم متثاقل مماطل فجعل عزمها مشيا وجعل المطل مما شيا لها فيا معشر الشعرآء والبلغآء ويا اهل اللغة العربية خبرونا كيف يجاري البين وصلها وكيف تماشي هي مطلها الا تسمعون الا تضحكون وانشد ابو العباس بن المعتز في كتاب سرقات الشعرآء لسلم الخاسر بعينه يردي الاستعارة في قوله يرثي موسى الهادي

لهولا القنا برماحط الزمان به * لا بل تولى بانف كله دامي

وقال هذا ردي كانه من شعر ابي تمام الطآي ولولم يكن لابي تمام من ردي الاستعارة الا مثل استعارة سلم هذه اونحوها ونعوذ بالله من حرمان التوفيق

(ماجآ في شعر ابي تمام من قبيح التجنيس)

وراى ابو تمام ايضا المجانس من الالفاظ شرفا في اشعار الاوايل وهو ما اشتق بعضه من بعض نحو قول امرى القيس

لقد طمح الطماح من بعد ارضه * ليلبسني من دآئه ما تلبسا

وقوله ايضا

ولكنني اسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وقول القطامي

ولما ردها في الشول شالت * بذيال يكون لها لفاعا

وقول ذي الرمة

كأن البرى والعاج عيجت متونه * على عشر نهى به السيل ابطح

وقول رجل من عبس

وذلكم ان ذل الجار حالفكم * وان انفكم لايعرف الانفا

وقول مسكين الدارمي

واقطع الخرق بالخرقاء لاهية * اذا الكواكب كانت في الدجى سرجا

وقول حيان بن ربيعة الطآي

لقد علم القبائل ان قومي * لهم حد اذا لبس الحديد

وقول النعمان بن بشير لمعاوية

الم تبتدركم يوم بدر سيوفنا * وليلك عما ناب قومك نايم

وقول جرير

فما زال معقولا عقال عن الندى   وما زال محبوسا عن الخير حابس

وقول الفرزدق

خفاف اخف الله عنه سحابة * واوسعه من كل ساف وحاصب

وكأن هذين الشاعرين فى تجنيس ماجنسا من هذه الالفاظ وحاجهما اليه يشبه قول النبى صلى الله عليه وسلم عصية عصت الله وغفار غفر الله لها واسلم سالمها الله ونحو هذا مما تعمد الشعراء لتجنيسه قول جندل بن الراعى

فما عمرت عمرو وقد جد سعيها * وما سعدت يوم التقينا بنو سعد

ومن الطف ماجاء من التجنيس واحسنه فى كلام العرب قول القطامى

كنية الحى من ذى الغيطة احتملوا * مستحقبين فوادا ماله فادى

ومثل هذا فى اشعار الاوايل موجود لكن انما ياتى منه فى القصيدة البيت الواحد والبيتان على حسب ما يتفق للشاعر ويحضره فى خاطره وفى الاكثر لايتعمده وربما خلا ديوان الشاعر المكثر منه فلايرى فيه لفظة واحدة فاعتمده الطاءى وجعله غرضه وبنى اكثر شعره عليه فلوكان قلل منه واقتصر على مثل قوله * ياربع لو ربعوا على ابن هموم * وقوله * ارامة كنت مألف كل ريم * وقوله * يابعد غاية دمع العين ان بعدوا * واشباه هذا من الالفاظ المتجانسة المستعذبة اللائقة بالمعنى لكان قد اتى بالغرض وتخلص من الهجنة والعيب فاما ان يقول

قرت بقران عين الدين وانشترت * بالاشترين عيون الشرك فاصطلما

فانشتار عيون الشرك فى غاية الغثاثة والقباحة وايضا فان انشتار العين ليس بموجب للاصطلام وقوله

ان من عق والديه لملعو * ن ومن عق منزلا بالعقيق

وقوله ذهبت بمذهبه السماحة فالتوت * فيه الظنون امذهب ام مذهب

وقوله خشنت عليه اخت بنى خشين * فهذا كله تجنيس فى غاية الشناعة والركاكة والهجانة ولايزيد زيادة على قبح قوله

فاسلم سلمت من الآفات ما سلمت * سلام سلمى ومهما اورق السلم

فان هذا من كلام المبرسمين وقد عابه ابو العباس عبد الله بن المعتز ببعض هذه الابيات فى كتاب البديع جاء بهما فى قبح التجنيس وفى اشعار العرب ما يستكره

نحوقول امرى القيس * وسنا كسنيق سناآء وسنما * ولم يعرف الاصمعى هذا وقال ابو عمرو وهو بيت مسجدى اى من عمل اهل المسجد وقال الاصمعى السن الثور ولم يعرف سنيقا ولاسنما ويقال سنيق جبل ويقال اكمة وسنم ههنا البقرة الوحشية سناآء اى ارتفاعا ويروى سنا ما اى ارتفاعا ايضا من سنمت الجبل علوته وقول الاعشى * شاو شلول مشل شلشل شول * وهذا عند اهل العلم من جنون الشعر وقرا هذه القصيدة على ابى الحسن على بن سليمان النحوى قارىء فلما بلغ الى هذا البيت قال ابوالحسن صرع والله الرجل ومازلت اراهم يستكرهون قول ذى الرمة * عصاقس قوس لينها واعتدالها * ويروى عسطوس وقد قيل انه الخيزران وهذا انما جاآء عن هولاء مقللا نادرا لانك لو اجتهدت ان ترى لواحد منهم حرفا واحدا ماوجدته والطاآى استفرغ وسعه فى هذا الباب وجد فى طلبه واستكثر منه وجعله غرضه فكانت اساآءته فيه اكثر من احسانه وصوابه اقل من خطائه (مايستكره للطاآى من المطابق) وراى الطاآى الطباق فى اشعار العرب وهو اكثر واوجد فى كلامها من التجنيس وهومقابلة الحرف بضده او ما يقارب الضد وانما قيل مطابق لمساواة احد القسمين صاحبه وان تضادا او اختلفا فى المعنى الا ترى الى قولهم فى احد المعنيين اذا لم يتساكل صاحبه ليس هذا طبق هذا وقولهم فى المثل وافق شن طبقه والطبق للشى انما قيل له طبق لمساواته اياه فى المقدار اذا جعل عليه اوغطى به وان اختلف الجنسان قال الله عز وجل لتركبن طبقا عن طبق اى حالا بعد حال ولم يرد تساويهما فى تمثيل المعنى وانما اراد جل وعز وهو اعلم تساويهما فيكم وتغيرهما اياكم بمرورهما عليكم ومنه قول العباس بن عبد المطلب * اذا انقضى عالم بدا طبق * اى جاآت حال اخرى تتلو الحال الاولى ومنه طباق الخيل يقال طابق الفرس اذا وقعت قوائم رجليه فى موضع قوائم يديه فى المشى اوالعدو وكذلك مشى الكلاب قال الجعدى * طباق الكلاب يطأن المراسا * فهذا حقيقة الطباق انما هو مقابلة الشى لمثله الذى هو على قدره فسموا المتضادين اذا تقابلا مطابقين ومنه قوله زهير

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ماالليث كذب عن اقرانه صدقا

طابق بين قوله كذب وبين قوله صدقا وقول طفيل الغنوى يصف فرسا * يصان وهو ليوم الروع مبذول * فطابق بين قوله يصان وبين قوله مبذول وقول

طرفة بن العبد بطيء عن الحلى سريع الى الخنا* فطابق بين بطيء وسريع فلو اقتصر الطآى على ما اتفق له فى هذا الفن من حلو الالفاظ وصحيح المعنى نحو قوله * نثرت فريد مدامع لم تنظم * ونحو قوله * جفوف البلى اسرعت فى الغصن الرطب * ونحو قوله

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

واشباه هذا من جيد ابياته وتجنب مثل قوله

قد لان اكثر ما تريد وبعضه * خشن وانى بالنجاح لواثق

وقوله لعمرى لقد حررت يوم لقيته * لو ان القضاء وحده لم يبرد

وقوله وان خفرت اموال قوم اكفهم * من النيل والجدوى فكفاه مقطع

ونحو هذا مما يكثر ان ذكرته ذهب عظيم شعره وسقط اكثر ما عيب عليه منه وهذا باب اعنى المطابق لقب ابو الفرج قدامة بن جعفر فى كتابه المولف فى نقد الشعر المتكافى وسمى ضربا من المجانس المطابق وهو ان تاتى الكلمة مثل الكلمة سوآ فى تاليفها واتفاق حروفها ويكون معناها مخالفا نحو قول الافوه الاودى

واقطع الهوجل مستانسا * بهوجل عيرانة عنتريس

والهوجل الاول الارض البعيدة والهوجل الثانى الناقة العظيمة الخلق الموثقة وقول ابى داود الايادى * عهدت لها منزلا دارسا * وآلا على الماء يحملن آلا * فالال الاول اعمدة الخيام والال الثانى ما يرفع الشخوص وقال زياد الاعجم

نبئتهم يستنصرون بكاهل * وللوّم فيه كاهل وسنام

وما علمت ان احدا فعل هذا غير ابى الفرج فانه وان كان هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات وكانت الالفاظ غير محظورة فانى لم اكن احب له ان يخالف من تقدمه مثل ابى العباس عبد الله بن المعتز وغيره ممن تكلم فى هذه الانواع والقه فيها اذ قد سبقوه الى اللقب وكفوه المؤونة وقد رايت قوما من البغداديين يسمون هذا النوع المجانس المماثل ويلحقون به الكلمة اذا تكررت وترددت نحو قول جرير * تزود مثل زاد ابيك فينا * فنعم الزاد زاد ابيك زادا * وبابه قليل (وهذا باب فى سوء نظمه) وتعقيد الفاظ نسجه ووحشى الفاظه واكثر ما تراه من ذلك فى شعره وتجده اظنه سمع ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى زهير بن ابى سلمى لما قال كان لايعاظل بين الكلام ولايتتبع حوشيه ولايمدح رجلا الا بما فى الرجال فلم يرتض هذا لشعره واحب ان يستكثر مما ذمه وعابه

وقد فسر اهل العلم هذا من قول عمر وذكروا معنى المعاظلة وهي مداخلة الكلام بعضه في بعض وركوب بعضه لبعض كقولك تعاظل الجراد وتعاظلت الكلاب ونحوها مما يتعلق بعضه ببعض عند السفاد واكثر مايستعمل في هذين النوعين وكذلك فسروا حوشي الكلام وهو الذي لايتكرر في كلام العرب كثيرا فاذا ورد ورد مستهجنا وقالوا في معنى قوله وكان لا يمدح الرجل الا بما يكون في الرجال اراد انه لا يمدح السوقة بما يمدح به الملوك ولا يمدح التجار واصحاب الصناعات بما يمدح به الصعاليك والابطال وحملة السلاح فان الشاعر اذا فصل ذلك فقد وصف كل فريق بما ليس فيه فذكروا هذه الجمل ثم مثلوا لها امثلة تزيد ما قاله عمر رضي الله عنه وضوحا وبيانا الا ابو الفرج قدامة بن جعفر فانه ذكر ذلك في كتابه المولف في نقد الشعر ومثل له امثلة فغلط في امثلة المعاظلة غلطا قبيحا وقد ذكرت ذلك في كتاب بينت فيه جميع ما وقفت عليه من سهوه وغلطه وانا اذكرههنا ما اليه قصدت من سائر ما في شعر ابي تمام من هذه الانواع فانها كثيرة واورد من كل نوع قليلا فيستدل به على الكثير فاقول ان من المعاظلة التي قد لخصت معناها في الكتاب على قدامة شدة تعليق الشاعر الفاظ البيت بعضها ببعض وان يداخل لفظة من اجل لفظة تشبهها اوتجانسها وان اختل المعنى بعض الاختلال وذلك كقول ابي تمام

خان الصفاء اخ خان الزمان اخا * عنه فلم يتخون جسمه الكمد

فانظر الى اكثر الفاظ هذا البيت وهي سبع كلمات اخرها قوله عنه ما اشد تشبث بعضها ببعض وما اقبح ما اعتمده من ادخال الفاظ في البيت من اجل ما يشبهها وهو خان وخان ويتخون وقوله اخ واخا فاذا تاملت المعنى مع ما افسده من اللفظ لم تجد له حلاوة ولافيه كبير فائدة لانه يريد خان الصفاء اخ خان الزمان اخا من اجله اذ لم يتخون جسمه الكمد وكذلك قوله

يا يوم شرد يوم لهوي لهوه * بصبابتي واذل عز تجلدي

فهذه الالفاظ في قوله بصبابتي كانها سلسلة في شدة تعلق بضها ببعض وقد كان ايضا استغنى عن ذكر اليوم في قوله يوم لهوي لان التشريد انما هو واقع بلهوه فلوقال يايوم شرد لهوي لكان اصح في المعنى من قوله يايوم شرد يوم لهوي واقرب في اللفظ فجاء باليوم الثاني من اجل اليوم الاول وباللهو الثاني من اجل اللهو الذي

قبله ولهو اليوم ايضا بصبابته هو ايضا من وساوسه وخطائه ولا لفظ اولى بالمعاظلة من هذه الالفاظ ونحو قوله ايضا

يوم افاض جوى اغاض تعزيا * خاض الهوى بحرى حجاه المزبد

فجعل اليوم افاض جوى والجوى اغاض تعزيا والتعزى موصولا به خاض الهوى الى اخر البيت وهذا غاية ما يكون من التعقيد والاستكراه مع ان افاض واغاض وخاض الفاظ اوقعها فى غير موضعها وافعال غير لائقة بفاعلها وان كانت مستعارة لان المستعمل فى هذا ان يقال قد علم ما بفلان من جوى وظهر ما يكتمه من هوى وبان عنه العزآ وذهب عنه العزآ والتعزى فاما ان يقال فاض الجوى او افيض اوغاض او اغيض فانه وان احتمل ذلك على سبيل الاستعارة قبيح جدا وكذلك خوض الهوى بحر التعزى معنى فى غاية البعد والهجانه ثم اضطر الى ان قال بحرى حجاه المزبد فوحد المزبد وخفضه وكان وجهه ان يقول المزبدين صفة للبحرين فجعله صفة للحجى ويقال انه اراد بحرى حجاه المزبد قلبه ودماغه لانهما موطنان للعقل وذلك محتمل الا انه جعل المزبد وصفا للحجى ولا يوصف العقل بالازباد وانما يوصف به البحر وهذا وان كان يتجاوز فى مثله فانه الى الوجه الاردى عدل به وجنب الطريق عن الوجه الاوضح فاذا تاملت شعره وجدت اكثره مبنيا على مثل هذا واشباهه وقد ذكرت من هذه الامثلة من شعره مادل على سواها فان قال قايل ان هذا الذى انكرته وذممته فى الابيات المتقدمة وفى هذا البيت من تشبث الكلام بعضه ببعض وتعلق كل لفظة بما يليها وادخال كلمة من اجل اخرى تشبهها وتجانسها هو المحمود من الكلام وليس من المعاظلة فى شئ الا ترى ان البلغاء والفصحاء لما وصفوا ما يستجاد ويستحب من النثر والنظم قالوا هذا كلام يدل بعضه على بعض وآخذ بعضه برقاب بعض قيل هذا صحيح من قولهم ولم يريدوا هذا الجنس من النثر والنظم ولا قصدوا هذا النوع من التاليف وانما ارادوا المعانى اذا وقعت الفاظها فى مواقعها وجاءت الكلمة مع اختها المشاكلة لها التى تقتضى ان تجاورها لمعناها اما على الاتفاق او التضاد حسبما توجبه قسمة الكلام واكثر الشعر الجيد هذه سبيله ونحو ذلك قول زهير ابن ابى سلمى

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا ابا لك يسأم

لما قال ومن يعش ثمانين حولا وقدم فى اول البيت سئمت اقتضى ان يكون فى آخره يسأم وكذلك قوله ايضا

الستر دون الفاحشات وما * يلقاك دون الخير من ستر

الستر الاول اقتضى الستر الثانى وكذلك قوله

ومن لايقدم رجله مطمئنة * فيثبتها فى مستوى الارض تزلق

لما قال ومن لايقدم رجله مطمئنة اقتضى ان يأتى فى آخر البيت يزلق وكذلك قول امرىء القيس

الا ان بعد العدم للمرء قنوة * وبعد المشيب طول عمر وملبسا

اقتضى العدم فى البيت ان يأتى بعده قنوة وكذلك اقتضى قوله وبعد المشيب طول عمر وملبسا وكذلك قوله

فان تكتموا الداء لا نخفه * وان تقصدوا لدم نقصد

كل لفظة تقتضى مابعدها فهذا هوالكلام الذى يدل بعضه على بعض ويأخذ بعضه برقاب بعض اذا انشدت صدر البيت علمت ما يأتى فى عجزه فالشعر الجيد او اكثره على هذا مبنى وليست بنا حاجة الى الزيادة فى التمثيل على هذه الابيات واما قول عمر رضى الله عنه فى زهيرانه كان لايتبع حوشى الكلام فان ابا تمام كان لعمرى يتتبعه ويتطلبه ويتعمد ادخاله فى شعره فمن ذلك قوله

اهلس اليس لجا الى همم * تعرف الغيس فى اذيها الليسا

ويروى اهيس اليس والاهيس الجاد وهذه الرواية اجود وهى مثل * احدى لياليك فهيسى هيسى * والهلاس السلال من الهزال فكان قوله اهلس يريد خفيف اللحم والاليس الشجاع البطل الغاية فى الشجاعة وهو الذى لايكاد يبرح موضعه فى الحرب حتى يظفر او يهلك فهاتان لفظتان مستكرهتان اذا اجتمعتا لم يقنع باهلس اليس ثم قال فى آخر البيت الليسا يريد جمع اليس وقوله

وان بجرية نابت جارت لها * الى ذرى جلدى فاستوهل الجلد

فقال بجرية وجأرت لها وهذه الالفاظ وان كانت معروفة مستعملة فانها اذا اجتمعت استقبحت وثقلت وكذلك قوله * هن البجارى يابجير * والبجارى جمع بجريه وهى الداهية وقوله

بنداك يوسى كل جرح يعتلى * راب الاساة بدرديس قنطر

الدردبيس والقنطر من اسماء الدواهي وقوله قدك اتئب اربيت فى الغلوآء ومثل هذه الالفاظ هجنة فى ابتدآء القصيدة وقوله

لقد طلعت فى وجه مصر بوجهه * بلا طائر سعد ولا طائر كهل

وانما سمع قول بعض الهذليين

فلو كان سلمى جاره واجاره * رياح بن سعد رده طائر كهل

ووجدت فى تفسير اشعار هذيل ان الاصمعى لم يعرف قوله طائر كهل وقال بعضهم كهل ضخم وما اظن احدا قال طائر كهل غير هذا الهذلى فاستغرب ابو تمام معنى الكلمة فاتى بها وأحب ان لا تفوته فمثل هذه الالفاظ لا يستعملها شاعر الا ان ياتى فى جملة شعره منها اللفظة واللفظتان وهى فى شعر ابى تمام كثيرة فاشية وقد انكر الرواة على زهير مع ما قاله عمر رضى الله عنه انه كان لا يتتبع حوشى الكلام قوله

نقى تقى لم يكثر غنيمة * بنهكة ذى قربى ولا بحقلد

واستشنعوا بحقلد وهى السيئ الخلق ولا يعرف فى شعره لفظة هى انكر منها وليس مجيئه بهذه اللفظة الواحدة قادحا فيما وصفه به عمر رضى الله عنه واكثر ما ترى هذه الالفاظ الوحشية فى اراجيز الاعراب نحو قول بعضهم

فشجا جافله حراب هبلع انشده ابو تمام وقول آخر * عربا حرورا وجلالا حرحر وانشد الاصمعى واجد طعم للسقآء سامط * وخاثر عجالط عكالط * اذا ذهب عن اللبن حلاوة الحليب ولم يتغير فهو سامط واذا خثر اللبن جدا حتى ثخن فهو عكالط وقال اخر انشده الاصمعى * وربرب حماص * يا كلن من قراص * وحمصيص واص * واص نبت متصل بعضه ببعض واذا كان هذا يستحسن من الاعرابى القح الذى لا يتعمل له ولا يطلبه وانما ياتى به على عادته وطبعه فهو من المحدث الذى ليس هو من لغته ولا من الفاظه ولا من كلامه الذى تجرى عادته به احرى ان يستهجن ولهذا انكر الناس على رؤبة استعماله الغريب الوحشى وذلك لتأخره وقرب عهده حتى زهد كثير من الرواة فى رواية شعره الا اصحاب اللغة وقد ذكر ابو العباس عبد الله بن المعتز فى كتابه المولف فى سرقات الشعرآء ومعانيهم عن العنزى قال حدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الصمد السلمى الزراع قال حدثنى ابن ابى عائشة قال قال ابو العتاهيه لابن مناذر ان كنت اردت بشعرك

شعر العجاج ورؤبة فما صنعت شيئا وان كنت اردت شعر اهل زمانك فما اخذت مأخذنا ارأيت قولك * ومن عاداك يلق المرمريسا اى شئ فى المرمريس العجبك ووجدت ابا عبيدة ذكر فى كتاب الخيل فى باب ما يستدل به على جودة الفرس وهو يحضر وبيضة مرمريس وهى الضخمة واراد ابن مناذر الداهية وقد جاء ابو تمام بالدردبيس وهى اخت المرمريس فقال

بنداك يوسى كل جرح يعتلى * راب الاساة بدردبيس قنطر

وهى الداهية ايضا وكذا القنطر *

* باب ما كثر فى شعره من الزحاف واضطراب الوزن *

وذلك هو ما قاله دعبل بن على الخزاعى وغيره من المطبوعين ان شعر ابى تمام بالخطب وبالكلام المنثور اشبه منه بالكلام المنظوم فمن ذلك قوله

وانت بمصر غايتى وقرابتى * بها وبنو ابيك فيها بنو ابى

وهذا من ابيات النوع الثانى من الطويل ووزنه فعولن مفاعيلن وعروضه وضربه مفاعل فحذف نون فعولن من الاجزآء الثلاثة الاول وحذف اليا من مفاعيلن التى هى المصراع الثانى وذلك كله يسمى مقبوضا لانه حذف خامسه وكذلك قوله من هذا النوع

كساك من الانوار ابيض ناصع * واصفر فاقع واحمر ساطع

فحذف النون من اخر فعولن كلها وهى رابعة وحذف اليآ من مفاعيلن التى هى المصراع الثانى ايضا كما فعل فى البيت قبله ومن ذلك قوله من هذا النوع ايضا

يقول فيسمع ويمشى فيسرع * ويضرب فى ذات الاله فيوجع

فحذف النون من فعولن الاول واليآ من مفاعيل التى تليها ومن فعول التى هى اول المصراع الثانى وذلك كله يسمى مقبوضا وهى من الزحاف الحسن الجائز الا انه اذا جآ على التوالى والكثرة قبح جدا وقال

لم تنتقض عروة منه ولا قوة * لكن امر بنى الامال ينتقض

وهذا من النوع الاول من البسيط ووزنه مستفعلن فاعلن وعروضه وضربه فعلن فزاد فى عروضه حرفا فصار فاعلن لانه قال قوة فشدد وذلك انما يحسب له فى اصل الدائرة لا فى هذا الموضع فان خففها حتى تصير على وزن فعلن فيتزن البيت كان مخطئا من ثم حين نقص فاعلن الاول من المصراع الالف فصار فعلن وهذا

يسمى مخبونا لانه حذف ثانيه وقال

الى المفـدى ابى يزيد الذى * يضـل غمـر الـملوك فى غمـر

وهذا من النوع الاول من المنسرح ووزنه مستفعلن مفعولات مستفعلن مستفعلن مفعولات مستفعلن فحذف السين من مستفعلن التى هى المصراع فبقى مفتعلن وهذا ينقل الى مفاعلن ويسمى مخبونا لانه حذف ثانيـه وحذف الفا من مسـتفعلن الاخيرة فبقى مستفعلن فينقل الى مفتعلن ويقـال له مطوى لانه ذهب رابعه وحذف الواو من مفعولات الاولى والثانية فصار فاعلات ويقـال له ايضا مطوى فافسد البيت بكثرة الزحاف وتقطيعه

اللل مفد * دا ابى ى * زيد للذى * يضل غم * رلـملوك * فى غمـره *
مفاعلن * فاعـلات * مستفعلن * مفعـاعلن * فاعلات * مفتـعلن *

ثم قال فى هذه القصيدة

جـلة اغـا ره وهمـــدانه * والشـم من ازدة ومن ادد ه

فحذف الفـاء من مستفعلن الاولى فعـادت الى مفتعلن وحذف الواو من مفعولات الاولى فصارت فاعلات وحذف الفـاء من مستفعلن الاخيرة فصـارت مفتعلن وتقطيعـه

جلة ان * مارهى و * همدانهى * والشمن * ازدهي و * من ادده *
مفتعلن * فاعلات * مستفعلن * مستفعلن * فاعـلات * مفتـعلن *

وهـذه الزحافات جائزة فى الشـعر غير منكرة اذا قلت واذا جاءت فى بيت واحـد فى اكثر اجزائه فان هذا فى نهاية القبح ويكون بالكلام المنثور اشـبه منه بالشـعر الموزون ومن هذا النوع من المنسرح قوله

ولم يغير وجهى عن الصنيعة ال * اولى بمسـفوع اللون ملتمعـة

وتقطيعه

ولم يغى * ر وجهيع * نص صن عتل * اولى بمس * فوعل لون * ملتمعـه
مفاعلن * مفعولات * مسـتفـعلن * مستفعلن * مفعـولات * مفتعلن

فحذف السين من مستفعلن الاولى فصـارت مفـاعلن وحذف الفاء من مستفعلن

الاخيرة فصارت مفتعلن ومثل هذه الابيات فى شعره كثير اذا انت تتبعته ولا تكاد ترى فى اشعار الفصحاء والمطبوعين على الشعر من هذا الجنس شيا

تم السفر الثانى من الموازنة على ماجزاه مولفه رحمه الله تعالى والحمد لله رب العالمين

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين ﴾

قال ابو القاسم الحسن بن بشر الآمدى لما كنت خرجت مساوى ابى تمام وابتدات بسرقاته وجب ان ابتدى من مساوى البحترى بسرقاته فانه اخذ من معانى من تقدم من الشعراء وممن تاخر اخذا كثيرا وحكى ابو عبد الله محمد بن داود بن الجراح فى كتابه ان ابن ابى طاهر اعلمه انه اخرج للبحترى ستمائة بيت مسروق منها ما اخذه من ابى تمام خاصة مائة بيت فكان ينبغى ان لا اذكر السرقات فيما اخرجه من مساوى هذين الشاعرين لاننى قدمت القول فى ان من ادركته من اهل العلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعانى من كبير مساوى الشعراء وخاصة المتاخرين اذ كان هذا بابا ماتعرى منه متقدم ولامتاخر ولكن اصحاب ابى تمام ادعوا انه اول سابق وانه اصل فى الابتداع والاختراع فوجب اخراج ما استعاره من معانى الناس فوجب من اجل ذلك اخراج ما اخذه البحترى ايضا من معانى الشعراء ولم استقص باب البحترى ولا قصدت الاهتمام الى تتبعه لان اصحاب البحترى ما ادعوا ما ادعاه اصحاب ابى تمام بل استقصيت ما اخذه من ابى تمام خاصة اذ كان من اقبح المساوى ان يتعمد الشاعر ديوان رجل واحد من الشعراء فياخذ من معانيه ما اخذه البحترى من ابى تمام ولوكان عشرة ابيات فكيف والذى اخذه منه يزيد على مائة بيت فاما مساوى البحترى من غير السرقات فقد دققت واجتهدت ان اظفرله بشئ يكون بازاء ما اخرجته من مساوى ابى تمام فى سائر الانواع التى ذكرتها فلم اجد فى شعره لشدة تحرزه وجودة طبعه وتهذيبه الفاظه من ذلك الا ابياتا يسيرة انا اذكرها عند الفراغ من سرقاته فان مر بى شئ منها الحقته به ان شاء الله تعالى * (سرقات البحترى قال)

يخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكاس قائمة بغير اناء

اخذه من قول على بن جبلة حيث يقول

كأن يد النديم تدير منها * شعاعا لايحيط عليه كاس

وقال البحترى

كالرمح فيه بضع عشرة فقرة　　منقادة تحت السنان الاصيد

اخذه من قول بشار

خلقوا قادة فكانوا　　ككعوب القناة تحت السنان

اخذه ابو تمام فقال

جعت عرى اعماله بعد فرقة　　اليك كما ضم الانابيب عامل

وقال البحترى

اعطيتنى حتى حسبت جزيل ما　*　اعطيت وديعة لم توهب

اخذه من قول الفرزدق

اعطانى المال حتى قلت يودعنى　*　اوقلت اعطيت مالا قد رآه لنا

وبيت البحترى اجود وقال البحترى

ارد دونك يقظانا ويأذن لى　*　عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا

اخذه من قول قيس بن الحطيم

ما تمنعى يقظى فقد تؤتينه　*　فى النوم غير مصرد محسوب

وقال البحترى

ملوك يعدون الرماح مخا ا　*　اذا زعزعوها والدروع غلائلا

وهذا مثل قول محمد بن عبد الملك الفقعسى ولعله منه اخذه

ولا لاقيا كعب بن عمرو بقودهم　*　ابو دهشم نسج الحديد ثيابا

وقال البحترى

كوعول الهضاب رحن وما يملكن الاصم الرماح قرونا * وهذا من نوادر المعانى

وماعرف مثله الا قول نصر بن حجاج بن علاط السلمى ولعله منه اخذه

ترى غابة الخطى فوق بيوتهم　*　كما اشرفت فوق الصوار قرونها

وقال البحترى

ينال الفتى ما لم يومل وربما　*　اتاحت له الاقدار ما لم يحاذر

اخذه من قول الاخر وانشده ثعلب

وحذرت من امر فمر بجانبى　*　لم يلقنى ولقيت مالم احذر

وقال البحترى

وإذا الانفس اختلفن فما يغنى اتفاق الاسمآء و الالقاب
اخذه من قول الفرزدق
وقد تلتقى الاسماء فى الناس والكنى * كثيرا ولكن فرقوا فى الخلائق
وقال البحترى
لم تخط باب الدهليز منصرفا * الا وخلخالها مع الشنف
اخذه من قول ابى نواس قد جمعوا آذانه وعقبه
وقال البحترى
ولست اعجب من عصيان قلبك لى * عمرا اذا كان قلبى فيك يعصينى
اخذه من قول حسين بن الضحاك الخليع
وتطمع ان يطيعك قلب سعدى * وتزعم ان قلبك قد عصاكا
وبيت البحترى اجود وقال محمد بن وهيب
هل الدهر الا غمرة ثم تنجلى * وشيكا والا ضيقة تتفرج
اخذه البحترى فقال
هل الدهر الا غمرة وانجلاؤها * وشيكا والا ضيقة وانفراجها
وقال فى وصف الذئب
فاتبعتها اخرى واضللت نصلها * بحيث يكون اللب والرعب والحقد
وقال فى هذا المعنى
قوم ترى ارماحهم يوم الوغى * مشغوفة بمواطن الكتمان
اخذه من قول عمر بن معدى كرب الزبيدى
* والضاربين بكل ابيض مرهف * والطاعنين مجامع الاضغان *
الا ان قول عمرو والطاعنين مجامع الاضغان فى غاية الجودة والاصابة لانهم انما يطاعنون الاعدآء من اجل اضغانهم فاذا وقع الطعن موضع الضغن فذلك غاية كل مطلوب
وقال البحترى
الى فتى يتبع النعمى نظائرها * كالبحر يتبع امواجا بامواج
اخذه من قول ابى ذهبل الجمحى
وليلة ذات اجراس واروقة * كالبحر يتبع امواجا بامواج

وهذا انما اراد قول امرء القيس

وليل كموج البحر ارخى سدوله * على بانواع الهموم ليبتلى

وقال البحترى

محركا راسه توهمه * من عطسة قائما على شرف

يشبه قول الآخر

كان ابا الشمى اذا تغنى * يحاكى عاطسا فى عين شمس

وقال البحترى

سقم دون اعين ذات سقم * وعذاب دون الثنايا العذاب

اخذه من قول بشار

ذات الثنايا العذاب * من دونهن عذاب

وقال البحترى

وكان فى جسمى الذى * فى ناظريك من السقم

اخذه من قول منصور بن الفرج

حل فى جسمى ما * كان بعينيك مقيما

وقال البحترى

تجد بدر الدجى يدنو بشمس * الىّ من الرحيق الخسروانى

اخذه من قول الخليع

قمر يحمل شمسا * من رحيق الخسروانى

وقال البحترى

كان سهيلا شخص ظمآن جانح * مع الافق فى نهى من الارض يكرع

اخذه من قول محمد بن يزيد الحصنى السلمى يصف النجوم

حتى اذا ما الحوت فى * حوض من الدلو كرع

وقال البحترى

قوم اذا شهدوا الكريهة صيروا * كمم الرماح جماجم الاقران

اخذه من مسلم بن الوليد حيث يقول

يكسوالسيوف رووس الناكثين به * ويجعل الهام تيجان القنا الذبل

واخذه مسلم من قول ج

كان رؤوس القوم فوق رماحنا * غداة الوغى تيجان كسرى وقيصرا

وقال البحترى

ولم لا اغالى بالضياغ وقد دنا * على مداهـا واستقام اعوجاجها
اذا كان لى توسيعها واغتلالها * وكان عليكم عشرهـا وخراجهـا

اظنه والله اعلم حذا على قول شبيب بن البرصاء

ترى ابل الجار الغريب كانما * بمكـة بين الاخشبين مرادهـا
يكون عليـه نقصها وضمانهـا * وللجار ان كانت تزيد ازديادهـا

وقال ابو صخر الهذلى

اغر اسيدى تراه كانه * اذا جد يعطى ماله وهو لاعب

اخذه البحترى فقال

وادع يلعب بالدهر اذا * جد فى اكرومة هزل

وقال عبد الصمد بن المعذل

ظبى كان بخصره * من رقـة ظمـأ وجـوعا
انى علقت لشقوتى * يا قـوم ممنـوعا منيعا

اخذه البحترى فقال

من غادة منعت وتمنع نيلهـا * ولو انهـا بذلت لنـا لم تبـذل

فزاد على عبد الصمد بقوله بذلت لنا لم تبذل

وقال البحترى

سلبوا واشرقت الدماء عليهم * محمـرة فكانهم لم يسلبوا

وهذا مثل قول الحسف بن السجف الضبى ويجوز ان يكون اخذه منه

ففرقت بين انثى هميم بطعنـة * لهـا عاند يكسـو السليب ازارا

قوله لها عاند يريد الدم وقال عبد الملك بن عبد الرحمن الحارثى

وانى ليدعونى لان استزيدهـا * فوادى واخشى سخطهـا واهابهـا

ونحوه قول البحترى ويجوز ان يكون اخذه منه

وعتبت من حبيك حتى اننى * اخشـى ملامك ان ابثك ما بى

وقال ابو نواس

بح صـوت المـال ممـا * منـك ينـكو ويصيح

اخذه البحترى فقال

فكم لك فى الاموال من يوم وقعة * طويل من الاهوال فيـه عويلهـا

وقال جابر بن السليك الهمداني

ارمى بها الليل قدامى فيهشم بي * اذ الكواكب مثل الاعين الحولَ

اخذه البحترى فقال

وخدان القلاص حولا اذا قا * بلن حولا من انجم الاسحار

وقال عروة بن الورد

مطلا على اعدآئه يزجرونه * بساحاتهم زجر المنيح المشهرِ

فان بعدوا لا يامنون اقترابه * تشوف اهل الغائب المتنظر

الم به البحترى فقال

فترى الاعادى ما لهم شغل * الا توهم موقع يقعه

وقال البحترى

على نحت القوافى من مقاطعها * وما على اذا لم تفهم البقرُ

ذكر على بن يحيى المنجم ان البيت للعجنم الراسبي وكان شاعرا اتصل بمحمد* ابن منصور بن زياد فكسب معه الف درهم فلما مات اتصل بمحمد بن يحيى بن خالد البرمكى فاساءَ صحبته فهجاه فقال *

شتان بين محمد ومحمد * حى امات وميت احيانى

فصحبت حيا فى عطايا ميت * وبقيت مشتملا على الخسران

فهذا ما مر بى من سرقة البحترى من اشعار الناس على غير تتبع فخرجتها ولعلى لو استقصيتها لكانت نحو ما خرجته من سرقات ابى تمام وتزيد عليها وعلى انى قد بيضت فى اخر الكتاب فهما مر بى شئ الحقته به ان شآء الله تعالى *

﴿ وهذا ما اخذه البحترى من معانى ابى تمام خاصة ﴾

مما نقلته من صحيح ما خرجه الضيآء بشر بن تمام الكاتب لانه استقصى ذلك استقصآء بالغ فيه حتى تجاوز الى ما ليس بمسروق فكفانا مؤونة الطلب

قال ابو تمام

فسوآ اجابتى غير داع * ودعائى بالقفر غير مجيبٍ

فقال البحترى

وسالت ما لا يستجيب وكنت فى استخباره كمجيب من لا يسالُ

وقال ابو تمام

فكاد بان يرى للشرق شرقا * وكاد بان يرى للغرب غربا

فقال البحترى

فكون طورا مشرقا للمشرق الاقصى وطورا مغربا للمغرب

وقال ابو تمام

واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود

فقال البحترى

ولن تستبين الدهر موضع نعمة * اذا انت لم تدلل عليها بحاسد

وقال ابو تمام

فان تكن وقعة قاسيت سورتها * فالورد حلف الليث الغابة الاجم

ان الرياح اذا ما اعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعسبان بالرتم

فقال البحترى

فلست ترى شوك القتادة خائفا * سموم الرياح الآخذات من الرند

ولا الكلب محموما وان طال عمره * الا انما الحمى على الاسد الورد

وقال ابو تمام

رايت رجاى فيك وحدك همة * ولكنه فى سائر الناس مطمع

فقال البحترى

ثنى املى فاحتازه عن معاشر * يبيتون والآمال فيهم مطامع

وقال ابو تمام

بمحمد ومسود ومحسد * ومكفر وممدح ومعذل

فقال البحترى

ذاك المحمد والمسود والمكرم والمحسد

وقال ابو تمام

وقد قرب المرمى البعيد رجاؤه * وسهلت الارض العزاز ركائبه

فقال البحترى

ادار رحاه فاغتدى جندل الفلا * ترابا وقد كان التراب جنادلا

وقال ابو تمام

رافع كفه لبرى فما احسبه جانى لغير الطلم

فقال البحترى

ووعد ليس يعرف من عبوس انقباضهم اوعد ام وعيد

وقال ابوتمام

ونغمة معتف جدواه احلى * على اذنيه من نغم السماع

فقال البحترى

نشوان من طرب السوال كانما * غناه مالك طيء اومعبد

وقال ابوتمام

ومجربون سقاهم من بأسه * فاذا لقوا فكانهم آغمار

فقال البحرى

ملك له فى كل يوم كريهة * اقدام غر واعتزام مجرب

وقال ابو تمام

لا المنطق اللغو يزكو فى مقاومه * يوما ولاحجة الملهوف تستلب

فقال البحترى

ان اغفلوا حجة لم يلف مسترقا * لها وان يهموا فى القول لم يهم

وقال ابو تمام

مجد رعى تلعات الدهر وهوفتى * حتى غدا الدهر يمشى مشية الهرم

فقال البحترى

صحبوا الزمان الغرط الا انه * هرم الزمان وعزهم لم يهرم

وقال ابوتمام

كريم متى امدحه امدحه والورى * معى واذا ما لمته لمته وحدى

فقال البحترى

اأشكو نداه بعد ان وسع الورى * ومن ذا يذم الغيث الا مذمم

وقال ابوتمام

البيد والعيس والليل التمام معا * ثلاثة ابدا يقرن فى قرن

فقال البحترى

إطلبا ثالثا سوآى فانى * رابع العيس والدجى والبيد

وقال ابو تمام

وما نفع من قد مات بالامس صاديا * اذا ما السماء اليوم طال انهمارها

فقال البحترى

واعلم بان الغيث ليس بنافع * للناس ما لم يأت فى اباته

وقال ابو تمام

تكاد مغانيه تهش عراصها * فتركب من شوق الى كل راكب

فقال البحترى

ولو ان مشتاقا تكلف غير ما * فى وسعه لمشى اليك المنبر

وقال ابو تمام

وكيف احتمالى للسحاب صنيعة * باسقائها قبرا وفى لحده البحر

فقال البحترى

ملان من كرم فليس يضره * مر السحاب عليه وهو جهام

وقال ابو تمام

فليشكروا جنح الظلام وزرودا فهم لزرود والظلام موالى

فقال البحترى

نجا وهو مولى الريح يشكر فضلها * عليه ومن يولى الصنيعة يشكر

وقال ابو تمام

انت المقيم فما تعدو رواحله * وعزمه ابدا منه على سفر

فقال البحترى

مسافر ومطاياه محللة * غروضها ومقيم وهو مرتحل

وقال ابو تمام

وتشرف العليا وهل بك مذهب * عنها وانت على المكارم قيم

فقال البحترى

متقلقل العزمات فى طلب العلا * حتى تكون على المكارم قيما

وقال ابو تمام

فلم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد فى كف امرىء والدراهم

فقال البحترى

ليغر وفرك الموفى وان اعوز ان يجسم الندى وفورة

وقال ابو تمام

فوفرت يافوخ الجبال على الردى * وزدت غداة الروع فى نجدة النجد

فقال البحترى

ويغدو ونجدته فى الوغى * تدرب نجدات فرسانه

وقال ابو تمام

ما زال وسواسى لعقلى خادعا * حتى رجا مطرا وليس سحاب

فقال البحترى

وعجيب ان الغيوم يرجيهن * من لايرى مكان الغيوم

وقال ابوتمام

بكل صعب الذرى من مصعب يقظ * اقام متئدا ام سار معتزما

فقال البحترى

لايبرح الحزم يستوفى صريمته * اقام متئدا ام سار معتزما

فقال ابوتمام

لردت تحفة عليه وان علت * عن ذاك واستهديت بعض خصاله

وقال ابو تمام ايضا

وانفخ بنار طيب خيمك نفحة * ان كانت الاخلاق مما توهب

فقال البحترى

لا تسل ربك الكثير وسله * خصلة تستفيدها من خصاله

وقال ابو تمام

غريبة تونس الآداب وحشتها * فما تحل على قوم وترتحل

فقال البحترى

ضوارب فى الافاق ليس بنازح * بها من محل اوطنته ارتحالها

وقال ابو تمام

كأنما خامره اولق * او غازلت هامته الخندريس

فقال البحترى

وتخال ريعان الشباب يروعه * من جنة اونشوة او أفكل

وقال ابو تمام

جد حييت به واجتز حلقتي * من دونه عنقاً ليل مغرب

فقال البحتري

فانت نصيب المجد حيث تلالات * كواكبه ان انت لم تصب الاجرا

وقال ابو تمام

تدعى عطاياه وفرا وهى ان شهرت * كانت فخارا لمن يعفوه موتنفا

فقال البحتري

واذا اجتداه المجتدون فانه * يهب العلى فى سيبه الموهوب

وقال ابو تمام

وتلبس اخلاق كراما كانها * على العرض من فرط الحصانة اذرع

فقال البحتري

قوم اذا لبسوا الدروع لموقف * لبسوا من الاحساب فيه دروعا

وقال ابو تمام

لما اظلتنى غمامك اصبحت * تلك الشهود على وهى شهودى

فقال البحتري

ومعترضون ان حاولت امرا * بهم شهدوا على وهم شهودى

وقال ابو تمام

انضرت ايكتى عطاياك حتى * صار ساقا عودى وكان قضيبا

فقال البحتري

حتى يعود الذئب ليثا ضيغما * والغصن ساقا والقرارة نيقا

وقال ابو تمام فما تصطاد غير الصيد

فقال البحتري وتصطاد الفوارس صيدها

وقال ابو تمام

الان حين غرست فى كرم الندى * تلك المنى وبنيت فوق اساس

فقال البحتري

غفل الرجال بنوا على جدد الثرى * لما بنوا وبنيت فوق اساس

وقال ابو تمام

فعلام الصدود من غير جرم * والصدود الفراق قبل الفراق
فقال البحترى
على ان هجران الحبيب هو النوى * لدى وعرفان المشيب هو العذل
وقال ابو تمام
وفتى اذا جنف الزمان فما يرى * الا الى عزماته يتظلم
فقال البحترى
ولو انصفتنى سر مرآه لم اكن * الى العيش من اوطانها اتظلم
وقال ابو تمام
من دوحة الكلم الذى لم ينفكك * وقفا عليك رصينه محبوسا
فقال البحترى
ولك السلامة والسلام فانني * غاد وهن على علاك حبائس
وقال ابو تمام
وكذاك لم تفرط كآبة عاطل * حتى يجاورها الزمان بحال
فقال البحترى
وقد زادها افراط حسن جوارها * خلائق اصفار من المجد خلب
وقال ابو تمام
وما العرف بالتسويف الا كخلة * تسليت عنها حين شط مزارها
فقال البحترى
وكنت وقد املت مرا لحاجتى * كطالب جدوى خلة لا تواصل
وقال ابو تمام
آساد موت مخدرات مالها * الا الصوارم والقنا آجام
فقال البحترى
حشدت حولها سباع الموالى * والعوالى غاب لتلك السباع
وقال ابو تمام
ولاذت بحقويه الخلافة والتفت * على خدرها ارماحه ومناصله
فقال البحترى
لاذت بحقويه الخلافة انها * قسم لافضل هاشم بالافضل

وقال ابو تمام

قد جآنا الرشأ الذى اهديته * خرقا ولو شئنا لقلنا المركب

فقال البحترى

جلت عليه فى سبيل فتوة * هى الثغر خلف المجد بل تفضل الثغرا

وقال ابو تمام

وقد تألف العين الدجى وهو قيدها * ويرجى شفاء السم والسم قاتل

فقال البحترى

ويحسن دلها والموت فيه * وقد يستحسن السيف الصقيل

وقال ابو تمام

اورقت لى وعدا وثقت بنجحه * بالامس الا انه لم يثمر

فقال البحترى

والوعد كالورق الجنى تأودت * منه الغصون ونجحه ان يثمرا

وقال ابو تمام

ان الهلال اذا رأيت نموه * ايقنت ان سيكون بدرا كاملا

فقال البحترى

مثل الهلال بدا فلم يبرح به * صوغ الليالى فيه حتى اقمرا

وقال ابو تمام

ترمى باشباحنا الى ملك * ناخذ من ماله ومن أدبه

فقال البحترى

نغدوا فاما استمحنا من مواهبه * فضلا واما استفدنا منه آدابا

وقال ابو تمام

وما خير برق لاح فى غير وقته * وواد غدا ملآن قبل اوانه

فقال البحترى

واعلم بان الغيث ليس بنافع * للناس ما لم يات فى ابانه

وقال ابو تمام

لايكرم السائل المعطى وان اخذت * منه الرغائب حتى يكرم الطلب

فقال البحترى

علمتني الطلب الشريف وانما * كنت الوضيع من اتضاع مطالبي

وقال ابوتمام

ارسى بناديك الندى وتنفست * نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا

فقال البحترى

راحت لاربعك الرياح ضعيفة * واصاب مغناك الغمام الصيب

وقال ابوتمام

الود للقربى ولكن رفده * للابعد الاوطان دون الاقرب

فقال البحترى

بل كان اقربهم من سيبه سببا * من كان ابعدهم من جذمه رحما

وقال ابوتمام

شرخ من الشرف المنيف يهزه * هز الصحيفة شرخ عمر مقبل

فقال البحترى

ادركت ما فات الكهول من الحجى * فى عنفوان شبابك المستقبل

وقال ابوتمام

بعثن الهوى فى قلب من ليس هائما * فقل فى فواد رعنه وهو هائم

فقال البحترى

فبعثن وجدا للخلى وزدن فى * برحاء وجد الهائم المستهتر

وقال ابوتمام

غرة مرة الا انما كنت * اغرا ايام كنت بهيا

فقال البحترى

عجبت لتفويف العذال وانما * تفويفه لوكان غير مفوق

وقال ابوتمام

وما زالت تجد اسى وشوقا * له وعليه اخلاق الرسوم

فقال البحترى

فهيج وجدى ربعها وهو ساكن * وجدد شوقى رسمها وهو مخلق

وقال ابوتمام

تراه يذب عن حرم المعالى * فتحسبه يدافع عن حريم

فقال البحترى

حامى عن المكرمات مجتهدا * ذب المحامى عن ماله ودمه

وقال ابو تمام

تنصل ربها من غير جرم * اليك سوى النصيحة والوداد

فقال البحترى

اقربها لم اجنه متنصلا * اليك على انى اخالك الوما

وقال ابو تمام

وتند عندهم العلى الا علا * جعلت لها مرر القصيد قيودا

فقال البحترى

والمجد قد يابق عن اهله * لولا عرى الشعر الذى قيده

وقال ابو تمام

شك حشاها بخطبة عنز * كأنها منه طعنة خلس

فقال البحترى

فرحت جونتها بخطبة فيصل * مثل لها فى الروع طعنة فيصل

وقال ابو تمام

جم التواضع والدنيا بسودده * تكاد تهتز من اقطارها صلفا

فقال البحترى

ابدى التواضع لما نالها رعة * عنها فنالته فاختالت به تيها

وقال ابو تمام

اذا اطلقوه عن جوامع علة * تيقن ان المن ايضا جوامع

فقال البحترى

وفى عفوه لو يعلمون عقوبة * تقعقع فى الاعراض ان لم يعاقب

وقال ابو تمام

قصر بذلك عمر وعدك تحولى * شكرا بعمر عمر سبعة انسر

فقال البحترى

وجعلت نيلك تلو وعدك قاصرا * عمر العدو به وعمر الموعد

وقال ابو تمام

دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة * فلباه طل الدمع يجرى ووابله

فقال البحترى

نصرت له الشوق اللجوج بعبرة * تواصل فى اعقاب وصل تصرما

وقال ابو تمام

من ليلة فى وبلها ليلاء * فلو عصرت الصخر صار ماء

فقال البحترى

اشرقن حتى كاد يقتبس الدجى * ورطبن حتى كاد يجرى الجندل

وقال ابو تمام

بر بدأت به ودار بابها * للخلق مفتوح ووجه مقفل

فقال البحترى

اليم بابك معقود على خلق * ووراءه مثل مد النيل محلول

هذا ما اخذه البحترى من ابى تمام

ولعل قائلا يقول قد تجاوزت فى هذا الباب وقصرت ولم تستقص جميع ما خرجه ابو الضيا بشر ابن تميم من المسروق وليس الامر كذلك بل قد استوفيت جميعه فاوضحت وسامحت بان ذكرت ما لعله لايكون مسروقا وان اتفق المعنيان او تقاربا غير انى اطرحت سائر ماذكره ابو الضيا بعد ذلك لانه لم يقنع بالمسروق الذى يشهد التامل الصحيح بصحته حتى تعدى ذلك الى التكثير والى ان ادخل فى الباب ما ليس منه بعد ان قدم مقدمة افتتح بها كلامه وقال ينبغى لمن نظر فى هذا الكتاب ان لا يعجل بان يقول دا هذا ماخوذ من هذا حتى يتامل المعنى دون اللفظ ويعمل الفكر فيما خفى وانما السرق فى الشعر ما نقل معناه دون لفظه وابعد آخذه فى اخذه قال ومن الناس من يبعد ذهنه الا عن مثل بيت امرء القيس وطرفة حين لم يختلفا الا فى القافية فقال احدهما وتحمل وقال الآخر وتجلد قال وفى الناس طبقة اخرى يحتاجون الى دليل من اللفظ مع المعنى وطبقة يكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر وهم قليل فجعل هذه المقدمة توطئة لما اعتمده من الاطالة والحشد وان يقبل منه كل ما يورده ولم يستعمل مما وصى به من التامل واعمال الفكر شيئا ولوفعل ذلك لرجوت ان يوفق لطريق الصواب فيعلم ان السرق انما هو فى البديع المخترع الذى يختص به الشاعر لا فى المعانى المشتركة بين الناس التى هى جارية

فى عاداتهم ومستعملة فى امثالهم ومحـاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذى يورده ان يقال اخذه من غيره غير ان ابا الضيا استكثر من هدا الباب وخلط به ما ليس من السرق فى شئ ولا بين المعنيين تناسب ولا تقارب واتى بضرب آخر ادعى فيه ايضا السرق والمعانى مختلفة وليس فيه الا اتفاق الفاظ ليس مثلها ما يحتاج واحد ان يأخذه من آخر اذ كانت الالفاظ مباحة غير محظورة فبلغ غرضه فى توفير الورق وتعظيم حجم الكتاب وانا اذكر من هذه الابواب امثلة تدل عـلى صحة ما ذكرناه ونجعلهـا قياسا على ما لم يذكـره فان فى البعض غنى عن الاطالة بذكر الكل فما اورده ابو الضياء من المعانى المستعملة الجارية مجارى الامثال وذكـر ان البحترى اخذه من ابى تمام قول ابو تمام

جرى الجود مجرى النوم منه فلم يكن * بغير سمـاح اوطعان بحالم

وقول البحترى

ويبيت يحلم بالمكارم والعـلى * حتى يكون المجد جل منامه

وهذا الكلام موجود فى عادات النـاس ومعروف فى معانى كلامهم وجار كالمثل على السنتهم بان يقولوا لمن احب شيئا او استكثر منه فلان لا يحلم الا بالطعام وفلان لايحلم الا بفلانة من شدة وجده بها وهـذا الزنجى ما حلمه الا بالتمر ولا يقـال لمن كانت هـذه سبيله سرق وانما يقال له اتفاق فان كـان واحد سمع هـذا المعنى اومثله من آخر فاحتذاه فانما ذكـر معنى قد عرفه واستعمله لا انه اخـذه اخذ سرقة وانشد لابى تمـام

اذا القصائد كـانت من مدائحهم * يوما فانت لعمرى من مدائحها

فذكر ان البحترى اخذه فقـال

ومن يكن فاخرا بالشعر يذكـر فى * اضعافه فبك الاشعـار تفتخر

وهذا غلط على البحترى لان النـاس لا يزالون يقولون فلان يزين الثياب ولا تزينه ويجمل الولاية ولاتجمله وفـلانة تزيد فى حسن الحلى ولايزيد فى حسنها وفـلان تفتخر به الانسـاب ولا يفتخر بها وهذا ليس من المعـانى التى لا يجوز ان يدعى احد من الناس انه ابتدعهـا واخترعهـا او سبق اليهـا ولايجوز ان يكون مثل هذا اذا اتفق فيه خطيبان او شاعران ان يقال ان احدهما اخذه من الآخر

وانشد لابى تمام

ثم انقضت تلك السنون واهلها * فكانها وكانهم احلام

وذكران البحترى اخذه فقال

واياهنا فيك اللواتى تصرمت * مع الوصل اضغاث واحلام نائم

وكانه ما سمع الناس يقولون ما كان الشباب الا حلما وما كانت ايامه الا نومة نائم واما اشبه ذلك من اللفظ فكيف يجوز ان يكون ذلك مسروقا وذكران من ذلك قول ابى تمام قد يقدم العير من ذعر على الاسد وقول البحترى

فجاء مجئ العير قادته حيرة * الى اهرت الشدقين تدمى اظافره

اولم يسمع ماهو كالمجمع عليه من ان العير اذا راى السبع اقبل اليه من شدة خوفه منه حتى صار مثلا يتمثل به كما يتمثل بالفراشة اذا تهافتت فى النار وفى ذلك امثال واشعار كثيرة فما اظن علمها سقط عن البحترى

ومن ذلك قول ابى تمام

هيهات لم يعلم بانك لو ثوى * بالصين لم تبعد عليك الصين

وقول البحترى

يضحى مطلا على الاعداء لو وقعوا * فى الصين من بعدها ما استبعد الصينا

وهذا جار على افواه العامة والخاصة والنساء والصبيان ان يضربوا المثل فى البعد بالصين وان يوقعوا التهدد به فيقولون لو انك بالصين لما بعدت على فكيف لا يهتدى البحترى الى مثل هذا ومن ذلك قول ابى تمام

كان بنى نبهان يوم وفاته * نجوم سماء خر من بينها البدر

وقول البحترى

فاذا لقيتهم فموكب انجم * زهر وعبد الله بدر الموكب

وهذا معنى متقدم مبتذل جاء به النابغة وغيره وكثر على الالسن حتى صار اشهر من كل مشتهر وبيت ابى تمام خاصة فانما سرقه على سياقه من مريم بنت طارق ترثى اخاها

كنا كانجم ليل بينها قمر * يجلو الدجى فهوى من بيننا القمر

ومن ذلك قول ابى تمام

همة تنطح النجوم وجد * آلف للحضيض فهو حضيض

وقول البحترى

متحير يغدو بعزم قائم * فى كل نائبة وجد قاعد

وهذان المعنيان جنسهما واحد ولفظهما مختلف وهما شائعان فى الكلام وجاريان فى الامثل يقال فلان عالى الهمة وهمته فى الثريا وحاله فى الحضيض وفلان سام بهمته ولكن قعد به حظه ونحو هذا من اللفظ فليس يجوز ان يعتور هذا المعنى شاعران فيقال احدهما اخذه من الآخر

ومن ذلك قول ابى تمام

وليست فرحة الاوبات الا * لموقوف على ترح الوداع

وقول البحترى

ما الشئ بشاشة بعد شئ * كتلاق مواشك بين بعد

وهذا معنى مستفيض معروف ومنه قول الحجاج بن يوسف لولا فرحة الاوبات لما عرفتهم الا بالاسفار وغرض كل واحد من هذين الشاعرين فى هذين البيتين مخالف لغرض صاحبه لان ابا تمام ذكر انه لا يفرح بالقدوم الا من شجاه واحزنه التوديع واراد البحترى انه ليس شئ من المسرة والجذل اذا جاء فى اثر شي ما كالتلاق بعد التفرق فليس وان كان جنس المعنيين واحدا وجب ان يقال ان احدهما اخذ من الآخر لان هذا قد صار جاريا فى العادات وكثيرا على الالسن فالتهمة ترتفع عن ان ياخذ احد عن احد ومن ذلك قول ابى تمام

لهم نشب وليس لهم سماح * واجسام وليس لهم قلوب

وقول البحترى

خلق ممثلة بغير خلائق * ترجى واجسام بلا ارواح

وهذا الكلام ايضا هو اعرف فى كلامهم واشهر من ان يحتاج شاعر ان ياخذه من الآخر وهم دائما يقولون ما فلان الا شبح من الاشباح وما هو الا صورة فى حائط اوجسد فارغ ونحو هذا من القول السائع المشتهر * ومن ذلك قول ابى تمام

لاتدعون نوح بن عمرو دعوة * للخطب الا ان يكون جليله

وقول البحترى

يا ابا جعفر وما انت بالمد * عو الا لكل امر كبار

ونسى قول الناس اختر لعظيم الحوائج العظيم من الناس ولكبير الامور كبيرهم وقال رجل لابن عباس ان لى اليك حاجة صغيرة فقال اطلب لها رجلا صغيرا

ومن ذلك قول ابى تمام

بيض فهن اذا رمقن سوافرا * صور وهن اذا رمقن صوار

وقول البحترى

انى لحظت فانت جؤذر رملة * واذا صردت فانت ظبى كناس

وهذا تشبيه اعين النساء باعين البقر وتمثيلهن بالصوار وبالظباء وجل كلام العرب عليه يجرى فلا تكون الشعراء فيه الا متفقين * ومن ذلك قول ابى تمام

ولقد جهدتم ان تزيلوا عزه * فاذا ابان قد رسا ويلملم

وقول البحترى

ولن ينقل الحساد مجدك بعدما * تمكن رضوى واطمأن متالع

وهذا المعنى ايضا شائع من معانيهم وكثير فى اشعارهم ومنه قول الفرزدق

وادفع بكفك ان اردت بقاءنا * شهلان ذا الهضبات هل يتحلحل

وقوله يخاطب جريرا ايضا * فرم حضننا فانظر متى انت ناقله افترى البحترى ماسمع هذا من قول الفرزدق ولامن قول غيره حتى سمعه ابو تمام فنقله

ومن ذلك قول ابى تمام

وفى شرف الحديث دليل صدق * لمختبر على شرف القديم

وقول البحترى

على انا نوكل بالادانى * وتخبرنا الفروع عن الاصول

وهذا معنى شائع فى الكلام ايضا مشهور كثير على الافواه ان يقولوا ان العروق عليها ينبت الشجر ومن اشبه اباه فما ظلم والعصى من العصية والغصن من الشجرة ويدلت على الام السخلة ومثل هذا لا يكون ماخوذا مستعارا

ومن ذلك قول ابى تمام

ولذاك قيل من الظنون جلية * صدق وفى بعض القلوب عيون

وقول البحترى

واذا صحت الروية يوما * فسواء ظن امرء وعيانه

وهذا ايضا من الامثال المشهورة المبذولة السائرة وهو قولهم ظن كيقين ومن ذلك قول اوس بن حجر

الالمعى الذى يظن بك الظن كان قد راى وقد سمعا

وقول ابي تمام

لا نجم من معشر الا وهمته * عليك دائرة يا ايها القطب

بقي بيت البحتري لم يذكره وهوهذا

ودارت بنوساسان طرا عليهم * مدار النجوم السائرات على القطب

وكأنه ماسمع قول الناس فلان قطب هذا الامر وعلى فلان مدار القصة ونحو هذا من القول الذي يستغني الانسان بما جرى منه في عادته ان يستعيره من غيره

ومن ذلك قول ابي تمام

واقل الاشياء محصول نفع * صحة القول والفعال مريض

وقول البحتري

وما لمثلي في القول منك رضى * والقول في المجد غير محسوب

وابوتمام زعم ان رونق القول بالمواعيد لايحصل منه نفع اذا لم يكن فعال وجعل الصحة في القول والمرض في الافعال مثلين في الاستعارة والبحتري انما ذكر انه لا يرضى بالقول لان القول لايحتسب به للماجد بغير فعل فالغرضان مختلفان والمعنى معنى واحد شائع جار في عادات الناس ان يقولوا انما زيد كلام وانما عمرو قول بلا فعل ومثل هذا مع كثرته على الالسن لايقال انه مسروق

ومن ذلك قول ابي تمام

ستر الصنيعة واستحر ملعنا * يدعو عليه النائل المظلوم

وقول البحتري

اكافر منك فضل نعمى * وستر نعمى الكريم كفر

فذكر ابو تمام رجلا ذمه بستر الصنيعة وجعله ملعنا يدعو عليه النائل المظلوم على الاستعارة والبحتري ذكر ان ستر النعمى كفر وكلا اللفظين مستعملان شائعان على الالسن فلا يقال لمن تكلم باحد اللفظين انه استعارة من الآخر

ومن ذلك قول ابي تمام

شهدت جسيمات العلى وهو غائب * ولوكان ايضا شاهدا كان غائبا

وقول البحتري

بشير لكم فيها نذير لغيركم * له شاهد عن موضع الفهم غائب

وهذا المعنى ايضا جار على الافواه ومستعمل في الكلام تعرفه العامة كما تعرفه

الخاصة وذلك قولهم فلان شاهد كغائب وحاضر كمن لم يحضر وفلان سوآء والعدم
ومن ذلك قول ابى تمـام

دعني على اخلاق الصمّ التى * هى الوفر او سرب ترن نوادبه

وقول البحترى

وخذ القلاص يردنى لك بالغنى * فى بعض ذا التطواف او يردينَ

وهذان المعنيان اصلهما واحد وهو قول امرء القيس
نحاول ملكا او نموت فنعذرا وشهرته وكثرة استعمال النـاس اياه يغنى البحترى عن
ان يقال انه استعاره او اخذه ومن ذلك قول ابى تمام

تكلت بقبح صـورته فامسى * لهـا انسـان عينى فى السياق

وقول البحترى

شكوت قذى بعينك بات يدمى * كانك قد نظرت الى طمـاس

وهذا ايضا من المعانى التى تمنع شهرتها وابتذال العـآمة والخاصة لها من ان يقال
انهـا مسروقة وان واحدا ائتم فيهـا بآخر وممـا جآ به ابو الضيا على انه مسروق
والمعنيان مختلفان ليس بينهمـا اتفاق ولا تناسب قول ابى تمام

فاقسـم اللحظ بيننـا ان فى اللحظ لعنوان ما يجن الضمير

وقول البحترى

سلام وان كان السلام تحية * فوجهك دون الرد يكفى المسلمـا

وابو تمام سأل من يخاطبه ان يقبل عليه ويجعل له قسطا من النظر فان ادامة النظر
تدل على المودة كما ان الاعراض يدل على البغض والبحترى انمـا سلم على الهيثم
الغنوى وذكر ان السلام تحية وان وجهه بجماله وطلاقته يكفى المسلم قبل رده
والمعنيان مختلفان وليس لواحد منهما من الرقة والغرابة ما ينسب احدهما انه محذو
على الآخر او مسروق منه ومن ذلك قول ابى تمام

ورحب صدر لوان الارض واسعة * كوسعه لم يضق عن اهل بلدْ

وقول البحترى

مفـازة صـدر لو تطرق لم يكن * ليسـلكها فردا سليك المقـانب

وابو تمـام ذكر ان رحب صدر الممدوح وسعته تزيد على سعة الارض فاسرف
واخطا فى المعنى بما قد ذكرته فى باب خطائه فى المعانى والبحترى ذكر سعة صدر

الممدوح وجعل له مفازة على الاستعارة وذكر انه لو تطرق لم يكن ليسلكها سليك الذى لم يكن ليكبر عليه سلوك الارض وان عرضت وطالت وانما ارادا جميعا سعة صدر الممدوح كما جرت العادة بهذا الضرب من المدح فافرطا ولكن سلك كل واحد منهما معنى غير معنى صاحبه كما ترى * ومن ذلك قول ابى تمام

انما البشر روضة فاذا ما * كان بر فروضة وغدير

وقول البحترى

فان العطاء الجزل ما لم تحله * ببشرك مثل الروض غير منور

فاراد ابو تمام البشر مع البر كالروضة والغدير واراد البحترى ان العطا ما لم يكن معه بشر كان كالروض غير منور فليس بين المعنيين اتفاق الا فى ذكر البشر والروض والالفاظ غير محظورة على واحد ومن ذلك قول ابى تمام

وانى ما حورفت فى طلب الغنى * ولكنما حورفتم فى المكارم

وقول البحترى

اذ ابتدا بخلاء الناس عارفة * يتبعها المن فالمرزوق من حرما

فاراد ابو تمام انه ليس بمجدود ولا محارف فى ملتمساته ومطالبه ولكن الذين امهم وطلب ما عندهم حورفوا فى مكارمهم فاحسن فى المعنى واللفظ كل الاحسان واراد البحترى ان البخيل اذا امتن بمعروفه فالمرزوق من حرم ذلك المعروف فهذا المعنى غير معنى ابى تمام وليس بينهما اتفاق ولا تقارب

ومن ذلك قول ابى تمام

اذا شب نارا اقعدت كل قائم * وقام لها من خوفه كل قاعد

فقال البحترى

ومبجل وسط الرجال خفوفهم * لقيامه وقيومهم لقعوده

وليس احد المعنيين من الآخر فى شئ لان ابا تمام اراد ان الممدوح اذا شب نار الحرب اقعدت كل قائم لقتاله ومنابذته اى تزعج كل واحد خوفا وفرقا وذلك ماخوذ من قول الفرزدق

اتانى ورحلى بالمدينة وقعة * لآل تميم اقعدت كل قائم

وقوله وقام لها من خوفه كل قاعد اى زال عن الطمأنينة والقرار فقام وانما يريد انزعاج الخائف فجعل ذلك قياما له والبحترى انما ذكر ان الرجال انما يخفون

لقيام ممدوحه اى يسرعون بين يديه اذا قام فاذا قعد قاموا اجلالا وهيبة وان من شانه ان لايجلس احد بجلوسه وأن يكون الناس كلهم قياما اذا جلس والمعنيان مختلفان وليس بينهما اتفاق الا فى ذكر القيام والقعود والالفاظ مباحة

ومن ذلك قول ابى تمام

وربّ يوم كأيام تركت به * متن القناة ومتن القرن منقصفا

وقول البحترى

فى معرك ضنك تخال به القنا * بين الضلوع اذا انثنين ضلوعا

وليس بين المعنيين اتفاق الا فى ان الشاعرين وصفا حال الطعن بالقنا كيف يقع فذكر ذلك (اى ابو تمام) ان ممدوحه يقصف متن القرن ومتن القناة وشبه هذا انطوآء الرماح واعوجاجها اذا وقعت بضلوع القوم باعوجاج ضلوعهم وهذا من التشبيهات الطريفة العجيبة وهو المعنى الذى استغربه واستحسنه ابو تمام على ما يرويه الشاميون ومن ذلك قول ابو تمام

بين البين فقدها قلّ ما يعرف فقد للشمس حتى تغيبا

وقول البحترى

فاضل بين الاخوان عسرى وفى ظلمآ ليل تفاضلت شهبه

وليس بين المعنيين تناسب لان ابا تمام ذكر ان موضع فقدها بان وانه قلما يعرف فقد الشمس الا بعد غروبها وهذا جار فى عادات الناس واستعمالهم ان يقولوا لا يعرف فضل الانسان حتى يفقد ولا يعرف فضل العافية الا عند البلية وقدر الدراهم الا عند الحاجة والبحترى اراد ان عمره بين له عن مراتب اخوانه وفضل بعضهم على بعض واراد بالشهب الكواكب وهذا معنى لطيف جدا ليس من معانى ابى تمام فى شئ وهذا مما ادعى ابو الضيآ على البحترى فيه السرق والاتفاق فى ذلك اكثرفانما هو من الالفاظ التى ليست محظورة على احد وقد مضى فيما قبل من هذا الباب ابيات فمن ذلك قول ابى تمام

ان الصفائح منك قد نضدت على * ملقى عظام لو علمت عظامَ

وقول البحترى

مساع عظام ليس يبلى جديدها * وان بليت منهم رمائم اعظمْ

فاراد ابو تمام ان عظام الرجل الذى رثاه عظيم القدر واراد البحترى ان مساعى

القومَ عظـام لايبـلى جَدِيدهـا وان بليت عظـامهم وليس ههنا اتفاق الا فى لفظ العظام لاغير ومن ذلك قول ابى تمام

لا يدهمنـك من دهمـائهم عدد * فان اكـثرهم او جلهم بقـر

وقول البحترى

على نحت القوافى من مقاطعها * وما عـلى لهم ان تفهم البقر

فاراد ابوتمام انه لا يجب ان ينظر الى كثرة عددهم فان اكثرهم بقر وذكر البحترى ان عليه ان يجيد القول وليس عليه ان تفهمه البقر وما ههنا اتفاق الا فى لفظة البقر ومن ذلك قول ابى تمام لهان علينا ان نقول وتفعلا وقول البحترى

ان الخليفة ليس يرقب فى الذى * حاولت الا ان تقول ويفعـلا

والاتفاق ههنا انما هو فى القول والفعل ومن ذلك قول ابى تمام

وما يوم زرت اللحد يومك وحده * علينـا ولكن يوم زيد وحاتم

وقول البحترى

يا بيض وضـاح كأن قيصـــه * يزر على الشيخـين زيد وحاتم

افترى البحترى ما سمع بذكر زيد الخيل ولا حاتم الطائى اللذين يفخر بهما اليمن كلها فيشبه ممدوحه بهما الا من بيت ابى تمام ومن ذلك قول ابى تمام

لعمرك ما كـانوا ثلاثة اخوة * ولكنهم كـانوا ثلاث قبـائل

وقول البحترى

كانوا ثلاثة ابحر افضى بهم * ولـع المنـون الى ثلاثة اقـبر

فجعلهم ابو تمام ثلاث قبـائل وجعلهم البحترى ثلاثة ابحر فليس ههنا اتفـاق الا فى ذكر ثلاثة ومن ذلك قول ابى تمام

كتابا من الالوان ابيض ناصع * واحـمر قانى واصفـر فاقـع

وقول البحترى

من واضح يقق واصفر فاقع * ومضرج جسـد واحـمر قانى

افترى البحترى لم يكن ليهتدى الى اصفر فاقع واحمر قانى لولا بيت ابى تمام ومن ذلك قول ابى تمام

لولا مناشدة القربى لغادركم * فريسـة المرهفين السيف والقلم

وقول البحترى

زنت الخلافة اشراقا وقد حبطت * وذدت عن حدها بالسيف والقلم

وكذلك ايضا لم يكن البحتري يهتدي الى الجمع بين السيف والقلم لو لم يجمعهما ابو تمام

ومن ذلك قول ابي تمام

ابى لى نجر الغوث ان ارأم التى * اسب بها والنجر يشبهه النجر

وقول البحتري

سيد نجر المعالى نجره * يملك الجود عليه ما ملك

وقد كان ينبغي لابي الضيا ان لايخرج مثل هذا في السرق ولايفضح نفسه

ومن ذلك قول ابي تمام

متوطئوا عقبيك في طلب العلى * والمجد ثمة تستوى الاقدام

وقول البحتري

حزت العلى سبقا وصلى ثانيا * ثم استوت من بعده الاقدام

ومثله قول ابي تمام

في غداة مهضومة كان فيها * ناضر الروض للسحاب نديما

ومايجعل مثل هذا مسروقا الا من لا معرفة له بجلي المعانى فضلا عن خفيها

ومن ذلك قول ابي تمام يصف الفرس

من نجل كل تليدة اعراقه * طرف معم في السوابق مخول

وقول البحتري

واقى الضلوع يشد عقد حزامه * يوم اللقاء على معم مخول

وما في معم مخول من الغرابة حتى يتلقنه البحتري من ابي تمام على كثرته على الالسن وقول الناس في مدح الفرس كريم الاباء والامهات وشريف الانساب

ومن ذلك قول ابي تمام

فاذرت جمانا من دموع نظامها * على الخد الا أن طالعها السفر

وقول البحتري

جرى في نحرها من مقلتيها * جمان يستهل على جمان

فالاتفاق ههنا انما هو في لفظ جمان وقول ذلك نظامها على الخد وقول هذا جرى في نحرها فلا يقتضي ان يكون احدهما ماخوذا من الآخر لان الدمع على الخد جريه والى النحر يصل وهذه حال لا يجهلها احد ممن وصف الدمع

ومن ذلك قول ابى تمام

وهل للقريض الغض اومن يحوكه * على احد الا عليك معول

وقول البحترى

وعليك سقياهم لنا اذلم يكن * فى نوبة الا عليك معول

فحظر على البحترى لفظة معول وحرمها عليه من اجل ان ابا تمام لفظ بها

ومن ذلك قول ابى تمام

واذا امرؤ اهدى اليك صنيعة * من جاهه فكانها من ماله

وقول البحترى

خان حمدى والرياح اللواتى * تجلب الغيث مثل حمد الغيوم

فمعنى ابى تمام مشترك بين الناس وليس مخترعا لانك ابدا تسمع قول القائل اذا بلغ حاجته بشفاعة ان يقول للشفيع ما اعتد هذه الا من الله ومنك فليس لابى تمام فيه شئ اكثر من ان عبر فيه بعبارة حسنة مكشوفة فالبحترى لم ياخذ المعنى منه لانه فى العادات موجود ولكنه احسن فى التمثيل واغرب وابدع

﴿ وهذا الان ما اخطا فيه البحترى من المعانى قال البحترى ﴾

ذنب كما سحب الرداء يذب عن * عرف وعرف كالقناع المسبل

هذا خطأ من الوصف لان ذنب الفرس اذا مس الارض كان عيبا فكيف اذا سحبه وانما الممدوح من الاذناب ما قرب من الارض ولم يمسها كما قال امرؤ القيس

بضاف فويق الارض ليس باعزل * فقال فويق الارض بقليل

وقد عيب على امرى القيس قوله

لها ذنب مثل ذيل العروس * تسد به فرجها من دبر

وما ارى العيب لحق امرء القيس فى هذا لان العروس اذا كانت تسحب ذيلها وكان ذنب الفرس اذا مس الارض فهو عيب فليس ينكران يشبه الذنب به وان لم يبلغ ان يمس الارض لان الشى انما يشبه بالشى اذا قرب منه اودنا من معناه فاذا اشبهه فى اكثر احواله فقد صح التشبيه ولاق به ولان امرء القيس لم يقصد طول الذنب ان يشبهه بطول ذيل العروس فقط وانما اراد السبوغ والكثرة والكثافة الا تراه قال تسد به فرجها من دبر وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الارض ولا يكون كثيفا بل يكون رقيقا نزر الشعر خفيفا فلا يسد

فرج الفرس فلما قال تسد به فرجها علمنا انه اراد الكثافة والسبوغ مع الطول
فانما اشبه الذنب الطويل ذيل العروس من هذه الجهة وكان فى الطول قريبا
منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب ولا ان يكون ذنب الفرس من اجل
تشبيهه بالذيل مما يحكم على الشاعر ايضا انه قصد الى ان الفرس يسحبه على
الارض وانما العيب فى قول البحترى ذنب كما سحب الرداء فافصح بان الفرس
يسحب ذنبه ومثل قول امرء القيس قول خداش بن زهير

لها ذنب مثل ذيل الهدى * الى جؤجؤ أيد الزافر

الهدى العروس التى تهدى الى زوجها وأيد شديد والزافر الصدر لانها تزفر منه
فانما اراد بذيل العروس طوله وسبوغه فشبه الذنب السابغ به وان لم يبلغ فى الطول
الى ان يمس الارض ومما يصحح ذلك قولهم فرس ذيال اذا كان طويلا طويل
الذنب فاذا كان قصيرا طويل الذنب قالوا ذائل وانما قالوا ذلك تشبيها للذنب
بالذيل لاغير قال النابغة

بكل مدجج كالليث يسمو * الى اوصال ذيال رفن

رفن ورفل واحد وهو الطويل الذنب وقد استقصيت الاحتجاج لبيت امرء
القيس فيما بينته من سهو ابى العباس عبد الله بن المعتز فيما ادعاه على امرء القيس
من الغلط فى كتابه الذى جمع فيه سرقات الشعراء وقال البحترى

هجرتنا يقظى وكادت على عا * داتها فى الصدود تهجر وسنى

وهذا عندى غلط لان خيالها يتمثل له فى كل احوالها يقظى كانت او وسنى والجيد قوله

ارد دونك يقظانا ويأذن لى * عليك سكر الكرى ان جئت وسنانا

فصحح المعنى وأتى به على حقيقته وكذلك قوله

اذا ما تباذلنا النفائس حلتنا * من الجد ايقاظا ونحن نيام

وقوله نعذب ايقاظا وننعم هجدا * جيد ايضا لانه جعلها على ان حالها مع خياله
اذا نامت كحاله مع خيالها اذا نام وان كل واحد منهما ينعم مفردا مع خيال
صاحبه لانهما ينعمان معا فى حال واحدة اذا نام احدهما فراى خيال الآخر
وانما اخذ معنى بيته الاول وعليه بنى اكثر اوصافه للخيال من قول
قيس بن الحطيم

انى سربت وكنت غير سروب * وتقرب الاحلام غير قريب

ما تمنى يقظى فقد توتينه * فى النوم غير مصرد محسوب

وما اظن احدا سبق قيسا الى هذا المعنى فى وصف الخيال وهو حسن جدا ولكن فيه ايضا مقال لمعترض وذلك هو الذى اوقع البحترى فى الغلط لان قيسا قال ما تمنى يقظى فقد توتينه فى النوم فاراد ايضا انها توتيه نائمة وخيال المحبوب يتمثل فى حال نوم المحب ويقظته كما ذكرت وكان الاجود لو قال ما تمنى فى اليقظة فقد توتينه فى النوم اى ما تمنيته فى يقظتى فقد توتينه فى حال نومى حتى يكون النوم واليقظة معا منسوبة اليه الا انه يتسع من التاويل لقيس ما لا يتسع للبحترى لان قيسا قال فقد توتينه فى النوم فقد يجوز ان يحمل على انه اراد ماتمنى يقظى وانا يقظان فقد توتينه فى نومى ولا يسوغ مثل هذا فى بيت البحترى لان البحترى قال وسنى ولم يقل فى الوسن وقال البحترى فى مدح المعتز بالله

لا العذل يردعه ولا التعنيف عن كرم يصده

وهذا عندى من اهجن ما مدح به خليفة واقبحه ومن ذا يعنف الخليفة اويصده ان هذا بالهجو اولى منه بالمدح وقال البحترى

تشق عليه الريح كل عشية * جيوب الغمام بين بكر وايم

وهذا ايضا غلط لانه ظن ان الايم هى الثيب وقد غلط فى مثله ابو تمام وذكرته فى اغاليطه وسها فيه ايضا بعض كبار الفقهاء فظن البحترى ان الايم هى الثيب فجعلها فى البيت ضد البكر والايم هى التى لا زوج لها بكرا كانت اوثيبا قال الله تعالى وانكحوا الايامى منكم اراد جل ثناؤه اللواتى لا ازواج لهن فالبكر والثيب جميعا داخلتان تحت الآية فتكون بكرا وتكون ثيبا وتكون بكرا ومعنسا وكعابا الا ان لفظة ايم لا تزول عن شئ من هذه الاوصاف وليست عبارة الا عن التى لا زوج لها لاغير وقد شرحت هذا المعنى شرحا شافيا فى غلط ابى تمام

وقال البحترى

شرطى الانصاف ان قيل اشترط * وصديقى من اذا قال قسط

وكان يجب ان يقول اقسط اى عدل وقسط بغير الف معناه جار قال الله تبارك وتعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وقال ان الله يحب المقسطين

وقال البحترى

صبغة الافق بين اخر ليل * منقض شانه وآخر فجر

يصف فرسا اشقر او خلوقيا والحمرة لا تكون بين آخر الليل واول الفجر وهو عندى فى هذا غالط لان اول الفجر الزرقة ثم البياض ثم الحمرة عند بدوء قرن الشمس كما ان آخر النهار عند غيبوبة الشمس الحمرة ثم البياض ثم الزرقة وهى آخر الشفق وقال البحترى

وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه * واول الغيث رش ثم ينسكب

وقال اخر

وان يسجع القمرى فيها اذا غدا * بركبانه قرن من الشمس ازرق

وكان البحترى اراد ان يقول بين اخر ليل منقض شانه واول نهار فيكون قد قابل بين الليل والنهار والحمرة قد تكون بين اخر الليل واول النهار كما تكون بين اخر النهار واول الليل فقال واول فجر صفرة والجيد فى هذا قول ابى تمام يصف فرسا اشقر * كأن قد كسفت فى اديمه الشمس وقال البحترى

قف العيس قد ادنى خطاها كلالها * وسل دار سعدى ان شفاك سؤالها

هذا لفظ حسن ومعنى ليس بالجيد لانه قال قد ادنى خطاها كلالها اى قارب من خطوها الكلال وهذا كانه لم يقف لسؤال الدار التى تعرض لان يشفيه سؤالها وانما وقف لاعياء المطى والجيد قول عنترة لانه لما ذكر الوقوف على الدار احتاط بان شبه ناقته بالقصر فقال

فوقفت فيها ناقتى وكانها * فدن لاقضى حاجة المتلوم

قال ذلك ليعلم انه لم يقف بها ليريحها وقد كشف عن هذا المعنى ذو الرمة فاحسن واجاد فقال

أنخت بها الوجناء لا من سآمة * لثنتين بين اثنين جاء وذاهب

يقول انخت بها لاصلى لا من سآمة بها وقوله لثنتين يريد اللتين يقصرهما المسافر بين اثنين جاء يريد الليل وذاهب يريد النهار فان قيل فانما قال قد ادنى خطاها كلالها ليعلم انه قصد الدار من شقة بعيدة قيل العرب لاتقصد الديار للوقوف عليها وانما تجتاز بها فيقول الرجل لصاحبه او صاحبيه قف وقفا وانما ذلك تعريج على الديار فى مسيرها وسأزيد فى شرح هذا المعنى فيما بعد عند ذكر الوقوف على الديار * وقال البحترى

غريب السجايا ما تزال عقولنا * مدلهة فى خلة من خلاله

اذا معشر صانوا السماح تعسفت * به همة مجنونة فى ابتذاله

قوله اذا معشر صانوا السماح معنى ردىء لان البخيل ليس من اهل السماح فيكون له سماح يصونه وسوآ عليه قال صانوا السماح او صانوا السخاء او صانوا الجود اوصانوا الكرم فان هذا كله لا يملك البخلاء منه شيئا وهومتهم بعيد فكيف يصونونه فان قيل انما اقام السماح مقام الشئ الذى يسمح به وفى مجازات العرب ماهو ابعد من هذا قيل البحترى لا يسوغ مثل هذا ولايجوزله لانه متاخر ولاسيما ان ليست ههنا ضرورة لانه قد كان يمكنه ان يقول صانوا الثرى مكان صانوا السماح *وهذا ماعيب به البحترى وليس بعيب* وانما ذكرته ليلا يظن ظان انه صحيح وانى تخطيئته فمن ذلك ما نعاه عليه اصحاب ابى تمام وهما بيتان وقد ذكرت احتجاج اصحاب البحترى فيهما فى الجزء الاول من هذا الكتاب وانا اعيد ذكرهما لزيادة عندى فى الاحتجاج يحتاج اليها * انكروا عليه قوله

تخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

وقالوا لوملئ الاناء دبسا لكانت هذه حاله والمعنى عندى صحيح لاعيب فيه ولا قدح وذلك ان الرجل قد دل بهذا الوصف على ان شعاع السراب فى غاية الرقة فاعتمد ان وصف الاناء ومافيه وصف الهيئة على ماهى عليه وانما اخذ المعنى من قول على بن جبلة

كان يد النديم تدير منها * شعاعا لاتحيط عليه كاس

الا ترى ان هذا ايضا قد دل على ان الكاس فى غاية الرقة ومثله قول الآخر

انما نجعتنا موسومة * ضمنت حمراء ترمى بالزبد

واذا ما نزلت فى كاسها * فهى والكاس معا شئ احد

وقد انشد ابو العباس ثعلب بيت البحترى هذا فى اماليه وقال انه اخذ المعنى من قول الاعشى

تريك القذى من دونها وهى دونه * اذا ذاقها من ذاقها يتمطق

قال ابو العباس وهذا البيت اجود ماقيل فى وصف الخمرة لانه جمع بين اللون والطعم ونحوه قول الآخر وهو الاخطل

ولقد تباكرنى على لذاتها * صهباء عاربة القذى خرطوم

يريد انها صافية فالقذى فيها لا يستتر ولم يعب ابو العباس البحترى ولاطعن فى بيته بل ذلك انشاده وذكره فى موضع السرق على استجادته واستحسانه اياه وانكروا قوله

ضحكات فى اثرهن العطايا * وبروق السحاب قبل رعوده

وقالوا اقام الرعود مقام العطايا وانما كان ينبغى ان يقيم الغيوث مقام العطايا وهذا جهل ممن قاله بمعانى كلام العرب ومعنى التمثيل فى البيت صحيح لان الرعد مقدمة الغيث وقل رعد لايتلوه المطر واذا كان هذا هكذا فقد صار المعنى كانه اول له وانما اخذ البحترى المعنى من قول بشار

وعد الجواد يحث نائله * كالبرق ثم الرعد فى اثره

واظنهما جميعا اخذا المعنى من قول الاعشى

والشعر يستنزل الكريم كما استنزل رعد السحابة السبلا

فاقام الرعد مقام الغيث ونحو قوله بشار

حلبت بشعرى راحتيه فدرتا * سماحا كما در السحاب على الرعد

وانشد ابن الاعرابى فى نوادره

فان لم اصدق ظنهم بتيقنى * فلا سقت الاوصال منى الرواعد

فجعل التى تسقى هى الرواعد وقال الكميت

وانت فى الشتوة الجماد اذا * اخلف من انجم رواعدها

ومثل هذا كثير فى كلامهم لاينكره منكر وقال ابو تمام

وكذا السحائب قلما تدعو الى * معروفها الرواد ما لم تبرق

فجعل البرق عند الرواد دليل الغيث وقد يكون برق لامطرمعه كثيرا وبرق الخلب هذه حاله فالبحترى فى ان اقام الرعد مقام الغيث اعذر من ابى تمام لانه قد يرتفع سحاب وبرق لامطرفيه فاذا ارعد لايكاد يخلف ومن ذلك قول ابى تمام

يا هلالا اوفى با على قضيب * وقضيبا على كثيب مهيل

وقالوا هذا خطأ لان الكثيب اذا كان مهيلا فانه يذهب ولايستمسك وذلك مذموم من الوصف قالوا والجيد قوله

كالبدر غير مخيل والغصن غير مميل والدعص غير مهيل

وقالوا قد تراه هنا كيف شرط فى الدعص لما مثل العجز به ان جعله غير مهيل

لان العرب اذا شبهت اعجاز النسآ بكثبان الرمل شرطت فيها ان تكون ندية وان تكون ممطورة كانها الكثبان غب سارية ناوية سمان من النى وهو الشحم كقول الاخر مثل الكثيب اذا ما بله المطر وكما قال مرداس بن ابى عامر السلمى

اذا هى قامت فى النسآ حسبت ما * فويق نطاق العقد صعدة مأسم
وأسفل منه ظهر دعص اصابه * نجآء السماك فى الكثيب المحسم

وقال الاخضر بن جابر الفزارى

بكرت اثنآء اللفاع الأنحمى * بمثل دعص الرملة المديم

اراد الذى قد بلته الديمة وهى السحابة وقال جندل بن المثنى الطهوى

لا بل كدعصآء نفاها مثرى * عقرآ حفت برمال عفر

وقال امرؤ القيس

كحقف النقا يمشى الوليدان فوقه * بما احتسبا من لين مس وتسهال

والحقف المستدير من الرمل لان الريح تنخله وتجمعه وقال يمشى الوليدان فوقه لان الندى اصابه فهو صلب وفيه مع ذلك لين ونعمة وقد شبه امرؤ القيس ايضا كفل الفرس بالدعص الندى فقال

له كفل كالدعص لبده الندى * الى كاهل مثل الرتاج المضبب

وقال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت

وان مال الضجيع بها فدعص * من الكثبان ملتبد مطير

قالوا هذا الوصف المجرد والمعنى الصحيح من معانى العرب ولو لا ان تشبيه اردافه بالكثيب المنهال خطأ لما قال البحترى فى بيته الآخر والدعص غير مهيل وهذا المذهب الذى ذهبوا اليه لعمرى صحيح من مذاهبهم الا ان الشعرآء اذا شبهت اعجاز النسآء بكثبان الرمل ووصفتها بالانهيال فانما تقصد الى تحرك اعجازهن عند المشى كما قال رؤبة بن العجاج

اذا وصلن العوم بالهركل * رجرجن من اعجازهن الخزل
اوراك رمل وابخ فى رمل

فقال اوراك رمل وابخ فى رمل وولوجه تحركه ودخول بعضه فى بعض وكما قال الاعشى

ورادفة تضنى الردآء تساندت * الى مثل دعص الرملة المنهيل

فياف كغصن البان ترتج ان مشت * دبيب قطا البطحاء فى كل منهل

فدل بقوله ترتج ان مشت على ان قوله الى مثل دعص الرملة المتهيل انما اراد تحرك عجزها فى حال مشيها وكذلك قول روبة

ميالة مثل الكثيب المنهال * عزز منه وهو معطى الاسهال

صوب السوارى متنه بالتهتال

التهيال والهتان واحد فقال مثل الكثيب المنهال لما قال ميالة اى انها تتثنى فى مشيتها وتحرك روادفها وشرط انه عزز منه صوب السوارى اى شدده ليمنع من سيلانه وذهابه وانما اراد حالا بين الحالين الا تراه قال وهو معطى الاسهال شدة صوب السوارى وهو مع ذلك يتهيل وقال ابن اخى سفيان الغامدى

ذات شوى عبل وخصر ابتل * وكفل مثل الكثيب الاهيل

فاراد بالاهيل الذى يتدحرج عند المشى وقال المقنع الكندى

اذا قامت تنوء بمرجحن * كدعص الرمل ينهال انهيالا

فجا بذكر الانهيال من اجل ذكره للقيام ولو لم يذكره لكان غرضه فيه معروفا وقال عبد الرحمن بن الحكم

كان مابين قصراها وخنصرها * منها نقا دمث من عالج هار

فقصراها آخر الاضلاع وهى القصرى والقصيرى فدل بقوله هار على انه اراد تحرك روادفها فكذلك قول البحترى وقضيب على كثيب مهيل انما اراد تحرك اردافه وقد دل على المشى بقوله ياهلالا اوفى با على قضيب فالمعنيان لا يتناقضان لان الشاعر ان ذكر الانهيال فانه اراد الحركة عند المشى وان لم يذكر ذلك وشرط فى الكثيب الندى واصابة الغيث فانما قصد ان ينص على اجتماعه واستمساكه كما قال روبة ميالة مثل الكثيب المنهال ثم قال عزز منه وهو معطى الاسهال صوب السوارى متنه بالتهتال فانتظم الوجهان جميعا والذى شرح هذين المعنيين اتم الشرح وابر فى الوصف على كل محسن تميم بن ابى بن مقبل فى قوله يصف مشى النساء

يمشين هيل النقا مالت جوانبه * ينهال حينا وينهاه الثرى حينا

انما اراد بقوله ينهال حينا تحرك اعجازهن اذا مشين كما يتحرك جانب الرملة للانهيال فينهاه الثرى وهو ما تحته من التراب والرمل الندى وهذا لا شي

اوضح منـه ومن ذلك قوله

متى اردنا وجـدنا من يقصر عن * مسـعاته وفقـدنا من يدانيه

وقالوا ليس هذا بالجيد لانه وصف يشرك ممدوحه فيه البقال والمراق وباعة الدوآء ولقـاط النوى لان هولآء ايضا متى شئنا وجدنا من يقصر عن مسـعاتهم وهو الحجام والكناس والنباش والبيت عندى صحيح وغرض البحترى فيـه معروف ومثله قول الاعشى

واخو النسـا متى يشـا يصرمنه * ويعدن اعـدآء بعـيد وداد

وهو لايشآء بذلك وانما اراد ان ذلك سهل موجود فى النسآ وكذلك قول البحترى متى اردنا وجدنا اى ان ذلك موجود سهل حاصل وان لم يكن هناك ارادة ولا طلب لان تلك حال قد علمت منه وقد صحح المعنى و وكد المدح بقوله و فقـدنا من يدانيه والبقال والمراق وامثالهما غير مفقود من يدانيهم فجعل البحترى احد القسمين فى البيت معلقـا بالآخر اى ذلك كله سهل موجود ولو اقتصر على النصف الاول كان لعمرى فيه متعلق ومن ذلك قوله

تهاجر ام لا وصل يخلطه * الا تزاور طيفينـا اذا هجرا

قالوا والطيفان لا يهجران وانمـا اراد اذا هجرانا فقـال اذا هجرا وقد سمعت من يحتج فيه بمـا لا يـبعد عنـدى من الصواب وهو ان قال انه اراد الا تزاور نفسـينا اذا هجرا فاقام الطيف مقـام النفس وقال هجرا ولم يقل هجرنا للفظ الطيف وهو مذكر وقال ان النفس تنـام عـلى الحقيقة كما قال تعـالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فقيل له النفس لعمرى يطلق عليها النوم فاذا نامت رات خيالات الاشيآ التى ترى حقائقهـا فى اليقظة فالنفس غير الخيال وقد تمثـل النفس فى حال يقظتها وان لم ترها العين فليس النفس من الخيـال فى شئ قال فاذا كانت النفس والخيال يلتقيان فى النوم فلم لا اسميهما خيالين وان كان احدها خيـالا والآخر نفسا على المجـاز الذى تفعله العرب وهذا عندى احتجاج صحيح وبصح عليه معنى البيت وممـا نسبوا فيه البحترى الى سوء التقسيم قوله

فكان مجلسه المحجب محفـل * وكـان خلوته الخفية مشهد

وقالوا انه ليس فى المصراع الثـانى من الفـائدة الا ما فى الاول لان مجلسه المحجب هى خلوته الخفية وقوله محفل كقوله مشهد والمعنى عندى صحيح لان المجلس

المحجب قد يكون فيه الجماعة الذين يخصهم وفى الاكثر الاعم لا يسمى مجلسا الا وفيه قوم الا ترى الى قول مهلهل واستب بعدك يا كليب المجلس اى اهل المجلس على الاستعارة بجعل البحترى مجلسه الذى احتجب فيه مع ما يخصه كالمحفل والمحفل هو الجمع الكثير والخلوة الخفية قد يكون فيها منفردا وقد يكون معه محبوب فيها وبين المجلس والمحفل فرق فكانه اذا خلا خلوة خفية وفيها معه من يشاهده ومن يشاهده يجوز ان يكون واحدا او اثنين والمحفل لا يكون الا عددا كثيرا فهذا ايضا فرق صحيح وانما اراد البحترى انه لايفعل فى مجلسه المحجب الا ما يفعله فى المحفل ولايفعل فى خلوته الخفية الا ما يفعله مع من يشاهده ينسبه الى شدة التصاون وكرم السريرة ومثله قوله

امين الله دمت لنا سليما * ومليت السلامة والدوايا

قالوا وقوله دمت لنا سليما هو قوله مليت السلامة والدوايا فان هذا قبيح جدا وليس الامر عندى كذلك بل القسمة صحيحة لانه لما تقدم ذكر السلامة والدوام فى اول البيت قال فى عجزه ومليت السلامة اى اديمت لك تلك السلامة والملاوة بكسر السين وضمها وفتحها ذكر ابن السكيت انها ثلاث لغات وذلك الدوام وليس بمنكر ان يقول دام لك الدوام كما يقول طال طولك وقرقرارك وضل ضلالك وزال زوالك وذلك كلام مستعمل حسن ومعنى مليت اطيلت واديمت مثل تمليت وهو مأخوذ من الملاوة والملواة وهما الدهر والملوان الليل والنهار ومنه قولهم وقفت مليا وقال البحترى

اليوم اطلع للخلافة سعدها * واضاء فينا بدرها المتهلل

لبست جلالة جعفر فكانها * سحر تجلله النهار المقبل

وقالوا هذا معنى فاسد لان السحر طرة النهار واوله وبدء ضيائه والشئ فى مثل هذا لا يتجلل اوله لان التجلل هو ان يشتمل عليه ويغطيه والسحر امام النهار ابدا فلايجوز ان يتغشاه لانه المتصل بالظلمة والمختلط بها والطارد لها فهو يدور حول كرة الارض دائما على صورة واحدة لايتغير وهذا عندى معارضة صحيحة الا ان هذا معنى يتجاوز فى مثله لان البحترى انما اراد تجلله النهار فى راى اعيننا ومانشاهده لان زرقة السحر لما استطار الضوء صار كانه شى غطى عليها وان كانت حقيقتها انها انقلبت الى قطر آخر من الارض

وقال البحترى

لم ار كالهجر لم يرحم معذبه * والوصل لم يعتمد معطاه بالجود

وهذا بعضهم كان يراه سهوا ويقول ان المعذب بالهجر مرحوم فاما الذى يواصله حبيبه فمغبوط ابدا ومحسود وقد قيل فى ذلك من الاشعار ماهو اشهر واكثر فمنها قول يزيد بن الطثريه

اعوذ بجديك الكريمين ان يرى * لنا حاسد فى غبر الوصل مطمعا

وقول ابى صخر الهذلى

فقد تركتنى احسد الطير ان ارى * اليفين منها لم يروعهما النفر

وقول جرير

ويحسد ان يزوركم ويرضى * بدون البذل لو علم الحسود

وقول جميل بن معمر

لولا الوشاة لزرتكم ببلادكم * لكن اخاف مقالة الحساد

وقول عتبة بن مجر الحارثى

ايام تهجرنى ليلى واحسدها * واطيب العيش عندى مضغة الحسد

اى هى تهجرنى وانا احسد ها اى احسد عليها وليس الامر عندى فى هذا البيت ما تاوله المتاول وظنه وذلك ان البحترى لم يرد بقوله لم اركالهجر لم يرحم معذبه حسن الهجر ولاحسن الوصل فيخرج الكلام مخرج العموم لكل هجر وكل وصل يقال اهلك الناس الدينار والدرهم وانما اراد لم اركالهجر لم يرحم معذبه اى كالهجر الذى هذه حاله ولم يرد كل الرجال وكيف يظن مثل هذا بالبحترى وهو يقول

وتحسد ان يسرى الينا من الهوى * عقائل يعتاد الهوى باعتيادها

فكم نافسوا فى حرقة اثر فرقة * تجب من انفاسنا وامتدادها

فقد ترى كيف يزعم انه يحسد على الجوى وعلى الحرق فكيف على الوصل

وقال البحترى

اى ليل يبهى بغير نجوم * وسحاب ينــدى بغير بروق

عابه بعضهم بهذا وقالوا قد يكون برق ولاغيث معه وهو برق الخلب والرجل لم يقل لابرق الا ومعه مطر وانما قال لامطر الا ومعه برق وسمعت من يعيب قوله

كالروض موتلقا بحمرة لونه * وبياض زهرته وخضرة عشبه

ويقول النور هو الابيض والزهر هو الاصفر بلا محالة فاذا قلت فى هذا الروض أنوار مختلفة جاز ذلك لانك تضم الى البياض غيره فيجرى الرسم على الجميع على سبيل المجاز كما تقول العمران لابى بكر وعمر رضى الله عنهما والقمران للشمس والقمر وما اشبه ذلك وكذلك اذا قلت فيها ازهار كثيرة جاز ذلك وان كان فيها ابيض واحمر وما سواهما من الصفرة توسعا ومجازا فاذا فصلت مقيدا لان تخص كل جنس باسم كما فعل البحترى لم يجز ان يعدل بكل جنس عن اسمه المخصوص فتقول حينئذ يعجبنى من هذا الموضع صفرة زهره وبياض نوره وحمرة شقائقه ولايجوز ان تقول يعجبنى حمرة نوره ولا بياض زهره كما قال البحترى لان ذلك خطا فى اللغة على ما استعملته العرب ولعمرى ان هذا هو الاشهر فى كلامهم والاغلب فى الماثور عنهم الا انهم قد جعلوا الزهر نورا والنور زهرا وجا ذلك فى الشعر قال عدى بن زيد

حتى تهول مستكا له زهر * من التناوير شكل العهن فى اللوم

اللوم جمع لامة ولومة وهى متاع الرجل من الاشلة والولايا تكون موشاة بالعهن والصوف المصبوغ بالحمرة وغير ذلك من الالوان فقال زهر ثم قال من التناوير وقال شكل العهن وقال زهير بن مسعود

منور غدق الندى قريانه * مثل العهون من الخواطر مقمر

وقال ابو النجم

فالروض قد نور فى حوائه * مختلف الالوان فى اسمائه

نور تحار الشمس فى حمرائه * مكللا بالنور من صفرائه

فقال بالنور من صفرائه وقال حميد بن ثور

كان على اشداقه نور حنوة * اذا هو مد الجيد منه ليطعما

يصف فرخ الحمامة وصفرة اشداقه ويشبهها بصفرة نور الحنوة ولم يقل زهر حنوة وقال الاعشى

وشمول تحسب العين اذا * صفقت وردتها نور الذبح

والذبح نبت ونوره احمر شديد الحمرة ويقال له الذبح وهذا كله دليل على ان هذه الاسماء تستعمل فى هذه الالوان كما ترى على اختلافها وسمعت من يعيب

قوله

فجدل وموسد ومرمل * ومضرج ومضمخ ومخضب

ويقولون ان قوله مضرج ومضمخ ومخضب بمعنى واحد ذكر انه ان اراد رجلا واحدا انه مضرج ومضمخ ومخضب جاز لان اللفظة تكون موكدة للاخرى قال ولكنه اراد منهم مضرج ومنهم مخضب كما فهم فى صدر البيت ولعمرى ان البحترى كذلك اراد وليس بمنكر لان التضرج من التضريج وهى الحمرة المشرقة التى ليسب بقانية والمضمخ يريد غلظ الدم وانه فى مثانة الطيب الذى يتضمخ به والمخضب اراد ان الدم قد خضبه كما يخضب بالحناء ففى كل لفظة ما ليس فى الاخرى وان كانت الحمرة قد شملت الجميع لان المضرج يجوز ان يكون اراد به طراوة الدم اى منهم حديث عهد بالقتل والمضمخ من قد خثر عليه الدم كان قتله قد تقدم قبل الاخر والمخضب يجوز ان يكون مضى لقتله يوم واكثر فقد اسود عليه الدم وهذه معان كلها محتملة وقد يجوز ان يريد بقوله مضرج سائر جسده وبالمضمخ ان السيف اخذ عوارضه وتحت لحيته وذلك موضع من مواضع التضمخ بالطيب واراد بالمخضب ان السيف اخذ فى راسه ويديه ورجليه وذلك مواضع الخضاب وقد يكون المضرج المقطع يقال ضرجته اذا قطعته وهذه معان لطيفة وقد يجوز ان يعتد بها والوجه القوى هو الاول وسمعت قوما ينكرون قوله فى وصف الخمر

وفواقع مثل الدموع ترددت * فى صحن خد الكاعب الحسناء

ويقولون ان الدموع لا تتردد فى الخد كما يتردد الحباب فى الكاس وانما الدمع يجرى ويتتابع والمعنى صحيح ولاعيب فيه لان التردد قد يكون الجولان وقد يكون التتابع والتواتر يقال قد تتابعت كتبى اليك وترددت بمعنى وتواترت كتبى وتتابعت والكتاب الاول هو غير الثانى وكذلك قد يكون الرسول الاول غير الرسول الثانى وانما حسن ان يقال تتابعت وترددت لان كل واحد من الرسل رسول فلما ضمهم اسم واحد حسن استعمال التتابع والتردد وان كانت اشخاصا متباينة وكل واحد غير الآخر فكذلك الدمع حسن ان يقال قد تتابعت دموعه على خده وترددت وان كانت كل دمعة غير الاخرى والحباب وان جال فى القدح حائرا فيه فانه ربما جرى فيه على جهة واحدة كما يجرى الدمع على جهة واحدة

وهذا من احسن التشبيه واليقه لان الخمر قد يكون منهـا احمر الى التوريد الخفيف كحمرة الخد وخاصة اذا ارقت بالمـاء كما قال الشـاعر

كميت اذا فضت وفي الكاس وردة * لهـا في عظام الشاربين دبيب

فاذا شبهت الحمرة بالخد وذكـر الحباب فمن اليق ماشبه به واحسنه واصحه الدمع لان الدمع قد يقف في الخد كوقوف الحباب في صحن الكاس وباب اختلاف حركة الحباب اوحركة الدمع فليس كل شي يشبه بشئ يقع التشبيه فيه من جميع الجهـات حتى لا يغادر منهـا شي وقد يكون انمـا شبه به ببعض ما فيه لابكله

ورايت ممن عاب قوله

وصبغت اخلاقي برونق خلقه * حتى عدلت اجاجهن بعذبه

وقالوا انمـا كان ينبغي لما ذكـر الاجاج والعذب ان يقول مزجت لا ان يقول وصبغت اولمـا قال وصبغت ان يقول حتى عدلت الوانهن بحسن لونه وليست هذه المعـارضة بشئ والمعنى صحيح وذلك انه ليس هناك صبغ على الحقيقة فيقابل بذكر لون حتى يتكافىء المعنيان ولامشروب عذب ولا اجاج على الحقيقة فيستعمل بذكر المزاج وهذه استعارات ينوب بعضها عن بعض ويقوم بعضها مقـام بعض لانهـا ليست بحقائق فيمـا استعيرت له الا ترى انك تقول فلان قد شـارك فلانا وخالطه ومازجه وانصبغ به بمعنى واحد وان كان بعضها اوكد من بعض ولايكون هناك مداخلة ولا ممازجة لجسم في جسم ولامخالطة على الحقيقة

ومـا عيب عليـه من التعسف والتعقيـد في اللفظ قـوله

فتى لم يمل بالنفس منـه عن العلى * الى غيرهـا شئ سـواه مميلهـا

وكان بعض النـاس يرى انه لاحن ويقول انه انمـا اراد فتى لم يمـل بنفسـه عن العلى شئ مميل نفس سواه اى ما يميل النفس عن المعـالى اللهو واللعب والدعة وحب الراحة والضن بالمال ونحو هذا من الاسـياء الشاغلة عن السودد فقدم سواه وكـنى عن النفس بقوله مميلها بعد ان حذفها قال وذلك غير جائز لانك اذا قلت لن يضرب هامة عمرو فقلت لن يضرب هامة عمرو واحد غير ضاربهـا وجعلت الهاء في ضاربها كـناية عن الهامة لتقدمها جاز لان البصريين من النحويين يقولون هامة غير ضاربها هو كما انه لو قال شي نفس سواه مميلهـا هو جاز فان فصلت الاضافة واسـقطت هامة وقدمت غـيره فقلت لن يضرب

هامة عمرو واحد غير ضاربها لم يجز لاسقاطك الهامة التى كنايتها الهاء فى قولك ضاربها ولايجوز الكناية عن غير مذكور مثل هذا فكذلك لايجوز فى البيت شئ سواه مميلها وهو يريد شئ نفس سواه مميلها لان الهاء فى قوله يميلها كناية عن النفس فلا يجوز اسقاط النفس وهذا لعمرى ان كان البحترى اراده فهو غالط غير انه والله اعلم انما اراد فتى لا يميل بالنفس منه عن العلى الى غيرها شئ بخفض شئ على ان الممدوح هو الذى لم يمل بنفسه عن العلى الى شئ غيرها ثم قال سواه مميلها على الابتداء والخبر اى لكن سواه من الناس مميلها فاضمر لكن وهذا سائغ وانشد سيبويه

على الحكم المأتى يوما اذا قضى * قضيته ان لايجور ويقصد

قال اراد ولكنه يقصد فاضمر لكن فلذلك رفع يقصد وعلى انه مستعمل كثير فاش فى الكلام ان تقول زيد لايقعد عن المكارم وعمرو يقعد عنها وانا لا اجفوك انما بكر الجافى لك فيكون الكلام مستغنيا بنفسه فلا يحتاج الى اضمار فان سلم البيت من عيب اللحن لم يسلم من عيب التعسف ولست اعرف بيتا تعسف فى نظمه غير هذا ومن ردى التجنيس وقبيحه

أمنا ان تصرع عن سماح * وللآمال فى يدك اصطراع

يقول امنا ان يغلبك غالب يصرعك عن السماح ويمنعك منه وللامال فى يدك اصطراع اى تنافس وتغالب وازدحام وقوله فى يدك لان العطاء اليها ينسب وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر فقال يصف اخلاق الممدوح

يتصرعن للرجاء دنو ال * مزن والودق خارج خلله

وهى ههنا اقل قبحا منها فى البيت الاول ولو قال يتدانين للرجاء دنو المزن كان احسن فى اللفظ واوفق من اجل التجنيس ولكن يتصرعن اوكد فى المعنى لانه يعنى يتساقطن ويتطرحن يريد الاسراع الى الرجاء من غير ترفق ولا توق للانحطاط والوقوع ليدل على الحرص والشهوة وقد جاء بهذه اللفظة فى موضع آخر واوقعها موقع الذم فقال

من يتصرع فى اثر مكرمة * فدأبه فى اتباعها دأبه

يريد من تساقط فى اثر مكرمة اذا سعى لطلبها ولم يكن له نهوض فيها فداب الممدوح دابه المعروف المشهور منه اى جده ولحاقه وحرك الداب الثانى وسكن

الاول ومعناهما واحد ويجوز ان يكون اراد فدابه فى اتباعها اى عادته فى اتباعها دابه اى سعيه وحركته وهو اجود   ومن ردى التجنيس ايضا قوله

حييت بل سقيت من معهودة   *   عهدى غدت مهجورة ما تعهد

ويروى سقيت من معمورة يخاطب الدمن اى عهدى بها معمورة معهودة ومن روى معهودة عهدى اى عهدى بها معهودة فغدت معهودة ما تعهد وقد يكون تعهد من التعهد ويكون قوله ما تعهد اى قد نسيت وهذه شبه تجنيسات ابى تمام

﴿باب فى اضطراب الاوزان﴾

ومارأيت شيئا مما عيب به ابو تمام الا وجدت فى شعر البحترى مثله الا انه فى شعر ابى تمام كثير وفى شعر البحترى قليل من ذلك اضطراب الاوزان فى شعر ابى تمام وقد جآ فى شعر البحترى بيت هو عندى اقبح من كل ما عيب به ابو تمام فى هذا الباب وهو قوله

ولما ذا تتبع النفس شيئا   *   جعل الله الفردوس منه بوآء

وكذلك وجدته فى اكثر النسخ وهذا هذا خارج عن الوزن والبيت من العروض هو البيت الاول من الخفيف سداسى فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن

* قلت وجدت على حاشية النسخة التى كتبها الشيخ عبد الكريم اعتراضا على قول المصنف وكذلك وجدته فى اكثر النسخ وهذا نص ما قاله

قوله وكذلك وجدته فى اكثر النسخ لا يلزم من وجدانه فى اكثر النسخ ان [لا] تكون لفظة الفردوس فى البيت من نظم البحترى لاحتمال انها من الكاتب الاول وقعت سهوا لان البحترى اجل من ان يجهل اوزان الشعر فلو كان الرواة رووا عنه هذا لامكن التاويل باحتمال السهو منه حال الرواية ثم قوله وجدته فى اكثر النسخ مشكل ومن اين له ان الذى وقف عليه من النسخ كان اكثر النسخ فان الاكثرية لا تعلم الا اذا علم عدد النسخ جميعها الموجودة فى ذلك الوقت وهو امر متعذر وان اراد بالنسخ النسخ التى وصلت اليه وان اكثرها كان هكذا والاقل منها مستقيم فالاعتراض حينئذ لا محل له لظهور ان الغلط من الكاتب الاول لبعض النسخ * وتقطيعه

ولما ذا * تتبعن * نفس شيئا   *   جعلل لاهل * فردوس من * هبوآء

فعلاتن * مفاعلن * فاعلاتن * فعلاتن * مستفعلن * فعلاتن

فحذف الف فاعلاتن الاولى والثانية والاخيرة فصارت فعلاتن وسين مستفعلن الاولى فصارت مفاعلن وذلك كله زحاف جائز وزاد فى البيت سببا وهو حرفان الهاء من اسم الله عز وجل واللام من لفظ الفردوس وهو اكفآ ولا اعرف مثل هذا البيت وقد رايت فى بعض النسخ جعل الخلد منه بوآء فان يكن هكذا قال فقد تخلص من العيب ويكون تقطيع البيت جعلالا هل خلد من هبوآء

وقال البحترى

حلأتنا عن حاجة ممنوع * مبتغاها وحاجة ممطوله

وهذا من العروض هو البيت الاول من الخفيف وتقطيعه

حلاتنا عن حاجتن ممنوعن * مبتغاها وحاجتن ممطوله

فاعلاتن * مستفعلن * مفعولن * فاعلاتن * مفاعلن * مفعولن

وكان يجب ان تكون عروض البيت وهى مفعولن الاولى فاعلاتن ولا يجوز فيها مفعولن بل لو كان البيت مصرعا لجاز فى عروضه مفعولن كما جاز فى ضربه وهى القافية وذلك قوله ممطوله واما جعله مفاعلن فى موضع مستفعلن الثانية فى البيت فذلك جائز من الزحاف وقد غير قوم هذه اللفظة فى البيت وهى ممنوع فقالوا بمنوع مبتغاها اى حلاتنا عن حاجة منع مبتغاها من عائق ووال عليها ويكون مبتغاها فى موضع نصب بمنوع وهو محتمل

قال ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى وانا اذكر باذن الله الآن فى هذا الجزء المعانى التى يتفق فيها الطائيان فاوازن بين معنى ومعنى واقول ايهما اشعر فى ذلك المعنى بعينه فلا تطلبنى ان اتعدى هذا الى ان افصح لك بايهما اشعر عندى على الاطلاق فانى غير فاعل ذلك لانك ان قلدتنى لم تحصل لك الفائدة بالتقليد وان طالبت بالعلل والاسباب التى اوجبت التفضيل فقد اخبرتك فيما تقدم بما احاط به علمى من نعت مذهبيهما وذكر مطلوبيهما فى سرقة معانى الناس وانتحالهما وغلطهما فى المعانى والالفاظ واساءة من اساء منهما فى الطباق والتجنيس والاستعارة وردآة النظم واضطراب الوزن وغير ذلك مما اوضحته فى مواضعه وبينته وما سيعود ذكره فى الموازنة من هذه الانواع على مايقوده القول وتقتضيه الحجة وما ستراه من محاسنهما وبدائعهما وعجيب اختراعهما فانى اوقع

الكلام على جميع ذلك وعلى سائر اغراضهما ومعانيهما فى الاشعار التى ارتبها فى الابواب وانبه على الجيد وافضله على الردى وابين الردى وارذله واذكر من علل الجميع ما ينتهى اليه التخليص وتحيط به العناية ويبقى مالم يمكن اخراجه الى البيان ولا اظهاره الى الاحتجاج وهى علة ما لايعرف الا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة وبهذا يفضل اهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته بعد ان يكون هنالك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج والا لايتم ذلك وأكلك بعد ذلك الى اختيارك وما تقضى عليه فطنتك وتمييزك فينبغى ان تتم النظر فيما يرد عليك ولن ينتفع بالنظر الا من يحسن ان يتامل ومن اذا تامل علم ومن اذا علم انصف ثم ان العلم بالشعر انخص بان يدعيه كل احد وان يتعاطاه من ليس من اهله فلم لايدعى احد هولاء المعرفة بالعين والورق والخيل والسلاح والرقيق والبز والطيب وانواعه ولعله قد لابس من امر الخيل وركوبها والسلاح والعلم بذلك والرقيق واقتنائه والثياب ولبسها والطيب واستعماله اكثر مما عاناه من امر الشعر وروايته فلا يتهم نفسه فى المعرفة بالشعر تهمته اياها بالمعرفة ببعض هذه الاشياء مما عاناه وتناوله وما باله وقد ركب الخيل كثيرا لما راقه من الفرس ملاحة سبيبه واستدارة كفله وبريق شعره وحسن اشرافه وعنقه وموضع نتاجه وصحة قوائمه وسلامة اعضائه وبرائه من العيوب الظاهرة والباطنة وكذلك السيف لما بهره جلاؤه وصقاله وصفاء حديده لم يمض فيه اختياره على غيره من السيوف حتى شاور من يعرف حسنه وطبعه وجوهره وفرنده ومضاءه وكذلك لما اعجبه من ثوب الوشى حسن طرزه ود[illegible] صوره وبديع نقوشه واختلاط الوانه لم يبادر الى اعطاء ثمنه حتى رجع الى اهل العلم بجوهره وكثرة مائه وجودة رقعته وصحة نساجته وخلاص ابريسمه فكيف لم يفعل ذلك بالشعر لما راقه حسن وزنه وقوافيه ودقيق معانيه ومايشتمل عليه من مواعظ وادب وحكم وامثال فلم يتوقف عن الحكم له على ماسواه حتى يرجع الى من هو اعلم منه بالفاظه واستواء نظمه وصحة سبكه ووضع الكلام منه فى مواضعه وكثرة مائه ورونقه اذ كان الشعر لايحكم له بالجودة الا بان تجتمع هذه الخلال فيه الا ترى انه قد يكون فرسان سليمان من كل عيب موجود فيهما سائر علامات العتق والجودة والنجابة ويكون احدهما افضل من الآخر بفرق لا يعلمه الا اهل

الخبرة والدربة الطويلة وكذلك الجاريتان البارعتان فى الجمال المتقاربتان
فى الوصف السليمتان من كل عيب قد يفرق بينهما العالم بامر الرقيق حتى يجعل
فى الثمن بينهما فضلا كبيرا فاذا قيل له وللنخاس من اين فضلت انت هذه الجارية
على اختها ومن اين فضلت انت هذا الفرس على صاحبه لم يقدر على عبارة توضح
الفرق بينهما وانما يعرفه كل واحد منهما بطبعه وكثرة دربته وطول ملابسته
فكذلك الشعر قد يتقارب البيتان الجيدان النادران فيعلم اهل العلم بصناعة
الشعر ايهما اجود ان كان معناهما واحدا اوايهما اجود فى معناه ان كان معناهما
مختلفا وقد ذكر هذا المعنى بعينه محمد بن سلام الجمحى وابوعلى دعبل بن على
الخزاعى فى كتابيهما وحكى اسحاق الموصلى قال قال لى المعتصم اخبرنى عن معرفة
النغم وبينها لى فقلت ان من الاشياء اشياء تحيط بها المعرفة ولاتوديها الصفة
قال وسالنى محمد الامين عن شعرين متقاربين وقال اختر احدهما فاخترت فقال
من اين فضلت هذا على هذا وهما متقاربان فقلت لوتفاوتا لامكننى التبيين
ولكنهما تقاربا وفضله هذا بشى تشهد به الطبيعة ولا يعبرعنه اللسان وقد قيل
لخلف الاحمر انك لا تزال ترد الشئ من الشعر وتقول هو ردى والناس يستحسنونه
فقال اذا قال لك الصيرفى ان هذا الدرهم زائف فاجهد جهدك ان تنفقه
فلاينفعك قول غيره انه جيد فمن سبيل من عرف بكثرة النظر فى الشعر والارتياض فيه
وطول الملابسة له ان يقضى له بالعلم بالشعر والمعرفة باغراضه وان يسلم له الحكم فيه
ويقبل منه ما يقوله ويعمل على تمثاله ولاينازع فى شى من ذلك اذكان من الواجب
ان يسلم لاهل صناعة صناعتهم ولا يخاصمهم فيها ولا ينازعهم الا من كان
مثلهم نظرا فى الخبرة وطول الدربة والملابسة فانه ليس فى وسع كل احد ان يجعلك
ايها السائل المعنت والمسترشد المتعلم فى العلم بصناعته كنفسه ولايجد الى قذف
ذلك فى نفسك ولا فى نفس ولده ومن هو اخص الناس به سبيلا ولا ان ياتيك بعلة
قاطعة ولاحجة باهرة وان كان ما اعترضت فيه اعتراضا صحيحا وما سألت عنه
سؤالا مستقيما لان ما لا يدرك الا على طول الزمان ومرور الايام لا يجوز ان تحيط به
فى ساعة من نهار * ثم ان العلم الذى لا يعلم به فى اكثر احواله الا بالروية والمشاهدة
لا يعرف حق المعرفة بالقول والصفة وقد قيل ليس الخبر كالمعاينة وعلة ذلك بينة
واضحة ومعلوم ظاهر هى انه لا يمكن ان يشاهدبك جميع المعلومات التى احتواها

وعلم عليه بملابستها فى السنين الطويلة فمن المحال ان يقدر ان يصف لك عشرة الاف جارية اوعشرة الاف سيف مختلفات الاجناس والجواهر فيجعلك مشاهدا لذلك كله فى لحظة واحدة ووقت واحد ومخبرا لك بكل علة وكل حجة وكل نعت وصفة فى كل نوع من ذلك وكل جنس فى تلك الساعة وهو انما علم ذلك على مرور الايام وطول الزمان وهذا مجال لا يمكن ولايسوغ ولا يقدر عليه الا خالق الخلق وبارئ البشر وبعد فلم لا تصدق نفسك ايها المدعى وتعرفنا من اين طرأ لك الشعر امن اجل ان عندك خزانة كتب فتشتمل على عدة من دواوين الشعرآء وانت ربما قلبت ذلك اوصحفته او حفظت القصيدة والخمسين منه فان كان ذلك هو الذى قوى ظنك ومكن ثقتك بمعرفتك فلم لا تدعى المعرفة بثياب بدنك ورحل بيتك ونفقاتك فانك دأبا تستعمل ذلك وتستمتع به ولاتخلو من ملابسته كما تخلو فى كثير من الاوقات من ملابسة الشعر ودراسته وانشاده حتى اذا رمت تصريف دينار بدراهم او تصريف دراهم بدينار او ابتياع ثوب او شى من الآلة لم تثق بفهمك ولاعلمك حتى ترجع الى من يعرف ذلك دونك فتستعين به على حاجتك ولم لما خفت الغبينة فى مالك فاذعنت وسلمت واقررت بقلة المعرفة ولم تخش الغبينة والوكس فى عقلك فتسلم العلم بالشعر الى اهله فان الضرر فى غبن العقل اعظم من الضرر فى غبن المال فان قلت وما العلم بالخيل والبز والرقيق والذهب والفضة التى لم يطبع الانسان على المعرفة بها والعلم بجيدها ورديئها كما طبع على الكلام فكان كل احد متكلما وليس كل احد صيرفيا ولا بزازا ولانخاسا قيل ولا كل احد يكون شاعرا ولاخطيبا ولا منطيقا بليغا ولابارعا ولوكان ذلك كذلك لما رايت احدا يتكلم فيضحك منه فالانسان المتكلم يعلم معانى الفاظ لغته ولايعلم جيدها من رديئها ومتخيرها من مرذولها كما انه يعلم ايضا انواع الثياب والجواهر والخيل والرقيق ويميز بين اجناسها ولا يعلم جيد كل جنس من رديئه وارفعه من دونه فكما ان المعرفة بكل جنس من هذه صناعة فكذلك المعرفة بكل جنس من اجناس الكلام والخطابة صناعة فاذا رجعت فى المعرفة بتلك الى اهلها فارجع ايضا بهذه الى اهلها وبعد فانى ادلك على ما تنتهى اليه البصيرة والعلم بامر نفسك فى معرفتك بامر هذه الصناعة او الجهل بها وهو ان تنظر ما اجمع عليه الائمة فى علم الشعر من تفضيل بعض الشعرآ على بعض فان عرفت علة ذلك

فقد علمت وان لم تعرفها فقد جهلت وذلك بان تتامل شعراوس بن حجر والنابغة الجعدى فتنظر من اين فضلوا اوسا وتنظر فى شعر كثير بن بشر بن ابى حازم وتميم بن ابى مقبل فتنظر من اين فضلوا كثيرا واخبرنى بعض الشيوخ عن ابى العباس ثعلب عن ابى الاعرابى عن المفضل ان سائلا ساله عن الراعى وذى الرمة ايهما اشعر فصاح عليه صيحة منكرة اى لايقاس ذو الرمة بالراعى وكذلك غير المفضل لا يقيسه به ولا يقارب بينهما فتامل ايضا شعرى هذين فانظر من اين وقع التفضيل فهذا الباب اقرب الاشياء لك الى ان تعلم حالك فى العلم بالشعر ونقده فان علمت من ذلك ما علموه ولاح لك الطريق التى بها قدموا من قدموه واخروا من اخروه فثق حينئذ بنفسك واحكم يستمع حكمك وان لم ينته بك التامل الى علم ذلك فاعلم انك بمعزل عن الصناعة ثم ان كنت شاعرا فلا تظهر شعرك واكتمه كما تكتم سرك فان قلت انك قد انتهى بك التامل الى علم ما علموه لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والاسباب فان لم تقدر على تلخيص العبارة عن ذلك حتى تعلم شواهد ذلك من فهمك ودليله من اختياراتك وتمييزك بين الجيد والردى ثم انى اقول بعد ذلك لعلك اكرمك الله اغتررت بان شارفت شيا من تقسيمات المنطق وجملا من الكلام والجدال او علمت ابوابا من الحلال والحرام او حفظت صدرا من اللغة او اطلعت على بعض مقاييس العربية وانك لما اخذت بطرف نوع من هذه الانواع بمعاناة ومزاولة ومتصل عناية فتوحدت فيه وميزت ظننت ان كل ما لم تلابسه من العلوم ولم تزاوله يجرى ذلك المجرى وانك متى تعرضت له وامررت قريحتك عليه نفذت فيه وكشفت عن معانيه هيهات لقد ظننت باطلا ورمت عسيرا لان العلم اى نوع كان لا يدركه طالبه الا بالانقطاع اليه والاكباب عليه والجد فيه والحرص على معرفة اسراره وغوامضه ثم قد يتاتى جنس من العلوم لطالبه ويسهل ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر لان كل امرء انما يتيسر له ما فى طبعه قبوله وما فى طاقته تعلمه فينبغى اصلحك الله ان تقف حيث وقف بك وتقنع بما قسم لك ولا تتعدى الى ما ليس من شانك ولا من صناعتك (باب من فضل اباتمام)

وجدت اهل البصرة من اصحاب البحترى ومن يقدم مطبوع الشعر دون متكلفه لا يدفعون اباتمام عن لطيف المعانى ودقيقها والابداع والاغراب فيها والاستنباط لها ويقولون انه وان اختل فى بعض مايورده فان الذى يوجد فيها من النادر

المستحسن اكثر مما يوجد من السخيف المسترذل وان اهتمامه بمعانيه اكثر من اهتمامه بتقويم الفاظه على كثرة غرامه بالطباق والتجنيس والمماثلة وانه اذا لاح له اخرجه باى لفظ استوى من ضعيف اوقوى وهذا من اعدل كلام سمعته فيه واذا كان هذا هكذا فقد سلموا له الشئ الذى هو ضالة الشعرآء وطلبتهم وهو لطيف المعانى وبهذه الخلة دون ماسواها فضل امرء القيس لان الذى فى شعره من دقيق المعانى وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحكمة فوق ما استعار سائر الشعرآ من الجاهلية والاسلام حتى انه لاتكاد تخلو له قصيدة واحدة من ان تشتمل من ذلك على نوع وانواع ولولا لطيف المعانى واجتهاد امرء القيس فيها واقباله عليها لما تقدم على غيره ولكان كسائر شعرآء اهل زمانه اذ ليست له فصاحة توصف بالزيادة على فصاحتهم ولا لالفاظه من الجزالة والقوة ما ليس لالفاظهم الا ترى ان العلماء بالشعر انما احتجوا فى تقديمه بان قالوا هو اول من شبه الخيل بالعصى وذكر الوحش والطير واول من قال قيد الاوابد واول من قال كذا وقال كذا فهل هذا التقديم له الا لاجل معانيه وقالوا واذا كان قد اضطرب لفظ ابى تمام واختل فى بعض المواضع فهل خلا من ذلك شاعر قديم او محدث هذا الاعشى يحيل لفظه كثيرا ويسفسف دائما ويرق ويضعف ولم يجهلوا حقه وفضله حتى جعلوه نظير النابغة والفاظ النابغة فى الغاية من البراعة والحسن عديلا لزهير الذى صرف اهتمامه كله الى تهذيب الفاظه وتقويمها والحقوه بامرء القيس الذى جمع الفضيلتين فجعلوهم طبقة وصار فضل كل واحد من غير الوجه الذى فضل منه صاحبه ولو ان اباتمام حبي يخلو من كل فضل جيد البتة او لو انه قال بالفارسية او الهندية

واذا اراد الله نشر فضيلة * طويت اتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت * ما كان يعرف فضل عرف العود

اوقال

هي البدر يغنيها تودد وجهها * الى كل من لاقت وان لم تودد

او ما اشبه هذا من بدائعه حتى يفسره لنا مفسر بكلام عربى منثور اما كان هذا يكون شاعرا محسنا باعثا شعرآ زمانه من اهل اللغة العربية على طلب شعره وتفسيره واستعارة معانيه فكيف وبدائعه مشهورة ومحاسنه متداولة ولم يات الا بابلغ لفظ

واحسن سبك (باب فى فضل البحترى) ووجدت اكثر اصحاب ابى تمام لا يدفعون البحترى عن حلو اللفظ وجودة الوصف وحسن الديباجة وكثرة الماء فانه اقرب ماخذا واسلم طريقا من ابى تمام ويحكمون مع هذا بان ابا تمام اشعر منه وقد شاهدت وخاطبت منهم على ذلك عددا كثيرا وهذا رجل ماير اعيه من امر الشعر دقيق المعانى ودقيق المعانى موجود فى كلامه وكل لغة وليس الشعر عند اهل العلم به الا حسن التاتى وقرب الماخذ واختيار الكلام ووضع الالفاظ فى مواضعها وان يورد المعنى باللفظ المعتاد فيه المستعمل فى مثله وان تكون الاستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له وغير منافرة لمعناه فان الكلام لا يكتسى البهاء والرونق الا اذا كان بهذا الوصف وتلك طريقة البحترى قالوا وهذا اصل يحتاج اليه الشاعر والخطيب صاحب النثر لان الشعر اجوده ابلغه والبلاغة انما هى اصابة المعنى وادراك الغرض بالفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف لاتبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ولاتنقص نقصانا يقف دون الغاية وذلك كما قال البحترى *

والشعر لمح تكفى اشارته * وليس بالهذر طولت خطبه

وكما قال ايضا

ومعان لو فصلتها القوافى * هجنت شعر جرول ولبيد
حزن مستعمل الكلام اختيارا * وتجنبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظ الغريب فادركن به غاية المرام البعيد

فان اتفق مع هذا معنى لطيف او حكمة غريبة او ادب حسن فذلك زائد فى بهاء الكلام وان لم يتفق فقد قام الكلام بنفسه واستغنى عما سواه قالوا واذا كانت طريقة الشاعر غير هذه الطريقة وكانت عبارته مقصرة عنها ولسانه غير مدرك لما يعتمد دقيق المعانى من فلسفة يونان او حكمة الهند او ادب الفرس ويكون اكثر ما يورده منها بالفاظ متعسفة ونسج مضطرب وان اتفق فى تضاعيف ذلك شئ من صحيح الوصف وسليمه قلنا له قد جئت بحكمة وفلسفة ومعان لطيفة حسنة فان شئت دعوناك حكيما اوسميناك فيلسوفا ولكن لا نسميك شاعرا ولاندعوك بليغا لان طريقتك ليست على طريقة العرب ولا على مذاهبهم فان سميناك بذلك لم نلحقك بدرجة البلغاء ولا المحسنين الفصحاء وينبغى ان تعلم ان سوء التاليف وردى اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى يحتاج مستمعه الى تأمل وهذا

مذهب ابى تمام فى عظم شعره وحسن التاليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهآء وحسنا ورونقا حتى كأنه قد احدث فيه غرابة لم تكن وزيادة لم تعهد وذلك مذهب البحترى ولذلك قال الناس لشعره ديباجة ولم يقولوا ذلك فى شعر ابى تمام واذا جآء لطيف المعانى فى غير غرابة ولاسبك جيد ولا لفظ حسن كان ذلك مثل الطراز الجيد على الثوب الخلق او نفث العبير على خد الجارية القبيحة الوجه * وانا اجمع لك معانى هذا الباب فى كلمات سمعتها من شيوخ اهل العلم بالشعر زعموا ان صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم الا بأربعة اشيآء جودة الآلة واصابة الغرض المقصود وصحة التاليف والانتهآء الى نهاية الصنعة من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهذه الخلال الاربع ليست فى الصناعات وحدها بل هى موجودة فى جميع الحيوان والنبات * ذكرت الاوائل ان كل محدث مصنوع محتاج الى اربعة اشيآء علة هيولانية وهى الاصل وعلة صورية وعلة فاعلة وعلة تمامية فاما الهيولى فانهم يعنون الطينة التى يبتدعها البارى تبارك وتعالى ويخترعها ليصور ماشآء تصويره من رجل او فرس او جمل او غيرها من الحيوان او برة او كرمة او نخلة اوسدرة او غيرها من سائر انواع النبات والعلة الفاعلة هى تأليف البارى جل جلاله لتلك الصورة والعلة التمامية هو ان يتمها تعالى ذكره ويفرغ من تصويرها من غير انتقاص منها وكذلك الصانع المخلوق فى مصنوعاته التى علمه الله عز وجل اياها لا تستقيم له وتجود الا بهذه الاربعة وهى آلة يستجيدها ويتخيرها مثل خشب النجار وفضة الصائغ وآجر البنآء والفاظ الشاعر والخطيب وهذه هى العلة الهيولانية التى قدموا ذكرها وجعلوها الاصل ثم اصابة الغرض فيها بقصد الصانع صنعته وهى العلة الصورية التى ذكرتها ثم صحة التاليف حتى لايقع فيه خلل ولا اضطراب وهى العلة الفاعلة ثم ان ينتهى الصانع الى تمام صنعته من غير نقص منها ولا زيادة عليها وهى العلة التمامية فهذا قول جامع لكل الصناعات المخلوقات فان اتفق الان لكل صانع بعد هذه الدعائم الاربع ان يحدث فى صنعته معنى لطيفا مستغربا كما قلنا فى الشعر من حيث لا يخرج عن الغرض فذلك زائد فى حسن صنعته وجودتها والا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها* وقد ذكر برزجمهر فضائل الكلام ورذائله وبعض ذلك دليل فى الشعر فقال ان فضائل الكلام خمس ان نقص منها فضيلة واحدة سقط فضل سائرها وهى ان

يكون الكلام صدقاً وان يوقع موقع الانتفاع به وان يتكلم به فى حينه وان يحسن تاليفه وان يستعمل منه مقدار الحاجة قال ورذائله بالضد فانه ان كان صدقاً ولم يوقع موقع الانتفاع به بطل فضل الصدق منه وان كان صدقاً واوقع موقع الانتفاع به وتكلم فى حينه ولم يحسن تاليفه لم يستقر فى قلب مستمعه وبطل فضل الخلال الثلاث منه وان كان صدقاً ووقع موقع الانتفاع به وتكلم به فى حينه واحسن تاليفه ثم استعمل منه فوق الحاجة خرج الى الهذر او نقص عن التمام صار مبتورا وسقط منه فضل الخلال كلها وهذا انما اراد به بر زجمهر الكلام المنثور الذى يخاطب به الملوك ويقدمه المتكلم امام حاجته والشاعر لايطالب بان يكون قوله صدقاً ولا ان يوقعه موقع الانتفاع به لانه قد يقصد الى انه يوقعه موقع الضرر ولا ان يجعل له وقتا دون وقت وبقيت الخلتان الاخريان واجبتان فى شعر كل شاعر ان يحسن تاليفه ولا يزيد فيه شيئاً على قدر حاجته فصحة التاليف فى الشعر وفى كل صناعة هى اقوى دعآئمه بعد صحة المعنى وكلما كان اصح تاليفاً كان اقوم بتلك الصناعة ممن اضطرب تاليفه والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم ﴾

وقد انتهيت الان الى الموازنة وكان الاحسن ان اوازن بين البيتين او القطعتين اذا اتفقتا فى الوزن والقافية واعراب القافية ولكن هذا لايكاد يتفق مع اتفاق المعانى التى اليها المقصد وهى المرمى والغرض وبالله استعين على مجاهدة النفس ومخالفة الهوى وترك التحامل فانه جل اسمه حسبى ونعم الوكيل وانا ابتدئ باذن الله من ذلك بما افتتحا به القول من ذكر الوقوف على الديار والآثار ووصف الدمن والاطلال والسلام عليها وتعفية الدهور والازمان والرياح والامطار اياها والدعآ بالسقيا لها والبكا فيها وذكر استعجامها عن جواب سائلها وما يخلف قطينها الذين كانوا حلولا بها من الوحش وفى تعنيف الصحابة ولومهم على الوقوف بها ونحو هذا مما يتصل به من اوصافها ونعوتها واقدم من ذلك ابتداآت قصائدهم فى هذا المعانى ان شاء الله تعالى

الابتداآت بذكر الوقوف على الديار قال ابو تمام

ما فى وقوفك ساعة من باس * تقضى حقوق الاربع الادراس
وهذا ابتداء جيد صالح وقوله الادراس جمع دارس وقليل مايجمع فاعل على افعال
ومثله شاهد واشهاد وماجد وامجاد وصاحب واصحاب
وقال ايضا

قفوا جددوا من عهدكم بالمعاهد * وان هى لم تسمع لنشدان ناشد
اراد لنشدان الناشد الذى يقول اين اهلك يادار كما ينشد الناشد الضالة
اذا طلبها وقال ايضا

قف بالطلول الدارسات علاثا * اضحت حبال قطينهن رثاثا
علاثة اسم صاحبه اراد قف ياعلاثه وهذان ابتداآن صالحان
وقال ايضا

قف نؤبن كناس هذا الغزال * ان فيها لمسرحا للمقال
التابين مدح الهالك والكناس هنا الربع وانما يريد الخيمة او البيت من بيوتهم
سماه كناسا لانه جعل المرأة غزالا اى قف بنا نند به فان المقال يتسع فيه
وهذا ايضا بيت جيد ومعنى حسن مستقيم وقال

ليس الوقوف بكف شوقك فانزل * وابلل غليلك بالمدامع يبلل
وهذا معنى ظريف وقد جاء مثله فى الشعر قال الاصم الباهلى واسمه عبد الله
ابن الحجاج ولا اعرف غيره واظن ابا تمام عثر به واحتذى عليه لانه كان مولعا
بغرائب الالفاظ والمعانى

اتنزل اليوم بالاطلال ام تقف * لا بل قف العيس حتى يمضى السلف
السلف المتقدمون وانما قال ذلك لان الوقوف على الديار انما هو وقوف المطى
ولايكادون يذكرون نزولا وانشد منشد قول كثير وكثير يسمع

وقضين ماقضين ثم تركنني * بفيفا جريما قاعدا اتلدد
فقال كثير انا ما قلت كذا اترانى قاعدا اصنع ماذا قيل فجالسا قال ولا هذا اجالسا
كنت ابول قيل فما قلت قال واقفا يريد واقفا على مطيته فهذا هو المعروف
من عاداتهم وقد قال كثير

خليلى هذا ربع عزة فاعقلا * قلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت
والقلوص لا يعقلها راكبها الا اذا نزل عنها والعقل فوق الركبة

وقال البحترى

ما على الركب من وقوف الركاب * فى مغانى الصبا ورسم التصابى

التصابى التفاعل من صبا يصبو اذا اشتاق واذا فعل فعل الصبا

وقال ايضا

ذاك وادى الاراك فاحبس قليلا * مقصرا عن ملامتى او مطيلا

وهذان ابتدآان فى غاية الجودة وقال

قف العيس قد ادنى خطاها كلالها * وسل دار سعدى ان شفاك سوالها

وهذا لفظ حسن ومعنى ليس بالجيد لانه قال ادنى خطاها كلالها اى قارب من خطوها الكلال وهذا كانه لم يقف لسوال الديار التى تعرض لان يشفيه وانما وقف لاعياء المطى والجيد قوله عنترة

فوقفت فيها ناقتى وكانها * فدن لاقضى حاجة المتلوم

فانه لما اراد ذكر الوقوف احتاط بان شبه ناقته بالفدن وهو القصر ليعلم انه لم يقفها ليريحها وقد كشف ذو الرمة هذا المعنى واحسن فيه واجاد فقال

انخت بها الوجناء لا من سآمة * لثنتين بين اثنين جاء وذاهب

يقول انختها لان اصلى لا من سآمة هكذا فسروه وقوله لثنتين يعنى اللتين يقصرهما المسافر بين اثنين جا يريد الليل وذاهب يريد النهار فان قيل انما قال ادنى خطاها كلالها ليعلم انه قصد الدار من شقة بعيدة قيل العرب لاتقصد الديار للوقوف عليها وانما تجتاز بها فان كانت على سنن الطريق قال الذى له ارب فى الوقوف لصاحبه او اصحابه قف وقفا وقفوا وان لم تكن على سنن الطريق قال عوجا وعرجا وعوجوا وعرجوا كما قال امرء القيس

عوجا على الطلل المحيل لعلنا * نبكى الديار كما بكى ابن حذام

واذا عرجوا كان التعريج اشق على الركب والركاب لان لها فى الوقوف حيث انتهت راحة والتعريج فيه زيادة فى تعبها وكلالها وان قلت المسافة كما قال ابو تمام

وما بك اركابى ممن الرشد مركبا * الا انما حاولت رشد الركائب

لان هذا القول منه دل على التعريج والتردد فى الرسوم وان اصحابه ارادوا ان يستمر فى السير ولا يترفق فى الوقوف فيعود عليها ذلك بضرر وان اكسبها راحة ما فى

الوقوف فقال له ابو تمام انما حاولت رشد الركائب لا رشدى فاما الاصمعى فانه يرى التعريج ايضا وقوف لاعدول قال ابو حاتم قلت له ما معنى عرج قال وقف فقلت فقال عرج اذا عدل فقال لا وانشد بيت ذى الرمة

يا حادیی بنت فضاض اما لكما * حتى نكلمها هم بتعريج

اى هم بوقوف وهذا لا يمنع ان يكون هم بعدول ونفس الاشتقاق يدل على العدول والله اعلم وقال كثير يصف السيل

فطورا يسيل على قصده * وطورا يعرج الا يسيلا

فلو كان هناك قصدا الى الدار من جماعتهم ومنهم وحده لما لاموه ولا عنفوه على احتباسه واطالته ولا استعجلوه وهو دائبا يسألهم التلوم عليه والتوقف معه هذه طريقة القوم فى الوقوف على الديار ولهم فيها من الاشعار ما هو اشهر واكثر من ان احتاج الى ذكره وتلك سبيل سائر المحدثين وطريقة الضائين ما عدلا عنها ولا خرجا الى غيرها الا ترى الى قول ابى تمام

ما فى وقوفك ساعة من باس * نقضى ذمام الاربع الادراس (تقدم برواية تقضى حقوق)

كيف سأل صاحبه ان يقف ساعة ثم قال بعد بيت آخر

لا يسعد المشتاق وسنان الهوى * يبس المدامع بارد الانفاس

وقوله

لا تمنعنى وقفة اشفى بها * داء الفراق فانها ما عون

وقال البحترى

يا وهب هب لاخيك وقفة مسعد * يعطى الاسى من دمعه المبذول

وقال ايضا

خلياه ووقفة فى الرسوم * يخل من بعض بثه المكتوم

ثم انا ما علمنا احدا قصد دارا عفت من شقة بعيدة واحدا كان او فى جماعة التسليم عليها والمسألة لها ثم انصرفوا راجعين من حيث جاؤا وان هذا ما سمع به ولا هو من اغراضها وليس فيه جدوى ولايودى الى فائدة لان المحبوب ان كان حيا موجودا فقصد رباعه ومواطنه التى هو قاطنها والالمام به فيها اولى واحرى وان كان ميتا فالالمام بناحية الارض التى فيها حفرته اولى واحرى وعلى انهم لايكادون يزورون القبور وانما وقفوا على الديار وعرجوا عليها عند الاجتياز بها

والاقتراب منها لانهم تذكروا عند مشارفتها اوطارهم فيها فنازعتهم نفوسهم
الى الوقوف عليها والتلوم بها وراوا ان ذلك من كرم العهد وحسن الوفاء
الا ترى الى قول ابى تمام

امواطن الفتيان نطوى لم تزر * شوقا ولم نندب لهن صعيدا

ويروى لم نزر شعفا اى هذه كيف نطوى الرسوم والدمن التى هى مواقف اهل
الفتوة يريد الكرام ولم نزر حزنا لها ولاسهلا لانه اراد بالشعف ما ارتفع من الارض
وعلا واراد بالصعيد ما اطمان من الارض وسفل والصعيد انما هو وجه الارض
الذى فيه التراب واكثر مايكون فيما اطمأن من الارض لا فيما علا فكانوا
يرون الوقوف على الديار من الفتوة والمروة وان طيها عند الاجتياز بها من النذالة
وقبيح الرعاية وسو العهد وما احسن ما قال ابو نواس

واذا مررت على الديار مسلما * فلغير دار امية الهجران

على طريقة القوم وقال البحترى يخاطب نفسه او صاحبا معه

قف العيس قد ادنى خطاها كلالها * وسل دار سعدى ان شفاك سؤالها

فمن زعم ان البحترى بهذا القول كان قاصدا للدار وغير مجتاز احتاج الى دليل من
لفظ البيت يدل عليه ولاسبيل له الى ذلك فان قيل لم لايكون للمطية حق على من
بلغته منازل الاحباب يوجب ان يكرمها و يريحها كما قال ابو نواس

واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الحصى * فلها علينا حرمة و ذمام

قيل هذا اصل آخر طريقه غير طريق الوقوف على الديار ولايقاس اصل على اصل
وانما يقاس على الاصل فروعه التى تتفرع منه وهذا الشرط فى كل علم وقال
ابو نواس فى موضع آخر يخاطب ناقته ايضا

فلم اجعلك للغربان نحلا * ولم اقل اشرقى بدم الوتين

يريد قول الشماخ والشماخ انما قال

اذا بلغتنى وحملت رحلى * عرابة فاشرقى بدم الوتين

لانه راى ناقته قد شفها السير وهزلها وانضاها حتى دبرت وذلك قوله

اليك بعثت راحلتى تشكى * كلوما بعد محفدها السمين

فيقول اذا بلغتنى عرابة فلا ابالى ان تهلكى وهذا ليس بدعاء عليها وانما اراد انك

اذا بلغتنيه فقد بلغت الغنى وادركت الغرض منك فهذا معنى وقول ابي نواس معنى آخر وليس بضد لقول الشماخ وانما يضاده قول المراة التى قالت يارسول الله نذرت ان بلغتني ناقتي هذه اليك ان انحرها فقال رسول الله صلى عليه وسلم لبئس ما جزيتها لان هذه قصدت ان جعلت جزآء التبليغ النحر فهذان المعنيان يتضادان وقول الشماخ خارج عنها فانه اصل ثالث والوجه الذى جآ به البحترى فى الوقوف على الديار وتحرز منه عنترة وذو الرمة وجهه غير هذه الوجوه وطريقه غير هذه الطرق ولم اقل انه خطأ وانما قلت ان المعنى غير جيد فان التمست العذر للبحترى قلنا انه وصف حقيقة امر العيس عند الوصول الى الدار وهذا مذهب من مذاهب العرب عام فى ان يصفوا الشئ على ماهو وعلى ما شوهد من غير اعتماد لاغراب ولا ابداع وانما وقع فيه مثل هذا الخلل لقلة التجوز وسترى للبحترى وغيره فى هذا الكتاب من هذا النوع فى مواضعه ما هو اجود من كل جيد ان شا الله وقال البحترى

عرج بذى سلم فثم المنزل * فيقول صب ما اراد ويفعل

وهذا ابتدآ جيد وقد رواه قوم ليقول صب ما اراد ويفعل والنصب اجود والرفع له وجه والمتاخرون لا يسلمون من اللحن وهو فى اشعارهم كثير جدا وقال

كم من وقوف على الاطلال والدمن * لم يشف من برحآ الشوق ذا شجن

وهذا ايضا ابتدآ جيد وقال ايضا

استوقف الركب فى اطلالهم وقفا * وان اجد بلى ماثورها وعفا

يقال اجد فى امره من الانكماش وجد وهذا ابتدآ صالح

قفا فى مغانى الدار نسال طلولها * عن النفر اللائين كانوا حلولها

وهذا الابتدآ ليس بالجيد من اجل قوله اللائين لانها لفظة ليست بالحلوة وليست مشهورة فهذا ما ابتدأ ا به من ذكر الوقوف واجعلهما فيه متكافئين من اجل براعة بيتي البحترى الاولين وانهما اجود من سائر ابيات ابى تمام ولان البحترى فى الباب القصير الذى ذكرته له وليس لابى تمام مثله

﴿ التسليم على الديار قال ابو تمام ﴾

دمن الم بها فقال سلام * كم حل عقدة صبره الالمام

هذا المصراع الاول فى غاية الجودة والبراعة والحسن والحلاوة وعجز البيت ايضا

بالغ وقال

سلم على الربع من سلمى بذى سلم * عليه وسم من الايام والقدم

وهذا ابتدآ ليس بالجيد لانه جا بالتجنيس فى ثلاثة الفاظ وانما يحسن اذا كان بلفظين وقد جآء مثله فى اشعار الناس والردى لا يؤتم به وقال الابيرد بن المعذل الرياحى

جزعت ولم تجزع من البين مجزعا * وكنت بذكر الجعفرية مولعا

وقد جعل بعض الرواة هذا البيت اول قصيدة لامرء القيس على هذا الوزن وذلك باطل ومايبنغى للمتاخر ان يحتذى الاخذ الا للجيد المختار لسعة مجاله وكثرة امثلته وقال البحترى

هذى المعاهد من سليم فسلم * واسأل وان وجمت ولم تتكلم

وقال ايضا

أمحلتى سلمى بكاظمة اسلما * وتعلما ان الهوى ما هجتما

وهذان ابتدآان جيدان وقال ايضا

حبيتما من مربع ومصيف * كانا محلى زينب وصدوف

وهذا ابتدآ صالح وقال ايضا

ميلوا الى الدار من ليلى نحييها * نعم ونسالها عن بعض اهليها

وهذا البيت ردى لقوله نعم وليس بالمعنى اليها حاجة جآ بها حشوا ومن الحشو ما لا يقبح ونعم ههنا قبيحة وقد اولع بها كثير بن عبد الرحمن فى ابتدآاته فقال

امن آل عمرو بالحريق ديار * نعم دارسات قد عفون قفار

وقال

امن آل سلمى الركب ام انت سائل * نعم والمغانى قد درسن موائل

وقال

اهاجتك ليلى اذ اجد رحيلها * نعم وثنت لما احزألت حولها

احزالت انتصبت وارتفعت وقال

ابائنة سعدى نعم ستبين * كما انبت من حبل القرين قرين

وهى فى كل هذه الابيات ردئية وموضعها من هذا البيت الاخير اصلح لان اسقاطها من الجميع يحسن ولا يحتاج الاستفهام فيها الى جواب الا هذا البيت فان الاستفهام

فيه يقتضي ان يكون نعم جوابا له ومع هـذا فليس لهـا حلاوة ولاحسن ولكثير استفهامات لاجواب لها على عادات الشعرآء المحسنين ومنها قوله

امن ال قيلة بالدخول رسوم * وبحومل طلل يلوح قديم

وكل ابيات كثير اجود من بيت البحتري لان نعم فيهـا جواب وهي في بيت البحتري حشو وقال البحتري في بيته نحيها والاجود نحيها لانه جواب الامر وقد يكون نحيها رفعا على الحـال والجواب ههنا اجود من الحال فهذا ما وجدته من تسليمهما على الديار وابو تمام عندي في قوله دمن الم بها فقـال سلام اشعر من البحتري في سـائر ابياته وما سمعت من التسليم على الديار احسن من قول ابي نواس

واذا مررت على الديار مسلمـا * فلغـير دار امية الهجران

﴿ ما ابتدأا به من ذكـر تعفية الدهور والازمان للديار قال ابو تمام ﴾

لقد اخذت من دار ماوية الحقب * انحل المغاني للبلى هي ام نهب

اراد انحل المغـاني للبلى فحذف التنوين والحقب الدهر وجمعـه احقـاب والحقب السنون واحدتها حقبة وقال لقد اخذت فانث الفعل والحقب مذكر واظنه اراد ايام الدهر ولياليه ويقال الحقب ثمانون سـنة فعلى هذا قال اخذت وقال ايضا

قد نابت الجزع من ماوية النوب * واستحقبت جدة من ربعها الحقب

قوله واستحقبت اي جعلت الحقب وهي السنون جدة الربع في حقيبتها والحقيبة ما يحتقبه الراكب وهو وعآ يجعله خلفه اذا ركب ويحرز فيه متاعه وزاده وهذه استعارة حسنة وانمـا يريد ان الحقب سلبت الربع جدته وذهبت بها

وقال البحتري

ارسـوم دار ام سـطور كتاب * درست بشـاشتهـا على الاحقـاب

اي على مر السنين وهذا البيت ابرع من بيتي ابي تمام لفظا واجود سبكا واكـثر مآء ورونقا وهو من الابتدآات النـادرة العجيبة والمشبهة لكلام الاوائل فهو فيـه اشعر من ابي تمام وفي اقوآء الديار وتعفيها قال ابو تمام

طلل الجميع لقد عفوت حميدا * وكفى على رزئي بذاك شهيدا

اراد وكفي بانه مضى حميدا شاهدا على اني رزئت وكان وجه الكلام ان يقول وكفى رزئي شـاهدا على انه مضى حميدا وقد استقصيت الكلام في هذا فيمـا تقدم من غلط ابي تمام وقال ايضا

اجل ايهـا الربع الذى بان آهله * لقد ادركت فيك النوى ما تحاوله

وهذا ايضا ابتدآ جيد وقال ايضا

شهدت لقد اقوت مغانيكم بعدى * ومحت كما محت وشائع من برد

وهذا بيت ردى معيب لان الوشيعة والوشائع هو الغزل الملفوف من اللحمة التى يداخلها الناسج بين السدى والبرد الذى تمت نساجته ليس فيه شى يسمى وشيعة ولا وشائع وقد ذكرت هذا فى اغاليطه وقال البحترى

تلك الديار ودارسات طلولها * طوع الخطوب دقيقها وجليلها

وقال ايضا

يامغانى الاحباب صرت رسوما * وغدا الدهر فيك عندى ملوما

وقال ايضا

لم يبق فى تلك الرسوم بمنهج * اما سالت معرج لمعرج

وقال ايضا

هلا سالت بجو ثهمد * طللا لمية قد تأبد

هذه كلها ابتدآآت جياد بارعة اللفظ صحيحة المعنى وابيات ابى تمام ايضا رائعة ولكن فيها ما ذكرته ﴿ تعفية الرياح للديار قال ابو تمام ﴾

عفت اربع الحلات للاربع الملد * لكل هضيم الكشح مغربة القد

الحلات جمع حلة وهو الموضع الذى يحلونه يقال حلة ومحلة والاربع الملد يريد اربع نسآء ملد من قولهم غصن املود وهو الناعم واملود لا يجمع على ملد وانما هو جمع املد وهضيم الكشح يريد ضامرة البطن وقوله مغربة القد يريد اغرب قدهـا اى لها قد غريب فى الحسن وانما اراد عفت اربع حلال اى مواطن لاربع نسوة وهذا تكلف شديد وقد جاءت بلفظ غير حسن ولاجيل وكذلك مغربة القد من قول الشعرآء المتاخرين غريب الحسن وغريب القد والكلمة اذا لم يوت بها على لفظها المعتاد هجنت وقبحت وقوم يروونه اربع الحلات جمع ربع وذلك غلط وانما اراد الرجل العدد اى عفت اربع لاربع ولا اعلم لابى تمام ابتداء ذكر فيه الرياح غير هذا البيت وهو ردى اللفظ قبيح النسج وقال البحترى

بين الشقيقة فاللوى فالاجرع * دمن حبسن على الرياح الاربع

وهذا من ابتدآآته الحسنة النادرة واحسانه فيه الاحسان المشهور وقوله بين الشقيقة

فاللوى كقول امرء القيس بين الدخول فحومل والاصمعى يرويه بالواو واهل العربية يقولون الدخول مواضع متفرقة وقال البحترى

اصبا الاصائل ان برقة منشد * تشكو اختلافك بالهبوب السرمد

مازلت اسمع الشيوخ من اهل العلم بالشعر يقولون انهم ما سمعوا لمتقدم ولا متاخر فى هذا المعنى احسن من هذا البيت ولا ابرع لفظا ولا اكثر ماء ولا رونقا ولا الطف معنى وقال البحترى

لا ارى بالعراق رسما تجيب * اسكتت آية الصبا والجنوب

وهذا ابتداء صالح

﴿ وفى البكاء على الديار قال ابو تمام ﴾

على مثلها من اربع وملاعب * اذيلت مصونات الدموع السواكب

قد انكر مصونات الدموع السواكب بعضهم وقال كيف يكون من السواكب ماهو مصون وانما اراد ابو تمام مصونات الدموع التى هى الآن سواكب ولفظه يحتمل ما اراده والبيت جيد لفظا ومعنى ونظما وقال ايضا

اما الرسوم فقد اذكرن ما سلفا * فلا تكفن من شانيك او يكفا

هذا ابتدأ حسن وقال ايضا

ازعمت ان الربع ليس يتيم * والدمع فى دمن عفت لايسجم

وقال ايضا

قرى دارهم منى الدموع السوافك * وان عاد صبحى بعدهم وهو حالك

وهذان ابتدآان جيدان وقال ايضا

بجرع اسى قد اقفر الجرع الفرد * ودع حسى عين يحتلب ماءه الوجد

الجرع والاجرع والجرعاء ارض ذات رمل وحجارة مختلطة خشنة وقد قيل رملة سهلة والحسى ماء المطر يغمض فى الرمل قليلا ثم يصير الى الصلابة فيقف فيحفر عنه ويشرب وجمعه احساء وقال البحترى

متى لاح برق او بدا طلل قفر * جرى مستهل لا بكى ولا نزر

وهذا بيت حسبك به جودة وبراعة وفصاحة ونحوه قوله

لها منزل بين الدخول فتوضح * متى تره عين المتيم تسفح

هذا مثل قول امرء القيس بين الدخول فحومل وهذا ايضا بيت جيد وليس كالاول

وقال ايضـا

افى كل دار منك عينٌ ترقرق * وقلب على طول التذكر يخفق

وهذا ايضا غاية فى جودته و براعته وكثرة مائه وقال ايضا

الما يكف فى طللى زرود * بكاؤك دارس الدمن الهمود

وقال ايضا

اعن سفه يوم الابيرق ام حلم * وقوف بربع او بكآء على رسم

هذه الابيات الثـلاثة كأنه منكر على نفسه البكا وقد احسن فيما اعتمد من ذلك واجاد وهو ضد ما ذهب اليه ابو تمـام فى ابياته

وقال البحترى وهو حسن جدا

وقوفك فى اطلالهم وسـؤالها * يريك غروب الدمع كيف انهمالهـا

وقال

عند العقيق فـاثلات دياره * شجن يزيد الصب فى استعباره

وقال

يابى الحلى بكاء المنزل الخالى * والنوح فى دمن اقوت واطلال

وقال

ابكآء فى الدار بعـد الدار * وسـلوا عـن زينب بنـوار

وهذا من البحترى وصف فى البكآء على الدار حسن ومعـان فيه مختلفـة عجيبة كلها جيد نادر وابوتمـام لزم طريقة واحدة لم يتجـاوزها والبحترى فى هـذا البـاب اشعر

﴿ سـؤال الديار واستعجـامهـا عن الجواب قال ابوتمام ﴾

الدار ناطقة وليست تنطق * لدثورهـا ان الجديد سيخلق

وقال فى مثل معناه

وابى المنـازل انها اسجون * وعلى العجومة انهـا لتبين

وهذا معنى سائغ على السن العرب ان تقول لمن يعقل وابيك لقد اجلت وكثرت على الالسن حتى صمدوا بها الى ما لا يعقل قسما وغير قسم وكذلك قالوا لامك الهبـل ولابيـك الويل ثم قالوا ذلك لمـا لا ام له وقال محرز بن المعـكبر يرثى بسطام بن قيس

لام الارض ويل ما اجنت * بحيث اضر بالحسن السبيلُ

فجعل للارض اما وقد قال البحترى

لعمر ابى الايام ماجار حكمها * على ولا اعطيتها ثنى مقولى

فجعل للايام ابا وقوله شجون جمع شجن وما اقل مايجمع فعل على فعول قالوا اسد واسود وليس هو بابه والشجن الحاجة والشجن الهم والحزن وقال ابو تمام

من سجايا الطلول ان لاتجيبا * فصواب من مقلتى ان تصوبا

هذا البيت صدره جيد وقوله فصواب ليست بالجيدة فى هذا الموضع وانما اراد التجنيس وقال البحترى

لا دمنة بلوى خبت ولاطلل * ترد قولا على ذى لوعة يسل

وهذا ابتدآ جيد لفظه ومعناه وقال

ضيف يخاطب مفحمات طلول * من سائل باك ومن مسئول

اراد انه باك والطلول باكية وهذا ابتدآ صالح وقال

عزمت على المنازل ان تبينا * وان دمن بلين كما بلينا

اى عزمت عليها ان توضح لنا ويكون تبيين بما تفصح هى فى نفسها يقال بان الشئ وابان وقوله وان دمن بلين كما بلينا اى عزمت عليها ان تبين لنا القول وان كانت قد بليت كما بلينا نحن وهذا بيت ردى العجز وقال

اقم علها ان ترجع القول او على * اخلف فيها بعض مابى من الخبل

وهذا ايضا بيت ردى الصدر لفظه ومعناه لانه اراد ان يقول قف لعلها ان ترجع القول او لعلى فقال اقم مكان قف وليست هذه اللفظة نائبة عن تلك لان الاقامة ليست من الوقوف فى شئ والدليل على انه اراد ان يقول قف قوله بعد هذا

فان لم تقف من اجل نفسك ساعة * فقفها على تلك المعالم من اجلى

وقال علها وعلى وهما وان كانتا لفظتين عربيتين فلعل احسن من عل وابرع وزاد فى تهجينها انه كررها فى مصراع وقوله اخلف فيها بعض مابى من الخبل عجز حسن اى اطرحه عنى اى لعلى ابكى فاخفف بعض مابى من البكا والى هذا المعنى ذهب وان لم يكن البكا فى البيت فقد ذكره من بعد وقال

بالله يا ربع لما زدت تبيانا * فقلت لى الحى لما بان لم بانا

وقال ايضا

هب الدار ردت رجع ما انت سائله * وابدى الجواب الربع عما تسائله

وهذا بيت غير جيد لان عجز البيت مثل صدره سوآء فى المعنى وكانه بنى الامر على ان الدار غير الربع وان السؤال ان وقع وقع فى محلين اثنين والبيت ايضا لايقوم بنفسه لانه جعله معلقا بالبيت الثانى وهو قوله

افى ذاك برء من جوى الهب الحشا * توقده واستغزر الدمع جائله

وقال

هل الربع قد امست خلاء منازله * مجيب صداه او مخبر سائله

وهذا ابتداء صالح وقال ايضا

عفت دمن بالابرقين خوالى * ترد سلامى او تجيب سؤالى

وهذا ابتدآ حسن فهذا ما وجدته لهما من الابتدآات فى الباب وليس لهما فيه بيت بارع والجيد للبحترى قوله * لادمنة بلوى خبت ولاطلل * وقوله * عفت دمن بالابرقين خوالى * والجيد لابى تمام بيتاه الاولان ومعناهما غير معنى هذين البيتين وبيتا البحترى اجود لفظا واصح سبكا وهما فى هذا الباب متكافئان

* ما يخلف الظاعنين فى الديار من الوحش وما يقارب معناه قال ابو تمام *

اطلالهم سلبت دماها الهيفا * واستبدلت وحشا بهن عكوفا

وهذا بيت جيد لفظه ومعناه وقال ايضا

الطلال هند ساء ما اعتضت من هند * اقايضت حور العين بالعين والربد

العين بقر الوحش والظباء والربد النعام وقايضت ابدلت وهذا بيت ليس بالجيد ولا بالردى وقال ايضا

ارامة كنت مألف كل ريم * لو استمتعت بالانس القديم

وهذا بيت جيد وقال البحترى

ربع خلا من بدره مغناه * ورعت به عين المها الاشباه

وهذا بيت حسن حلو وقال البحترى ايضا

عهدى بربعك مأنوسا ملاعبه * اشباه آرامه حسنا كواعبه

وهذا بيت فى غاية الجودة والبراعة لفظه ومعناه وقال ايضا

عهدى بربعك مثلا آرامه * يجلى بضوء خدودهن ظلامه

وهذا بيت جيد اللفظ والمعنى ولفظ الاول احلى وابرع وقوله يجلى بضوء خدودهن
ظلامه حسن جدا * وقال ايضا

اري بين ملتف الاراك منازلا * موائل لوكانت مهاها موائلا

وهذا ايضا بيت من ابرع ابتدآ آته فهذا ما وجدته لهما فى هذا النحو والبحترى
فى ابياته اشعر من ابى تمام فى ابياته

﴿ وفيما تهيجه الديار وتبعثه من جوى الواقفين بها قال ابو تمام ﴾

اقشيب ربعهم اراك دريسا * وقرى ضيوفك لوعة ورسيسا

وهذا بيت من جيد الابتدآ آت وبارعها وقال البحترى

مغانى سليمى بالعقيق ودورها * اجد الشجى اخلاقها ودثورها

وهذا بيت فى جودة بيت ابى تمام وبراعته وقال

لعمر الغانى يوم صحرآء اربد * لقد هيجت وجدا على ذى توجد

وقال ايضا

ما جوخبت وان نأت ظعنه * تاركنا اوتشوقنا دمنه

وقال ايضا

كلما شاقت الرسوم المحيله * هيجت من مشوق صدر غليله

وهذه كلها ابتدآ آت جياد وهى مع بيت ابى تمام متكافئة

﴿ الدعآء للدار بالسقيا قال ابو تمام ﴾

اسقى طاولهم اجش هزيم * وغدت عليهم نضرة ونعيم

وقال ايضا

سقى عهد الحمى صوب العهاد * وروى حاضر منهم وبادى

وهذان ابتدآ آن جيدان وقال ايضا

يا برق طالع منزلا بالابرق * واحد السحاب له حدآء الاينق

قوله طالع لفظة رديئة فى هذا الموضع قبيحة وقوله واحد السحاب له حدآء الاينق
لفظه ومعناه جيدان فصيحان وانما خص البرق لانه دليل الغيث وقال ايضا

ايها البرق بت باعلى البراق * واغد فيها بوابل غيداق

البراق جمع برقة مثل برمة وبرام وهى الارض ذات الطين والحصى تكون ذات
الوان مختلفة وهذا بيت جيد ووصله ببيت هو غاية فى الحسن والحلاوة نا ى به

ان شا الله تعالى فى بابه وقال

يادار دار عليك ارهام الندى * واهتز روضك فى الثرى فترأدا

يقال ارهمت السماء اذا اتت بالرهمة وهو المطر اللين يقال رهمة ورهام كاكمة واكام فان قلت ارهام الندى كان ذلك سائغا فترأد تثنى لكثرة ما ئه وغضاضته ومنه امرأة رود الشباب اى غضة وهذا بيت ليس بجيد اللفظ ولا النسج وقال البحترى

نشدتك الله من برق على اضم * لما سقيت جنوب الحزن فالعلم

وهذا بيت بارع اللفظ جيد المعنى وزاد فى جودته قوله نشدتك الله وقال ايضا

سقيت الغوادى من طلوع واربع * وحييت من دار لاسماء بلقع

وهذا ايضا بيت جيد اللفظ والمعنى ويدخل فى باب التسليم على الديار لقوله حييت من دار وقال ايضا

اناشد الغيث هل تهمى غواديه * على العقيق وان اقوت مغانيه

وهذا بيت جيد وقال ايضا

اقام كل ملث الودق رجاس * على ديار بعلو الشام ادارس

ملث دائم كثير ورجاس مصوت يريد الرعد وهذا بيت كثير الماء والرونق وقال ايضا

لا ترم ربعك السحاب تجوده * تبتدى سوقه الصبا اوتقوده

وقال ايضا

سقى دار ليلى حيث حلت رسومها * عهاد من الوسمى وطف غيومها

وهذان ابتداآن جيدان وليسا مثل ما تقدم وقال ايضا

سقى ربعها سح السحاب وهاطله * وان لم تخبر آنفا من بسائله

وهذا البيت ردى العجز من اجل قوله آنفا لانه حشو لا حاجة للمعنى به فهذا ابتداء من الدعاء للديار بالسقيا وهما عندى متكافئان

﴿ فى لوم الاصحاب فى الوقوف على الديار قال ابوتمام ﴾

اراك اكثرت ادماني على الدمن * وحملى الشوق من باد ومكتمن

وقال ايضا

ما عهدنا كذا نحيب المشوق * كيف والدمع آية المعشوق

هذا بيت رديء جدا وقد ذكرت مافيه فى باب ما ذكر له فى وسط الكلام فى تعنيف الاصحاب على الوقوف على الديار وهـذا البيت ابتدآ وانما ذكرته هناك لان معناه يتضح بالابيات التى بعده فجعلته فى ذلك الباب وليس لابى تمـام ابتدآء صالح فى لوم الاصحاب غير هـذين البيتين فاما البحترى فانه تصرف فيه فى ابتدآآت جياد حسان بارعة حلوة فمن ذلك قوله

فيم ابتـداركما الملام ولوعا * ابكيت الا دمنة وربوعا

وهذا بيت حسن وفيه سـؤال وهو ان يقـال انمـا لاموه على بكآئه على الدمنة والربوع فمـا وجه اعتذاره بانه لم يبك الا دمنـة وربوعا والجواب انه اراد ابكيت الا ما مثله يبكى وقد تقدمنى الناس فيه ولم ينكر ذلك على احد وقوله

خذا من بكائى فى المنـازل او دعا * وروحا على لومى بهن او اربعا

وهذا بيت جيد وقوله ايضا

ذاك وادى الاراك فاحبس قليلا * مقصرا فى ملامتى او مطيـلا

وهـذا بيت جيد حسن بارع اللفظ والمعنى وقد ذكرته ايضا فى باب الوقوف على الديار وقوله

احرى الخطوب بان يكون عظيما * قول الجهول الا تكون حليما

وقوله

ما انت للكلف المشوق بصاحب * فاذهب على مهل فليس بذاهب

وقوله

فى غير شـأنك بكرتى واصيلى * وسوى سبيلك فى السلو سبيلى

وقوله

بعض هـذا العتاب والتفنيد * ليس ذم الوفآء بالمحمـود

❊ ولهما فى تأنيب العذال فى غير الوقوف على الديار ابتدآآت ليس بضـائر ذكرها ههنا فمن ذلك قول ابى تمام ❊

تق جهساتى لست طوع مؤنبى * وليس جنيبى ان عـذلت بمصحبى

وقوله ايضا

دأب عينى البكآء والحزن دابى * فاتركـنى وقيت مابى لما بى

وقوله ايضا

كفى وغاك فاننى لك قالى * ليست هوادى عزمتى بتوالى

وقوله ايضا

لامته لام عشيرها وحميها * منها خلائق قد ابر ذميها

وقوله ايضا

متى كان سمعى خلسة للوائم * وكيف صغت للعاذلين عزائمى

وقوله ايضا

قدك اتئب اربيت فى الغلوآء * كم تعذلون وانتم سجرآئى

وهذه كلها ابتدآات صالحة الا هذا البيت الاخير فان الناس عابوه وذكر ابو عبدالله محمد بن داود بن الجراح فى كتابه ان ما عيب من ابتدآات الطآئى قوله

كذا فليجل الامر وليفدح الامر * وقوله * خشنت عليه اخت ابن خشين

فاما قوله خشنت عليه فهو لعمرى من تجنيساته القبيحة وعهدت مجان البغداديين يقولون قليل نورة يذهب بالخشونة واما قوله كذا فليجل الخطب وليفدح الامر فليس بمعيب عندى وقد ذكرته فى ابتدا آت المراثى واخبرت بمعناه واما قوله قدك اتئب اربيت فى الغلواء فانها الفاظ صحيحة فصيحة من الفاظ العرب مستعملة فى نظمهم ونثرهم وليست من متعسف الفاظهم ولا وحشى كلامهم ولكن العلمآء بالشعر انكروا عليه ان جمعها فى مصراع واحد وجعلها ابتدآء قصيدة ولم يفرق بينها الا بفواصل فقال قدك اتئب اربيت فى الغلوآء فصار قوله قدك اتئب كانها كلمة واحدة على وزن مستفعلن وضم اليه اربيت فى الغلوآء فاستهجنت ولو جآء هذا فى شعر اعرابى لما انكروه لان الاعرابى انما ينظم كلامه المنثور الذى يستعمله فى مخاطباته ومحاوراته ولو خاطب ابو تمام بهذا المعنى فى كلامه المنثور لما قال لمن يخاطبه الا حسبك استحى زدت وغلوت وهذا كلام حسن بارع قال فمن شان الشاعر الحضرى ان ياتى فى شعره بالالفاظ المستعملة فى كلام الحاضرة فان اختار ان ياتى بما لا يستعمله اهل الحضر فمن سبيله ان يجعل من المستعمل فى كلام اهل البدو دون الوحشى الذى يقل استعمالهم اياه وان يجعله متفرقا فى تضاعيف الفاظه ويضعه فى مواضعه فيكون قد اتسع مجاله بالاستعارة ودل على فصاحته وعلمه وتخلص من الهجنة كما ان الشاعر الاعرابى اذا اتى فى شعره بالوحشى الذى يقل استعماله

اياه فى منثور كلامه وماجرى دائما فى عادته هجنه وقبحه الا ان يضطر الى اللفظة واللفظتين ويقلل ولا يستكثر فان الكلام اجناس اذا اتى منه شئ مع غير جنسه باينه ونافره واظهر قبحه وقد تصرف البحترى فى هذا الباب احسن تصرف وابلغه واعجبه فمن ذلك قوله

اتاركى انت ام مغرى بتعذيبى * ولائمى فى هوى ان كان يردى بى

وقوله ايضا

يفندون وهم ادنى الى الفند * ويرشدون وما العذال فى رشد

وقوله ايضا

انما الغى ان تكون رشيدا * فانقصا من ملامتى او فزيدا

وقوله ايضا

الم يك فى وجدى وبرح تلددى * نهاية نهى للعدو المفند

وقوله ايضا

مرنت مسامعه على التفنيد * فقضى الملام لاعين وخدود

وقوله ايضا

شغلان من عذل ومن تفنيد * ورسيس حب طارف وتليد

وقوله ايضا

اقصرا ليس شأنى الاكثار * واقلا لن يغنى الاكثار

وقوله ايضا

قلت للائم فى الحب افق * لاتهون طعم شئ لم تذق

وقوله ايضا

اما كان فى تلك الربوع السوائل * بيان لناءٍ او جواب لسائل

وقوله ايضا

اكثرت فى لوم المحب فاقلل * وامرت بالصبر الجميل فأجمل

وقوله ايضا

رويدك ان شانك غير شانى * وقصرى لست طاعة من نهانى

وقوله ايضا

يكاد عاذلنا فى الحب يغرينا * فما لجاجك فى لوم المحبينا

وقوله ايضا

عــذيرى فيــك من لاح اذا ما * شـكوت الحـب قطعنى ملاما

وقوله ايضا

طفقت تلوم ولات حين ملامه * لا عنـد كـرته ولا اجامه

ولاخفــاء بفضل البحترى فى هذا البـاب على ابى تمـام وقد مضت الموازنة بين الابتدآ ات بذكر الديار والآثار واما الان فاذكر ماجآء عنهمـا من ذلك فى وسط الكلام

﴿ ما قالا فى اوصاف الديار والبكاء عليها قال ابو تمام ﴾

طلل الجميل لقـد عفوت حيدا * وكـفى على رزئى بذاك شهيدا

دمن كـان البين اصبح طالبـا * دينـا لدى آرامهـا وحقودا

قربت نازحة القلوب من الجوى * وتركت شأو الدمع فيك بعيدا

خضلا اذا العبرات لم تبرح لهـا * وطنـا سرى قلق المحل طريدا

وقوله وكفى عـلى رزئى بذاك شـهيدا ليس بالجيد وقد ذكرت معنـاه فى باب الابتدآ ات عنـد ذكر البيت وقوله قربت نازحة القلوب من الجوى يريد القلوب التى بعد عهدها بمرض الحب فاربتهـا من ذلك عند الوقوف عليـك يخـاطب الدمن وقوله وتركت شـأو الدمع فيك بعيـدا اى دائما طويلا وقوله خضلا اذا العبرات لم تبرح لهـا وطنا سرى قلق المحل طريدا اى من كان انما يبكى فى وطنه على الحوادث التى تحدث عليه فيه سرى هذا الدمع قلق المحل اذا عسف المسير لطوله حتى يحل بهذه الدمن وهذا نحو من قوله

فما وجدت على الاحشـآء ابرد من * دمع على وطن لى فى سوى وطنى

فقوله على وطن يعنى الرسـوم والطلول التى يقف عليهـا وهذا من جيد الفـاظه وصحيح معـانيه وغرضه فيمـا وصف من الدمع غرض صحيح واحسن منه واغرب قوله

اما الرسوم فقد اذكرت ماسـلفا * فلا تكفن من شـانيك اويكفـا

لاعــذر للصب ان يقنى السلوولا * للدمع بعد مضى الحى ان يقفـا

حـتى يظـل بمـاء سـافح ودم * فى الربع يحسب من عينيه قد رعفا

وهذا المعنى ليس له وانما اخذه من قول ابى وجزة

عيون ترامى بالرعاف كانها * من الشوق صردان تدب وتلمع

قيل فى تفسيره شبه الدمع وقد عصفره الدم بالرعاف وشبه العيون وهى تفيض بالدمع تارة وتحبسه اخرى بالصردان تنتفض تارة وتظهر عرضا من الارض تارة و بيت ابى تمام اجود لفظا ونظما ولا اظن البحترى ذهب الى مثل هذا المعنى ولا المعنى الذى قبله ولكنه يعتذرمدة بقلة دمعه ومرة بذكر كثرته ويفتخر بغزره وفى كل ذلك يحسن ويجيد فمن اعتذاره قوله فى قصيدته التى اولها

فيم ابتداركما الملام ولوعا * ابكيت الا دمنة وربوعا

يادار غيرها الزمان وفرقت * ايدى الحوادث شملها المجموعا

لوكان لى دمع يحسن لوعتى * خليته فى عرصتيك خليعا

لاتخطبى دمعى الى فلم يدع * فى مقلتى جوى الفراق دموعا

قوله فى ابتداء القصيدة ابكيت الا دمنة وربوعا قد اخبر انه بكى ثم قال لوكان لى دمع يحسن لوعتى اى لوكان لى دمع غزير يليق بلوعتى وينبئ عنها وكذلك قوله فلم يدع فى مقلتى جوى الفراق دموعا اى دموعا كافية ارضاها او دموعا تسعى لانه استقل دمعه واستنزره وان يكون انقطع دمعه ولله در كثير اذ يقول

وقضين ما قضين ثم تركننى * بفيفا جريم واقفا اتلدد

ولم ارمثل العين ضنت بما بها * على ولامثلى على الدمع يحسد

وقال ابوتمام

اقشيب ربعهم اراك دريسا * تقرى ضيوفك لوعة ورسيسا

ولئن حبست على البلى لقد اغتدى * دمعى عليك الى الممات حبيسا

وارى رسومك موحشات بعدما * قدكنت مألوف المحل انيسا

وبلاقعا حتى كأن قطينها * حلفوا يمينا احلقتك غموسا

وهذا كلام رصين وقوله حلفوا يمينا احلقتك اى كانهم حلفوا يمينا ان لا يعودوا اليك فاحلقك ذلك ومن حلو معانيه وجيد الفاظه فى البكاء على الديار قوله

دمن لوت عزم الديار ومزقت * فيها دموع العين كل ممزق

وقال ايضا

سقى عهد الحمى سبل العهاد * وروض حاضر منه وبادى

نزحت به ركى العين انى * رايت الدمع من خير العتاد

وهذا البيت فى غاية الجودة لفظه ومعناه الا انه وصله بكلام غليظ فقال

فياحسن الرسوم وما تمشى * اليها الدهر فى صور البعاد

وهذا بيت فى غاية الرداءة والسخافة ومعناه فياحسن الرسوم ولم يمش اليها الدهر اى لم يصبها الدهر بعد اهلها عنه فاخرجه هذا المخرج القبيح المستهجن

﴿ ومن احسان ابى عبادة المشهور فى هذا قوله ﴾

امحلتى سلمى بكاظمة اسلما * وتعلما ان الهوى ما هجتما

هل ترويان من الاحبة هائما * او تسعدان على الصبابة مغرما

ابكيكما دمعا ولو انى على * قدر الجوى ابكى بكيتكما دما

﴿ ومن جيد شعر ابى تمام ايضا فى هذا الباب قوله ﴾

ارامة كنت مألف كل ريم * لو استمتعت بالانس القديم

ادار البؤس حسنك التصابى * الى فصرت جنات النعيم

لئن اصبحت ميدان السوافى * لقد اصبحت ميدان الهموم

ومما ضرم البرحاء انى * شكوت فما شكوت الى رحيم

اظن الدمع فى خدى سيبقى * رسوما من بكاءى فى الرسوم

وهذا من اسهل الكلام واسلس نظمه ومن ابعد قول من التكلف والتعسف واشبهه بكلام المطبوعين واهل البلاغة وقوله فصرت جنات النعيم معنى حسن ولكن فيه اسراف ان يجعل دارا خلت من اهلها دار بؤس وهو باك فيها جنات النعيم وقد اتى البحترى بهذا المعنى متبعا فيه ابا تمام ولكنه جاء به على سبيل اقتصاد واعتدال واجتنب افراطه فقال

يامغانى الاحباب صرت رسوما * وغدا الدهر فيك عندى ملوما

الف البؤس عرصتيك وقد كنت بعينى جنة ونعيما

فقال الف البؤس عرصتيك ثم قال وقد كنت بعينى جنة ونعيما فجعلها جنة ونعيما فيما مضى ومع هذا فانى اقول ان بيت ابى تمام احسن وهو فى سائر ابياته اشعر

وقال البحترى

لعمرك ان الدارسات لقد غدت * بريا سعاد وهى طيبة العرف

بكينا فمن دمع يمازجه دم * هناك ومن دمع نجود به صرف

وهذا حسن جدا وانما اخذ قوله بريا سعاد وهى طيبة العرف من قول الآخر

انشده الاخفش عن المبرد

واستودعت نشرها الديار فما * تزداد الا طيبا على القدم

وهذا اجود من بيت البحترى لما فيه من الزيادة الحسنة وهى قوله فما تزداد الا طيبا على القدم

وقال البحترى

ترى الليل يقضى عقبة من هزيعه * او الصبح يجلو غرة من صريعه

او المنزل العافى يرد انيسه * بكاء على اطلاله وربوعه

اذا ارتفق المشتاق كان سهاده * احق بجفنى عينه من هجوعه

وهذا معنى لحل ومعان فى غاية الصحة والاستقامة وللبحترى فى وصف الديار والبكاء عليها مذهب اخر وهو قوله

ابكاء فى الدار بعد الدار * وسلوا بزينب عن نوار

لا هناك الشغل الجديد بحزوى * عن رسوم براقتين قفار

ما ظننت الاهواء قبلك تمحى * من صدور العشاق محو الديار

نظرة ردت الهوى الشرق غربا * واما لت نهج الدموع الجوارى

وهذا غرض حلو ومعنى لطيف ومثله قوله ولكن ليس فيه ذكر البكا

ابيت باعلى الحزن والرمل دونه * مغان لهما شفوة وطلول

وقد كنت ارجو الريح غربا مهبها * فقد صرت اهوى الريح وهى قبول

وذلك لان القبول هى الصبا ومهبها من مطلع الشمس ونحوه قوله

كلفتنى اريحيات الصبا * كلفا فى الحب ممتد الرسن

نقلتنى فى هوى بعد هوى * وابتغت لى سكنا بعد سكن

وقوله

ما ظننت الاهواء قبلك تمحى * من صدور العشاق محو الديار

معنى حسن وانما اخذه من قول ابى تمام

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت * منها طلول باللوى ورسوم

وبيت البحترى احلى وابدع وقال البحترى فى وجه آخر وهو ايضا حسن لطيف

فى كل يوم دمنة من حبهم * تقوى وربع بعدهم يتأبد

او ما كفانا ان بكينا غردا * حتى شجتنا بالمنازل نهمد

ومثله

هو الدمع موقوفا على كل دمنة ٭ تدرج فيها اوخليط تزايله

ترافهم خفض الزمان ولينه ٭ وجادهم طل الربيع ووابله

وانما حذا البحتري هذا المعنى على حذو قول كثير

وكنت امرءا بالغور مني صريمة ٭ واخرى بنجد ما لعينيك ما تبدو

فطورا اكر الطرف نحو تهامة ٭ وطورا اكر الطرف كرا الى نجد

وابكى اذا فارقت هندا صبابة ٭ وابكى اذا فارقت دعدا على دعد

وهذا ما لا مزيد فيه على حسنه وطلاوته ومثله قول جرير

اخالد قد علقتك بعد هند ٭ فشيبني الخوالد والهنود

هوى بتهامة وهوى بنجد ٭ فبلتني التهائم والنجود

وقال

احب ثرى نجد وبالغور حاجة ٭ فغار الهوى يا عبد قيس وانجدا

﴿ وهذا باب في وصف اطلال الديار وآثارها قال ابوتمام ﴾

قفوا نعطى المنازل من عيون ٭ لها في الشوق احساء غزار

عفت آياتهن واي ربع ٭ يكون له على الزمن الخيار

اثاف كالخدود لطمن حزنا ٭ ونؤى مثل ما انفصم السوار

قوله احساء جمع حسى وهو الماء يغيض في الرمل فاذا وصل الى الصلابة وقف فيحفر عنه ويشرب

وقال البحتري

عرفت منهم خسس رفسد ملها الهوى منزل بوجرة عافي

لم تدع منه مبليات الليالي ٭ غير نؤى تسفي عليه السوافي

واثاف اتت لها حجج دون لظى النار مثل كالاثافي

وقوله مثل قائمة بانت كالاثافي يريد الكواكب التي عند الفرقدين وهي ثلاثة قيل لها اثافي لتشبيهها بالاثافي فشبه البحتري الاثافي بها لثبوتها وانها مثل على مر الدهر قال ابو حنيفة الدينوري في كتابه في الانواء ان تليها طولا ولو شبهها البحتري بالنسر الواقع لانه اشهر واظهر واقرب شبها لكان ذلك احسن واكشف للمعنى من ان يشبهها بشيء انما استعير له اسمها وليس يعرفه كل احد ولكنه جاء

من اجل القافية وقال البحترى

لها منزل بين الدخول فتوضح * متى تره عين المتيم تسفح
عفا غير نؤى دارس فى فنائه * ثلاث اثاف كالحمائم جنح

وهذا جيد حسن على منهج الشعرآء واظنه اخذه من قول عدى بن زيد

وثلاث كالحمامات بها * بين مجثاهن توشيم الحمم

وابن الاعرابى قال لايكون مجثاهن انما هو مجراهن او من قول ابى نواس

كما اقترنت عند المعرس حمائم * كبيرات تمسى بينهن وكون

وهذا اجود من بيت عدى ومن بيت البحترى وقد شبه الاثافى بالحمائم غير واحد من الشعرآء والبالغ النادر فى وصف الاثافى قول كثير

امن ال قيلة بالدخول رسوم * وبحومل طلل يلوح قديم
لعب الزمان برسمه فاجده * جون عواكف فى الرماد جثوم
سفع الخدود كانهن وقد مضت * حجج عوائد بينهن سقيم

قوله فاجده جون عواكف يعنى الاثافى لان الريح لما كشفت عنها ظهرت سودآ شبهها بالعوائد والجون الاسود والجون الابيض وهو من الاسمآء المترادفة (لعله المتضادة) قال الاصمعى ويقال غابت الجونة وطلعت الغزالة يعنى مغيب الشمس وطلوعها وهما اسمان من اسمآء الشمس وانما سميت الشمس جونة عند الغروب لانه يعرض فيها من تغير اللون الى السواد

كمل كتاب الموازنة بين شعرى ابى تمام وابى عبادة البحترى الطائيين
مما الفه ابو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى
رحمه الله تعالى والحمد لله وحده

